

درخت خشبه



داد الکتب الاھلیہ  
میدان الادب

الاولیٰ

اهداءات ٢٠٠٢

أد/ مصطفى الصاوي الجويني  
الاسكندرية

درینى خشبه

# الأوزي

لشاعر الخلود « هوميروس »

الثنى ٣٠

الناشر  
مكتبة دار الكتب الأهلية  
بميدان الأوبرا

---

طبعة الرسالة  
القاهرة — ١٩٤٥

إلى اليونان الحديثة المجاهدة



# مقدمة

... وها هي ذى قصة الأوديسة ... أو الحلقة الثالثة من روائع الأدب اليونانى التى أخذت على عاتق تقديمها بطريقى الخاصة لقرائى الأعزاء فى جميع الأقطار العربية ... أولئك القراء الذين أكرموني فتهقبلوا كتابى السابقين : أساطير الحب والجمال عند الإغريق ، وقصة طروادة ، متضمنة إلياذة هوميروس الخالد ، الذى فُتِنْتُ به ، فلم أبال أن أقدم طُرْفَتَيْهِ المجيدتين لقراء الأدب الرفيع فى أقل من ستة أشهر ، ليشقّا طريقهما وسط تلك الزحمة الصاخبة من مئات الكتب فى الأدب الرخيص .

ها هي ذى قصة الأوديسة إذن ... كما رويتها ، وهذبت حواشيها ، منذ عشر سنين ، جاريًا فيها على المنوال الذى اخترته فى تقديم كتابى السابقين ... ذلك المنوال الذى ما زلت أراه أسلم الطرق لتجبيب روائع الأدب القديم إلى نفوس القراء فى هذا الزمن المتُفَرِّغِ العَجُولِ للكُلِّ .

وبعد ... فلقد قلت أكثر ما كفت أصبو. إلى قوله عن هوميروس فى المقدمة الطويلة التى صدرت بها لقصة طروادة ، وذكرت فيها الشيء الكثير عن قصة الأوديسة ، والذى لا أزال أرجوه هو أن يوفقنى الله إلى إصدار ما أعددتُه للطبع من روائع الأدب اليونانى الذى كان فى إحيائه إحياء أوربا الحديثة ، والذى لا بد لمصر الحديثة ، بل للعالم العربى الحديث ، من الإلمام به ، إن كان فى فيتننا خلق أدب عربى حديث .

## جَنِّ مِينَرْتِ وَتَلِيمَاكُ :

أُنشِدْ يَا هوميرُوس !  
 وظل في فم الأبد قيثارته المُرِنَّة ، ونأيَه المطرب ، وعوده الآن ،  
 ونغمته الحلوة الحنون !  
 أُنشِدْ يَا شاعر العُصر الخالي .  
 وحُلِّ في الأسماع موسيقى مدويَّة ، وفي العيون دموعاً جارية ، وفي  
 القلوب رحمة ومحبة ، وانفج عرائس الشعر من لدنك سلطاناً ، وحكمة  
 ونياناً ، وسريراً وصولجاناً .  
 تَغَنِّ يَا شاعر أُولمب !  
 ولترسل من جنتك نعمةً تنتظم الأفلاك ، ورنَّةً تجلجل في الأفق ،  
 وآهةً تزلزل قلوب الجبارين !

\*\*\*

سقطت إليوم<sup>(١)</sup> ونزح المغير بخيله ورجله . فتعالَى يا عرائس الفنون  
 فانتقدي أوديسيوس في ذلك البحر اللجج يذرعه ؛ موجة تلبسه وموجة  
 تخلعه ، لا يعرف لمملكته ساحلا فيرسو عليه ، ولا شاطئاً فيقصد إليه ...  
 يخبط في البهم على غير هدى ، ويرسل عينيه في الماء والسماء على غير  
 بصيرة ... زرقاة متصلة في العلو والسفل ، وتيه لا نهائى يخبط في أحشائه  
 أسطول السادة المنتصرين ...

والأقدار وحدها تعلم لماذا ضل أوديسيوس مجنوده في ذلك العباب ،  
وقد عاد كل أقرانه إلى هيلاس بعد طول النأى وتسحط المزار ، إلا هو  
والإله ، ممزقين في دار الغربة كل ممزق ، يتجشمون المصائب والأهوال ،  
ويتخبطون بين موج كالجبال ، ويخلصون من بحر إلى بحر ، ومن روع  
إلى روع . فإذا أرسوا على أرض ووطنوا أنهم نجوا ، أمزهم فيها غير  
الذي رجوا ...

ولقد رقت قلوب الآلهة ، وودوا لو أدركوا برحمتهم أوديسيوس ...  
إلا نبتيون الجبار ، رب البحار ، الذي يضرر للبطل في أعماقه كل كراهة  
وكل بغضاء ، والذي آلى أن يصب على رأسه كل تلك الأرزاء ..

وحدث أن كان نبتيون في حرب مع الأثيوبيين ، فانتهرها الآلهة  
فرصة سانحة ، وعقدوا مجلس الأولم في ذروة جبل إيدا ، وتفضل الإله  
الأكبر ، زيوس<sup>(١)</sup> ، فافتتح الجلسة بكلمة مخلصه توجع فيها لما يلقاه  
بنو الإنسان من صروف الحداث ، واستطرد فذكر مأساة أجاممنون  
المستكين وما لقيه على يدي زوجه وعشيقتها الأثيم إيجستوس من غدر  
وغيلة ، ثم أحمى باللائمة على هؤلاء البشر البائسين الذين يقولون إن كل  
ما يصيبهم من خير وضرر هو من عند الآلهة ، وما هو إلا من عند  
أنفسهم ... ولكن لا يفهمون !

ثم نهضت مينرفا ربة الحكمة ، ذات العينين الزبرجديتين ،  
فأيدت ما قال أبوها سيد الآلهة ، وأثنت عليه ، ثم ذكرت أوديسيوس ...  
« ذلك التعس المستكين الذي تحتبطه<sup>(٢)</sup> وصحبته البحر ، وقضى عليه — دون

(١) Zeus أو Jove أو Jupiter (٢) أصله وأسد عليه ماريه

أقرانه جميعاً — أن يشقى هذا الشتاء الطويل ، عند عروس الماء الفاتنة كاليسوفى جزيرة أوجيجيا ، ثمانية أعوام أو يزيد . ماذنبه ؟ ماجريته ؟ لماذا يُبنى هذا العبد الصالح فى أقصى الأرض يا أبى ؟ إنه خير عبادك أجمعين . أن ذكر كم ضحى الأضحيات باسمك ، وقدم القرابين من أجلك ، وحارب أعدائك ، وجاهد شائريك ! لقد نعى إلى أن كاليسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تدسيه وطنه إيثاكا ... يا للهول ! كيف يا أبتاه ! وهذه الزوجة التاعسة بنلوب ٢ ! بنلوب الحزونة المرزأة ! بنلوب التى صبرت وصابرت طوال هذه السنين على ما كرتها الدهر به من بُعد زوجها ؛ بنلوب التى حافظت على طهرها وإخلاصها ؛ أتظل هكذا سجيناً فى قصرها المنيّف الباذخ ، ويظل هذا القصر محاصراً بعشاقها الحانين من أمراء الأقاليم ؟ ! أبى ! يا سيد الأولب ! ألا تدرك برحمتك أوديسيوس ، وترده إلى وطنه ليدود هذه الكلاب التى ولغت فى حوضه ، وكادت تخوض فى عرضه ؟ تداركه يا أبى ؛ تداركه بعطفة واحدة منك ، وإنك على إنقاذه لقوى مكين . »

واستجاب لها سيد الأولب ، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا ؛ لكنه ذكرها بر البحار نبتيون ، وذكرها بما بينه وبين البطل من ترات وثارات ، « سبها هذه الفعلة الجنونية التى فعلها أوديسيوس بواحد من السيكلو<sup>(١)</sup>س ، أبناء نبتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التى كان ينعم بسبيلها بزينة الحياة ... إطمئنى يا بُنية وقرى عيناً ... إننا نحن الأعلون ، وسيرى نبتيون أنه لن يغلب الآلهة مجتمعة أبداً ... »

(١) سيأتى ذكر ذلك فى الكتاب العاشر من الأوديسة .

وشاعت الغبطة في أعطاف مينروا ، وتضرعت إلى مولاهما أن يُنفذ ولده هرmez إلى جزيرة أوجيجيا ، فيأمر عروس الماء كالسو أن تعد مركباً عظيماً لأوديسيوس ورفاقه ، ليعودوا عليه إلى أوطانهم؛ ثم ذكرت أنها ستمضى من فورها إلى إيتاكا حيث العشاق المآفين يحاصرون قصر نابو ، وحيث ابن أوديسيوس المنكود ، تليماك ، يشهد خراب مملكة أبيه ولا يستطيع أن يحرك ساكناً ، لصغر سنه ... « إلى سألها إحساسه ، وأفتتح عينيه على ما ينبغي ... سأجعله يخرج من هذه العزلة المعيبة ليجث عن والده ، فإنه لم يعد طفلاً بعد ... » .

وانطلقت مينرقا فربطت نعلها السحريتين ، على قدميها الجميلتين ، وحملت رمحها العظيم الذي تقطر المنايا من سنانها ، ووضعت تاجها المرصع على رأسها الكبير ، وأطلقت ساقها للريح ، حيث كانت بعد لحظة على مقربة من قصر أوديسيوس ، فهبطت من السماء إلى الأرض ؛ وفي لحظة انقلبت فاتخذت شكل الآدميين ، وتخالفت في جثمان الأمير منئس<sup>(١)</sup> وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع العشاق المجانين من أجل وليلة ، وتلفتت يمنة ويسرة ، ورأت الفتى السادر الساهم الحزين تليماك ، وقد تعقدت فوق جبينه هموم ... وهموم ، وتعذنت ملء أساريره آلام ... وآلام .

وما هو إلا أن لحها تليماك حتى أخذه من هيبتها شيء عظيم ... فهب للقائهما مسرعاً ، ثم مد إليها يده مصافحاً وهو لا يعرف من هي ، وقال :

(١) بروي أن منئس كان بحاراً غنياً وكان يحمل هوميروس في رحلته الواسعة من غير أجر ، ولذلك كاد أن هوميروس فحلده اسمه بذكره في الأوديسة .

« مرحباً مرحباً بالفريرب المكرم ! هلم فشارك في ذلك القري ، ولنتحدث بعدها فيما أقدمك إينا . مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً ! ... » ودلف نحو الصالة المزخرفة ، وتمتته مينرفا ، وفي يمانها ربحها الجبار الذي يقدر من سماته الشرر ؛ حتى إذا بلغا العمود الأكبر الذي أسندت إليه مئاث . الرماح ، والذي كان أوديسيوس يسند إليه رماحه وعدة حربه ، تناول تليماك الرمح وأسنده بعد جهد ، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين رماح العشاق الفاسقين . وتقدم نحو أريكةٍ وبيرةٍ منعزلة ، وسأل مينرفا فاستوت عليها ، وكأنا ثمة بمأمن من أن يستمع إليهما أحد .. وأقبلت جارية فينائة رائعة تحمل طستاً وإريقاً من الذهب ، صببت الماء على بدي العيف ويدى تليماك ؛ ثم مصت فأحضرت مائدةً نسقت عليها الورود والياحين ، ونشط النادل<sup>(١)</sup> يحمل أطباق الطعام والفاكهة والحلوى ، فيأتى بها ملأى ويمضى بها فارغة .. والندمان<sup>(٢)</sup> فيما بين ذلك يجذب الزق<sup>(٣)</sup> إليه ويسقى .. ثم يسقى .. وشرع العشاق المحرمون بدورهم يلتمون ما لذ وطاب من أكلٍ وشراب .. حتى إذا انتهوا شرع فيميوس بابه واطلق ينفى .

واتهز تليماك فرصة انصراف القوم إلى لهوهم وشرابهم مساءً  
الضيف قائلاً :

« يا أعز الأصدقاء ! أرايت إلى أولئك العشاق ، لو أن رب البيت

(١) النادل خادم المائدة .

(٢) الندمان ساقى الفرباب .

(٣) الزق قربة الخمر .

هنا ، أكانوا يلهون لهوهم هذا أو يفسقون فسوقهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أسرع إلى الهرب ، منهم إلى ذلك الطرب ؛ ولكن ...  
أواه ! ... ابن هو ! أين أوديسيوس العظيم الذى انقطعت عنا أخباره ويئست من أوبته دياره . ولكن حدثني بربك من أنت ؟ ومن أى الأقاليم قدمت ؟ ومن رجال البحر الذين ألقوا مراسيهم عند إيثاكا ؟ أغريب أنت أيها السيد ؟ أم كنت فيما خلا من الزمان من أصدقاء أى وأحبائه ؟ »

وقالت مينرما ذات العينين الزرجديتين :

« ليهدا بالاك يا بنى ، فإنى مجيبك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير ( جزيرة الطافيان ) البحارين ، وسليل النخيلوس الكبير . ولقد أبحرنا من جزيرتنا ميممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المعدن الثمين ، وسفائننا ملقمة مراسيها بالقرب من غابات ( نيوس ) . ولقد كننا ولا نزال من أحب ضيفان أبيك وأودم إلى عواده ، فلما سمعنا بما حل به من شدة ، وببيته من لأواء ، إستوحينا آهتنا فخبّرنا أنه لا بد عائد إلى وطنه سالماً غاماً ، وأنه لا بد منتقم من هؤلاء الفجار الأشرار .. ولكن خبرني بأربابك ، أى الحق إنك لأنت ابن أوديسيوس العظيم ؟ إن ملاحك تشبه ملاحه ، وإنك لقريب الشبه منه جداً ، وإن هذا البريق الذى يشع من عينيك هو نفسه الذى كان يشع من عيني أوديسيوس ، يا لآلهة ! كم سَمَرْتُ إلى أبيك قبل أن يشد رحاله إلى طروادة ! فهل يُقدَّر لى أن أَسْمَرَ إليه مرة أخرى ؟ إننى من

وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يرنى ... ألا ما أشوقنى إليه !  
ما أشوقنى إليه ! ... »

وشاع بارق من الأمل في نفس تليماك فقال : « ويحك أيها الصديق !  
إننى أنا ابن أوديسيوس ما فى ذلك ريب ، والعالم كله شهيد على ذلك » .  
ثم اختلطت الزرقة بالخضرة فى عيني ربة الحكمة وفالت : « على  
رسلك يا تليماحوس ! إذن فما هذه الولاثم وتلك السُّمط ؟ وهذا الزحام  
من أين أقبل ؟ إنى لأقلِّب ناظرى فى القوم فلا أرى شريفاً ذا حسب  
يستأهل أن يُحتفى به أو يُقام له وزن ! »

ويبتئس تليماك ويحجب : « أيها العزيز ... لقد هاجرت الفضيلة  
من هنا فى إثر المهاجر العظيم ، وكأنها آلت ألا تعود إلا معه ! وكان هو ،  
تداركته السماء ! يلقيها هؤلاء بنظرة واحدة تكفى لتزول منها الجبال ...  
وأبتهاء ! لقد أطمع العاديات فينا بطول نأيه . فيا للنوى ! إننا لا ندرى  
اليوم أين مقره ولا أيا ن مستودعه . ولو قد خر تحت أسوار اليوم لاجتمع  
الإغريق من كل حذب هنا ... هنا ... فى حاضرة إيثاكا ليذرفوا  
دموعهم من أجله ، وليقيموا له نصباً عالياً رفيع الذرى شاهق الأوراق ،  
وليكتبوا اسمه الكريم فى صحائف صدورهم بمداد أبدى من التبجيل ...  
ولكن ! .. وأأسفاه ! ... لقد انتصر انتصار الأبطال ، ثم مضى  
على وجهه وراء البحار فى فجاج الشبح ، وغدونا لا تحلم العين بنظرة مفردة  
منه ، ولا الأذن بلفظة عذبة من لسانه المبين ! ... تباركت يا آلهة  
الأواب ! ماذا عندك من الأقضية الخبيثة لى ؟ الذئاب ! إى يا آلهة



هذه الذئاب ! وحوش البرية التي اجتمعت من كل فج ... من الجزائر  
المتناثرة في البحر ، ومن المدائن المترامية في البر ... من ساموس ودلشيوم  
وزاكنثوس ! ومن كل إقليم وكل مصر ... كلهم يرابطون حول هذا  
القصر ولا يستحيون ... الفساق ! الأوشاب العراييد ! يطلبون يد  
الزوجة الوفية ... الأم المسكومة ... ينلوب ! ينلوب الباكية الحزونة  
المصدعة ! كثر أوديسيوس الذي لا يفنى ! يطلبون يدها ولا يرحون  
وفاءها وبكاءها ولأواءها ... فلا تستطيع أن تردم لمجزها ، ولا تستطيع  
أن تحييهم وهي لا تدري من أمر زوجها ... وهم طوال هذه السنين يريغون  
نعاء أبي ، فكهن في أشربات وآكال ، حتى أقفر الزرع وجف النرع ،  
وما أحسهم مبقين على شيء ... حتى على ! »

\*\*\*

واشال الحنان في فم مينرفا ، إذ هي تحيب الفتى الحزون :  
« ويح لك أيها الفتى ! رحمتا لك يا بني الصغير ! أواه ! لو أن أباك  
هنا اليوم ليزود أولئك المناكيد ! وحق السماء لو أنهم رأوه وهو يلعب  
رحميه أو يداعب سهامه لأجفلوا وولوا مدبرين ! إن له اسهاماً مسومة  
سقاها أبي بعد إذ رفض أن يسمها إيلوس بن مرمريس <sup>(١)</sup> ...  
وهو لو صوبها إلى أولئك المعاليك لأبادهم .. يا رحمتا له ! إن أحداً غير  
— الآلهة — لا يعلم إن كان لا يزال حياً يرزق أو هو قد ابتلعه اليم  
أو عاجلته المنون ... تلياك ! يا ابن أعز الناس على ! إصغ إلى ، وعز الذي

(١) أورد ها هوميروس أسطورة لم نر أن نوردتها تحفماً .

أقول : إنك لست طفلاً بعد ! فلم لا تشمر عن ساعد الجد وتبحث بنفسك  
عن أبيك ! لم ترضى أن يطلع شرف بيتك هؤلاء الفجار ؟ لم لا تكلمهم  
بنفسك في أمر أمك ؟ ولم لا تعرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك  
ليطلبوا إليه يد ابنته إن شاءوا ؟ أليس أبوها أليق لهذا الشأن من كل  
رجل سواه ما دام أوديسيوس لم يؤب ؟ لِمَ يرضون هنا كسباع الفلاة  
يوهون ثروتك ويأكلون مالك ويذهبون بالأخضر واليابس مما ترك  
أبوك ؟ إستمع لما أقول يا تليماك ! نبي القوم فليجتمعوا لك ، ولتسمعهم  
كلبتك ، ولتضارح أمك إن هي أرادت منهم بعلاً فلتنصرف إلى بيت  
أبيها فهو أولى بهذا الأمر من كل أحد . ثم انهض أنت يا ابن أوديسيوس !  
فابحث عن أوديسيوس . أعد ما استطعت من سفين وزاد ، وميرة وعتاد ،  
ولتبهر على بركة الآلهة ، فلتذهب أولاً إلى ( بيلوس ) حيث الحكيم  
الباسل نسطور ، ثم إلى إسبارطة حيث صاحب هذه الداهية منلوس<sup>(١)</sup> ...  
أقلع بملكك إلى هذين فسانلهما أين مضى أبوك فقد تقع منهما له على  
خبر ... ولتسكن لك أسوة في الفتى الجريء المقدام أورست الذي قتل  
قاتلي أبيه<sup>(٢)</sup> ، وفيهم أمه ... بوركت يا أورست ! بوركت يا أورست !  
هلم يا تليماك فقد تعود بأبيك حياً فيرد الشرف والمجد إلى هذا البيت ؛  
وقد تعود به ميتاً فترفع ذكره ، وتقيم قبره ، وتخلد في العالمين أثره ! والآن ،  
فلأنهض أنا إلى رجالى وسمنى . فلقد بعدت طويلاً عنهم ... وكلهم يقين  
يا بني أن تقدر نصيحتي وعلى الآلهة فلتتوكل ! » .

(١) روح هباين أخت بيلوب والتي كانت سبب حرب طروادة .

(٢) أجاممنون .

وحين انتهت مینرقا من هذا الحديث ، حدجها تليماك وقال : « أيها الصديق حبا ، ويا أبر الأوفياء سمعا ! لقد أيقظت في ضميرك أنت أحييته . فألف شكران لك ... أبداً لن أنسى كلمتك : أنا ابن أوديسيوس ! فلا تبحث عن أوديسيوس » وحاول الفتى أن يقدم لمحدثه هدية سنية تكون تذكار هذا اللقاء ، ولكن مینرقا شكرته وأبت أن تأخذ شيئاً « فإذا نجحت في مسعاك يا بنى فسوف أعود ، وسوف أقبل أية هدية منك ! »

ثم انطلقت ربة الحكمة ، ذات العينين الزرجيتين . ولشد ماذهل الفتى ووقف مسبوهاً مشدوهاً حين رأى هذا الأمير ( منتس ) ينتفض انتفاضة هائلة فيكون نسرأ قشعماً يضرب الهواء بجناحيه ، ثم يعلو و يعلو ... فيكون في السماء ويغيب عن ناظريه !

ولم يحس الفتى يوماً بما أحس به الساعة من هذه الذكريات الملحة على فؤاده تهيج فيه الشوق إلى لقاء أبيه ، وجدد الثقة عنده وأكدها فيه يقينه أن إلهاً يساعده ، هو هذا الضيف الذى أرسل جناحيه وغاب في السماء .

وانطلق تليماك حيث جلس الفساق يستمعون إلى أعاني فيميوس ، وحيث وجد أمه في الشرفة العليا تستمع هي الأخرى إلى تلك الأعاريد بين قيانها من وراء ستار صفيق وتبكي ... وتسأل فيميوس أن يتغنى غير هذا الغناء غناء لا يثير شجوها وشجنها ... وتثور الدخوة في قلب الفتى فيصيح بأمه : « علام العويل يا أماء ؟ وما وقوفك هذا للوقوف تسترقين الغناء ؟ وما اعتراضك على المغنى ؟ دعيه فليغنى ما يشاء ،

فلقد غدونا سخرية القضاء وهُزُوَ المقادير . ولقد ذهب أوديسيوس وذهبت معه كرامة هذا البيت ، وإنى لصاحبها بعده ... فادخلي ، وليدخل معك قيانك ، ولتقمن جميعاً بشؤون المنزل ولتتخلين إلى مغزلك ومنسجك ، ودعى كل ما عدا ذلك للرجال ... لى ... لى أنا وحدى : سيد هذا القصر ! »

وأثرت مقالة الان فى نفس أمه ، فاثنت مع قيانها إلى مخدعها بالطابق العلوى ، حتى إذا خلت إلى نفسها ذرفت من الدمع على أوديسيوس ما شاء لها حزنها أن تذرف . أما تليماك فقد انطلق وسط القوم ونادى بأعلى صوته : « أيها الفساق ! يا عشاق أمى ! خذوا فى لهوكم ، وتمتعوا قليلاً أو كثيراً ، فإذا كان الغد فاجتمعوا فى الساحة الكبرى ، فإن لى كلاماً معكم ... سأطالب إليكم أن تشدوا رحالكم من هنا ! أستمعون ! لقد طالما أنلقم لنا زاداً وعتاداً ... ألا فلعلتمسوا الزاد والعتاد من عند أنفسكم ؛ ولتقيموا أفراحكم وولائمكم فى غير هذا المكان ؛ فإن أبيتم فى مستعين بالآلهة عليكم ، ولتقتص منكم السماء بما جرحتم ... » .

وما كاد يعرغ من قائله حتى عضوا على أصابعهم لمفاجأتهم بهذا الكلام الخشن الذى لم يعتادوه . ونهض أنتينوس من مجلسه وقال : « تليماخوس ! لقد حق لك أن تخاطبنا بهذه الشجاعة ، ولكن ... يا لشؤم اليوم الذى تتوجك السماء ملكاً فيه على إيثاكا ... عرش آبائك وأجدادك ! » .

ويجب تليماك : « ليس أحب إلى من الملك حين تخلعه على السماء ... »

غير أن أمره إليكم اليوم إن كان قد قضى أوديسيوس ... أما أنا ... فلا أريد إلا أن أكون سيد هذا القصر ... ولا غرو ... فإن هذا من حقى ! » .

وأجابه يوريماخوس : « إن من حقت أن تقول ما تشاء يا أخانا تليماخوس .. أما ملك إيثاكا فالسواء وحدها تؤتية من تشاء . ولكن قل لنا بربك من هذا الضيف الذى كان معك الساعة ؛ هل من قبل أبيك أقبل ؟ أم إن له عليكم لدينا ؟ إن أحداً منا لم يلقه ولم يره ، ولكننا لحناه من بعد ، عليه سياء النجاسة والجلال . من أين أقبل يا تليماخوس وفيم قدم ؟ ... » .

وأصلح تليماك من شأنه وقال : « أيها السيد يوريماخوس ! إن يقيمى أن أبى قد انتهى ... ولن تغرينى هذه الكلمات المعسولة التى يتشدد بها المنجمون ... أما هذا الضيف ... ف ... هو من أصدقاء أبى أطبعاً ، وقد أقبل لمجرد الضيافة ، وهو الأمير منتس أمير البحارين وسيد نافوس ، وابن سيد هذا الزمان ، الملك الشجاع أنخيالوس . »

قالتا تليماخوس وهو أعرف الناس بضيفه ؛ ثم انثنى كل إلى محبته ، وانثنى تليماك إلى مخدعه بالطابق العلوى . حيث كانت مربيته يوريكليا تنتظره ، وتوقد له الشموع والسررج . يالها من أنثى طيبة تخلص لمولاه وتحنو عليه ... لسرعان ما خلع ملابسه فعطرتها وحفظتها ! ... ولسرعان ما هيأت له فراشه الوثير ...

وقضى تليماك ليلة ناعية ممثلة بالهواجس والأفكار .

## تيماتس بادل العشاق

موهت أورورا<sup>(١)</sup> ، ابنة المعجر الوردية مشرق الأفق ، فهب ابن  
أوديسيوس من مرقدته ، وأصلح من شأنه ، وتقلد سيفه<sup>(٢)</sup> ، ثم انقل  
مختالاً ، كأحد آلهة الأولمب من باب محده ، وجعل يقلب عينيه في هذه  
الخيام المضروبة التي تملأ حديقة القصر ، والتي يشوى فيها أولئك الفجار  
الأشرار عشاق بنلوب ؛ وتلبث قليلاً في القلب لظى ، وفي النفس كلوم ؛  
ثم صاح بالملأ فهبوا مسرعين ، وأخذوا ينسولون إلى الردهة الكبرى ،  
حتى إذا انتظم عقدهم والتأم شملهم تقدم هو متهدجاً نحو عرش أبيه ، وفي يمينه  
رمح ظاميء إلى تلك الدماء النجسة التي تتدفق في أبراد تلك الذئاب ، وعن  
جانبيه كلباه الضاريان ، وفي عيني كل منهما جمرتان . وكانت ميترفا نفسها  
تضفي على الشاب سياء النبل ، وترقرق فوق ناصيته أمواهاً من العظمة  
والحد ، لتقذف منه الرعب في قلوب أعدائه ، حتى لبهرهم أن يروا في  
تيماتس ذاك الضرغامه المختال .

وما كاد الفتى يستوى على عرش آبائه الصيد ، وأجداده الصناديد ،  
حتى نهض شيخ يحمل فوق كاهله السنين الثقال ، وتشتعل في رأسه  
شبية التجار يب وجلائل الفعال . وكان هو إيجيتوس بعينه ... إيجيتوس

(١) ربة الفجر في الميثولوجية اليونانية وإحدى نابات أبوللو وهادي عرته  
— الشمس — عندما تبزع من أبواب المشرق .

(٢) في الأصل ( صفيحته ) وهي السيف العريس Faulchion

المسكين الذى بعث بولده أنتيفوس فى أسطول عظيم وجند لجب - ليشاوك  
فى حرب اليوم مع أوديسيوس ، فنازل وناضل ، وكر وفر ، وجال وصال ،  
وصمد وانتصر... ولكنه... وأسفاه... لم يعد إلى أوطانه فى العائدين ؛  
بل صحب أوديسيوس فى رحلته المشثومة وراء البحار حيث أكله السيكلوب  
الوحش فيمن أكل . وقف إيجيتوس بين أبناء له ثلاثة ، أحدهم من  
عشاق ينلوب ، ثم قال :

« أبها الرفاق ! يا أبناء إيثاكا النبلاء ! إنها أول مرة منذ أن بارح  
أوديسيوس بفلات أكبادنا ندعى فنجتمع مثل هذا الاجتماع . فهاذا  
الذى دعا إليه ، وماذا يبتغى ؛ أنفحة من نفحات الشباب ، أم زفرة من  
زفوات الشيب ، أم خبر من جيشنا الهالك يبشر بعود ؟ اينهض  
باركته السماء فلنحدثنا عما دعانا إليه » .

وتناول تليماك صولجانه من قواسه ، وتقدم حتى كان فى وسط القوم ،  
وجهر فقال .

« أنا أيها السيد الوقور صاحب هذه الدعوة ! أنا تليماخوس بن  
أوديسيوس ، صاحب هذه الدار وصاحبكم ومولاكم من قبل ... لقد  
دعوتكم لأشكو إليكم بى وحزنى ... لا لأزف إليكم بشرىات الجيش  
المفقود الذى لا يعلم مصائره إلا نريوس ! لقد فقدت والدى ، ووالد  
الإيثاكيين جميعاً ، ثم أنا اليوم حبيس هذه الدار ، أسير هؤلاء العشاق<sup>(١)</sup> »

(١) يلاحظ القارىء أن الاجتماع كان عاماً ولم يكن قاصراً على المطاق فقط ،  
بل ضم جمهوراً من أهل إيثاكا كذلك .

الذين يطعمون في الزواج من أمى ، غير متقين في عرضى إلّا ، ولا راعين  
لأبى ذمة ، يُذَبِّحُونَ النِّعَمَ<sup>(١)</sup> ، ويريفون<sup>(٢)</sup> الزاد ، ويعاقرون ابنة العنب ،  
ولا يبالون أن يهلك الزرع والضرع ، ما داموا يقيمون و بطونهم ملاءى ،  
ويسبت غيرهم على الطّوى ... ! لقد استباحوا هنا كل شىء ، ما دام  
لا أوديسيوس هنا فيردعهم ، ولا حول لى فأغل أيديهم ، ولا ضمائر  
فيصيخروا إلى قولى ، ويرحوا ضعفى ، ويذهبوا من فورهم إلى جدى  
فيحطبوا إليه ابنته إن أرادت أحدهم بعلا ، فهو بها أولى وبشأنها  
أحق ... إنكم ضــــمــــاء أيها الإيثاكيون الأوفياء ... ولو  
استطعتم لرددتهم عنى غائلتهم ... فلقد طفح الكيل ، وحزب الشر ،  
وعم الأذى ... والآن ، أوجه إليهم قولى . . ، ولن أستحى أن أصارحكم  
مرة أخرى أيها العشاق ... اخجلوا إذن ! ولتصبغ الفضيلة وحناتكم  
بحمرة الحياء ! أذكروا ما عسى أن يُعيركم به جيرانكم ! واحشوا قارعة تحل  
عليكم من أربابكم ... واتقوا يوم تلقونهم تودون لو تلقفتكم الصواعق ...  
يا قوم ! استحلّفكم بسيد الأولب ، بربة العدالة ثيميس ، إلأما تركتمونى  
أقضى البقية الباقية من أيامى فى شقوتى وحدى ! هل أجرم أبى مرة مع  
أحد منكم فأتتم اليوم تأخذوننى بحيريرته ؟ فيم إذن مقامكم هنا ؟ وفيم  
إذن تبستنزفون آخر قطرة من خمرى دون مقابل ؟ ! إذهبوا ! إذهبوا ،  
ودعوا تليماخوس البائس تحز فى نفسه أشجانه ، وتبرى اصطباره بلواه ! ! » .

(١) اللاشة .

(٢) يدعمون .



ودق الأرض بصولجانه ، وانفجر يبكي ، وكأنما انهمرت دموعه في نفوس القوم ، فوجوا وجوماً شديداً ، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة . حتى نهض أنتفيوس آخر الأمر فقال :

« لله بيمانك يا تليماخوس ! لقد كنت مصقعاً حقاً ! ولكنك لم تصب كبعد الحقيقة حين قصرت علينا اللوم ، وحين لا ملوم إلا أمك ! لقد خدعنا جميعاً طوال سنوات ثلاث كادت أن تتم أربعاً ، إذ رسائلها تترى علينا ، تُحيي في نفوسنا الآمال ، وتذكّي فينا الأمانى ! لقد كانت وعودها تترادف كالبروق الخُلب ، وتترأى كالسراب المضل ! لقد اتخذت لها منسجاً وطعقت تعمل عليه وهي تغر ربنا ، وتقول : « أيها الإغريق : لقد قضى أوديسيوس ما في ذلك ريب ، وكلكم تطعمون أن تفوزوا بزوجه ، ولكن أبي ليرتيس رجل شيخ ، وهو يدب بخطى وثيدة إلى حافة القبر ، أفليس أخلق بي وبكم أن تنتظروا حتى أنسج له هذا الثوب ، لتكون منه أكفانه ، وحتى لا أكون مضفة في مم الإغريقيات إن تركته برغم ثروته الطائلة وليس له كفن يضم رفاته » . ولقد أجبنا سؤالها وتلبنا طويلاً ، نرجو لو تفرغ من نسج هذا الكفن ، بيد أنها كانت تنقص بالليل ما تنسجه بالنهار ، وهكذا دواليك ، ظلمت تخادعنا تلك السنين الثلاث ، حتى فضحت سرها إحدى صيفاتها ، إذ حدثتنا به ، واستطعنا أن نضبطها وهي تنقض غزلها أنكاثاً في ضوء المشاعل ، في جنح الليل ، فأجبرناها على إتمامه بالرغم منها ... هذه هي الحقيقة يا قوم ! والآن ! فلترسل أمك أيها الفتى إلى أبيها ، وليختر لها من بيننا بعلاً ،

أو فلتختر هي لها بعلا ... أما إذا عكفت على ختلها بنا ، فلتتق أن شيئاً منه لم يعد يجوز علينا ، مهما ظلت أنها أحذق من تير و ، أو أكيس من ألكمينا ، أو أبرع من ميسينيه<sup>(١)</sup> ... حسبها ما خدعتنا ! وإنا نقاسمك ياتليماك أننا لن نبرح عاكفين على ما تسكوت ، من ذبح لنعمك ، وإراغة لزدك ، ومعاقرة لحرك ، حتى تختار لنفسها ؛ أو ... فلتعف هذه الدار ، ولينصب معين خيرها .

وشاعت الكبرياء في كل جارحة من جوارح تليماحوس فقال :  
« أتيمسوس ! ماذا أصابك ؟ ! كيف تسألني أن أقهر أمي التي غدتني ونسأتني على غير ما ترضاه ؟ كيف أطردها من قصر بعلمها الذي لا يعلم غير الله إن كان حياً أو ميتاً ؟ لبئس ما أجزيها به ، ولشد ما أغضب أبي وأثير غضب الآلهة على إن فعلته ! ! إنها ستدعو إيرينيس كي تنقم لها مني ، وستنصب على لعنات الناس جميعاً ؟ ! ويحك أيها الرجل ! ان أقولها أبداً ... بل اذهبوا أنتم فسلوها ما ستنتم ؛ فإما أجابت طلبتكم ، وإلا فانصروا غير مأجورين ... اذهبوا .. فأولموا ولا تملكم في غير هذا القصر ، وأريغوا من زادكم ، وأنفقوا مما تحبون ! ! أما إن رأيتم أنه أحلى لكم أن تأكلوا مال غيركم ، فإني سأهتف أبداً بالآلهة أن تقص لي منكم ، فهي محيطة بكم ! .. »

\*\*\*

وما كاد يفرع تليماك من مقالته حتى أرسل سييد الأولمب نسرين

عظيمين طفقاً يضربان الهواء بخوافيهما ، ثم جعلاً بُدْ ومان فوق الملاء ،  
ويقدحان الشرر من أعينهما ... نذيرَي ردى ، وصيحة منوف . ثم  
انطلقا نحو المدينة وغابا فى ظلام البعد .

وشده القوم ، وريعت أفئدة العشاق ، وأخذوا يتخافتون ... ثم  
نهض فيهم القديس هاليتير بن نسطور المعروف بورعه وصدق نبوءته ،  
فقال :

« أيها الناس ! يا أبناء إيشاكا ! اسمعوا وعوا ! ليحذر العشاق العاميد  
ما يخبيء لهم الغيب من شر أوشك أن ينقذف على رؤوسهم ! إن أودسيوس  
حى يرزق ، وإنه عائد إلى وطنه ، بل إنه ليُغذِّ السير إلى هنا ! وإنه ليحمل  
الموت الأحمر إلى خصومه ، والخير الأخضر إلى مواطنيه ! أنا هاليتير ،  
قدئسكم الذى لا يكذب قد أنبأته قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك النبأ  
وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه ، ويذيقهم ضعف ما صنعوا ،  
ولن يجديهم أن يتوبوا أو يندموا ... وليأتينكم نبؤة بعين حين ! » .

وسخر القوم منه واستهزأوا به ، وقام يوريماك يرحمه بهذه الكلمات :  
« انقلب إلى دارك أيها العجوز الخرف ! هلم إلى أحفادك الكسالى  
فتنبأ لهم بما ينبغي أن يأخذوا حذرهم منه ! لقد قصف المنون  
عود أوديسيوس الفينان . فليتة قصف عودك كذلك ! طير ؟ ! ها !  
إن الطير طالما يستنسر فى سماء إيشاكا ؟ إن أكبر الظن أنك تطمع فى  
منحة من ابن مولاك تليماك ... واسكن اصغ إلى ؟ لتكن لك منحة منا  
إن تنبأت له عما يكاد يذهب بك وبه من بطشتنا إن لم يختزلنفسه !

أسمعت ؟ لقد بصحننا له أن يرسل أمه إلى بيت أبيها ليختار لها السكف الذي ترضي ، فلم ينتصح . وأنا أوسلها كلمة صريحة في غير مين ، أننا لن نبرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخير ، حتى تخضع بنلوب ، فتمضي مأجورين ... وثق ، أيها الشيخ المهيب الخرف أن نبوء أنك لن تفزعنا ، بل هي تضاعف سخطنا عليك ، وبغضاء نالك ... ألا ما أطيب الإقامة هنا ؟ ! لنزدد بنلوب عناداً ، فإننا لا نزداد إلا جلاداً .. » .

ونهض تليماك فقال :

« على رسلك يا يوريماخوس ! وعلى رسلكم أيها العشاق جميعاً ... لقد أرسلتها كلمة حق فلم تستمعوا لها ! أبدأ أن أضرع إليكم مرة أخرى ... الآلهة بيني وبينكم ، والإغريق أجمع أعلم بأمرى وأمركم ؛ غير أن لي طلبية إليكم بوهي لو أنلتموني إياها ... فهل تسمحون لي بمركب وعشرين بحاراً فأقلع من فوري هذا إلى بيلوس ثم إلى أسبرطة ، عسى أن أسمع خبراً عن أبي ، أو ألتقف نبوءة من سيد الأولب الذي بيده ملكوت كل شيء ... إني إذا أيقنت أن أبي لا يزال حياً فقد أوفق إلى العثور عليه ولو بعد حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فإني عائد إلى إيثاكا ، فقيم له نصباً يتفق وهذا المجد الباذخ والذكر التليد ، ثم يكون لي مطلق الحرية في منح أحكم يد أمي فتكون زوجه الخلسة إلى الأبد ، بعد أن أتم لأبي كل المراسيم الجنائزية ، لتقر روحه العظيمة ، وتسكن إلى ربها في ظلال هيدز<sup>(١)</sup> . »

(١) اسم الدار الآخرة في الميثولوجيا .

وكان في المجتمعين رجل تبدو عليه مخايل النبل ، وتعتقد في رأسه  
حمرات المشيب ، تهالك على نفسه حين وقف ينافح عن تليماك ، فإذا هو  
الشيخ منظور ، الذي كان أوديسيوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره  
إلى طروادة ، لصداقة قوية كانت تجمع بينهما .. قال منظور :

« إسمعوا إلى يا أهل إيثاكا ! ما لكم اليوم قد نسيتم آلاء ملككم  
أوديسيوس عليكم ، وهو الذي كان يرعاكم كأب ، ويفدق عليكم من  
خيشه العميم ؟ ما لكم قد تقاعستم دون هؤلاء العشاق الذين يذهبون  
بغير مولاكم ويأكلون مال ابنه بغير الحق ، وهم قلل وأنتم كثر ، آمنين  
مطمئنين ، لا يرهبون أوبة معاجئة من البطل الشريد ... ؟ » .

وهاجت كلمة الرجل كوامن العشاق فهب أحدهم وهو ليوكريتوس ،  
يقول :

« رويدك يا منظور ! أيها الثائرة العجول ! كيف تجربو أيها الرجل  
فتشير الشعب على العشاق وهم سادتك ؟ هل أعجبتك كثرتهم يا منظور ؟  
إذن فأبشر بعجزهم دون ما ابتغيت ، وثق أن ملك إيثاكا نفسه لن  
يستطيع معهم شيئاً إذا حاول إحراجهم من بيته هذا ، إذا قدر له يوماً  
أن يعود ؛ إنه إذا فعل فسيذوق وبال أمره ، ولن تنال منا حافلاتك  
ولا نبوءات هاليتير ، وبنلوب نفسها لن تسر بأوبة أوديسيوس ؛  
ولكن اسمع أيها الشيخ ، إنه لن يضربنا أن يذهب تلياخوس فيذرع البحر  
باحثاً عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء ... » .

وتفرق القوم ، وأهرع العشاق إلى حياهم ، وانقلب تليماك إلى

سيف البحر ، حيث وقف فوق صخرة نائمة يناجى مينرفا :

« أيتها الربة المباركة ! يا إلهة الحكمة مينرفا ! يا من كنت أمس  
ضيفة مكرمة تحت سقف هذا البيت ؛ أصلى لك ، أنا تليماخوس التمس ،  
وأبتهل أن تباركينى وتسددى خطواتى ، وأن تكونى رائدى الأمين فى عباب  
هذا البحر ، وأن تشدى أزرى وتكونى معى إلباً على هؤلاء الفساق  
العرايد ، وأن تشرقى فى ظلماتى البعيدة ، وأن تحلى أماناً وسلاماً على ...  
يا مينرفا ، يا مينرفا ، إستجيبى يا ربة العدالة ... » .

واستجابت مينرفا ، وأقبلت فى صورة الأمين منطور حتى كانت قبالة  
تليماك ، ثم شرعت تكلمه كلمات هن أروح من أنفاس البحر ، وأندى  
من نسائم الورد ، وأعذب من قطرات الندى :

« السلام عليك يا تليماخوس ! السلام عليك حين تثبت أنك ابن  
أوديسيوس الوفى وفرع دوحته الوارف ، وحين تبدو فيك بدوات من - وله  
وطوله وقوة بأسه ، وحين تطلع على بركة السماء وفى عناية الآلهة ورعاية  
سيد الأولمب ؛ ؛ فى رحلة لن تكون عبثاً ... أنت ابن أبيك يا تليماك ...  
أتى بك من ينلوب .. وآية ذلك هذه الروح القلقة التى تشيع فيك من  
أجله ، وهذا الجبروت الذى هو نفحة منه ، وذاك الصوت الجبار الذى  
يتلجج فى فكك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد الذى هو  
قبس من ذهنه العظيم . بشراك يا تليماك ! لا يحزنك خبال أعدائك .  
فقد أوشك القضاء أن ينقض على رؤوسهم فيحط بهم ... أنا ... أنا هذا  
الشيخ المهدم ، صديق أبيك وأمينه منطور ، سأكون معك ، وسأخدمك » .

وأسهر عليك ، وأفديك ، .. لكن لتمض الآن فلتعد للرحلة ما هو حسبها  
من زاد وعتاد ، ونخبة أولى بأس من رجالك الأقوياء ، وسأنتقى أنا نفسي  
أشدّهم مراساً وأصدقهم غزيرة ... إمص على بركة الآلهة ... إمص ..  
إلا وقت لدينا فنضيّعه . هلم .. » .

وسكنت مينزفا ... ولكن حرارة كلماتها أشرفت بالآمال في نفس  
تليماك ، ذهب وقلبه يخفق بألف أمنية ... إلى القصر . حيث رأى  
العشاق يُذبحون ويعدون نار الشواء ، وحيث قفز أنتينوس للقائه ساحراً  
مستهنئاً :

« تليماك ! ناشدتك الآلهة إلا ما شاركتنا غداءنا واطرحت بغضائك  
هنية ! هلم ! تمسّ من هذه الخرق قفلاً أيها الصديق . لا يشفلك أمر  
هذه الرحلة .. فقد أسرنا أن يعد لك الأخيون سفينة عظيمة وقدرأ من  
الزاد كبيراً ، وعصبة من الرجال أولى قوة ... وستبحر قريباً فتذرع  
البحار وراء أبيك . هلم ... هلم . »

ولكن تليماك عبس عبوسة فائمة ثم قال :

« أنتينوس ! إليك عني فما أستطيع مشاركة خصوصي السفلة غداءهم ،  
ولا لي قلب فأشرب النخب من يدك ! لا بورك لكم هذا الذّبح الذي  
لا يحل لكم ، والذي استبحتموه من غير حق ، إذ أنا طفل أحبو ...  
أجل ! لأستعجلن لكم الخراب ولأسعين في حتفكم ، ولأذهبن إلى  
بيلوس فأنتصر إذ عزني النصر في إيشاكا ! أيها الذئاب ! حتى سفائتي  
وعتادي تنكرونها علي ! » .

وكان اللثيم قد أمسك بيمن تليماك كالمصافح المستهزيء ، ولكن تليماك جذبها ساخطاً ، وترك السكّاب تغمره وتلمزه ، وتستهزئ بهذا العون الذي يرجوه من بيلوس ، وتلك الجحافل التي يأمل أن يجردها عليهم من أسيرته ... « ومن يدري ؟ فقد بهتدى إلى إيثير المشرقة ، فيجد في أعشابها بقلة يدس لنا منها في كؤوسنا فتريحنا منا ... » ... بل من يدري ؟ فلقد يتلعه اليم كما ابتلع أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة ! إنا إذن نقسم هذا المتاع وتلك الصياع ، ثم نهر أحدنا الذي تختاره بنلوب بعلاً لها ، هذا القصر المنيف ! . »

تركهم تليماك ، ومضى قُدماً إلى غرفة أبيه بالطابق العلوى ، حيث كنوره التي لا تقدر ، من عدة للحرب وذهب مدّخر ، وخرة معتقة . وروح أذفر ، وخز وديباج ، ودُرّ وجوهر ، ومغافر<sup>(١)</sup> أعدت لليوم المنتظر . يوم يعود أوديسيوس فيظفر ويقهر ، ويظهر بيته من ذاك الدهر .. ووجد عندها حارستها يوريكيا فصاح بها :

« ربيبة ! يوريكيا ! هيا ! صبي من خرك في زقافى ! من مدامتك التي ادحرتها لأبى .. لا ... لا .. ليس من صموتها يا ربيبة ، احتفظى بصفتها له ، املئى اثني عشر دِنًا ، وهينى عشرين جِوالًا من دقيق ، هيا .. أعدّوها كلّها لتحمل إلى سفينتى بعد أن تنام الملسكة . لا يعلمن أحد بأمر رحلتى إلى بيلوس وأسيرة ... حتى ولا أمى ! سأرحل ثمة ... سأسمع أخبار ... »

وصمت تليماك هنيهة ... واستعبرت ربيبته يوريكيا ، وأرسلت هذه

(١) المغر والمعمرة زرد باسنة المحارب تحت اللسوة .



الكلمات على أجنحة من الحنان ، وفي أنسام من الرحمة :  
 رويدك يا بنى ! أى سفر وأى نوى ! لقد انتهى أوديسيوس وانتهى  
 معه كل شيء ! وهو اليوم رفات سحيق فى رمس عميق فى بلد لا نعرفه !  
 أتسافر يا تليماك ليأتىمر هؤلاء الذئاب ، وقد يسلطون عليك من يغتالك ،  
 ثم يستصفون كل مالك بعد ذلك ؟ حاشاك يا بنى ! لتبقى معنا نحن الذين  
 أحبيناك واصطفيناك ! فيم تذر عباب هذا البحر ولا رجاء لك فى مطمح .  
 ولا ثقة لك فى شيء ؟ » .

وأجاب تليماك فى رفق :

« رويدك أنت يا ربيبة ! إني لم أعزم شيئاً من تلقاء نفسي ... إنها  
 السماء هى التى توحى إلى ! ولكنى أستحلفك بكل أربابك ألا تقضى  
 شيئاً مما اعتزمته على أى إلا بعد أحد عشر يوماً أو اثني عشر يوماً من  
 رحيلى ... فإنها لو علمت بسمرى لأظلمت فى عينيها مباهج الحياة وذهبت نفسها  
 على حسرات » .

وأقسمت يوريكليا بكل أربابها ، واثنت تهي دنان الخمر وأحال  
 الدقيق .

أما مينرفا ! أما ربة العدالة والحكمة الخالدة ، ذات العينين  
 الزبرجديتين ، فقد يمت شطر البحر وقصدت إلى المرفأ ، حيث لقيت  
 نعيمون بن فرونيوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواريه للمنشآت ،  
 فأعد لها واحدة من خيارها . وما كادت ذكاء تليج فى خدر الأفق ،  
 وما كاد الشفق يبكى فيصمغ بدموعه جبين السماء ، حتى كان الملاحون قد

هياًوا القلوع ونشروا الشراع ، وخبروا مجاذيفهم وأحضروا عددهم ،  
وتزودوا من السلاح ؛ وكانت مينرقا نفسها تستحشهم ، فسرعان أن تهادت  
السفينة ، ورقصت نشوى فوق هامات الشبح

وذهبت مينرقا ، في صورة منظور وفي طيلسانه فأشرفت على عصابة  
العشاق ؛ وتمتت بكلمات فانتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب النعاس  
ملء جنونهم ، وكانت الكؤوس لا تزال تقهقه في أيديهم ، فسقطت عن  
غير عمد لتسقى الأرض من تحتهم شراباً !

وظفقا ، تحت طائف الكرى ، ينسلون إلى خيامهم ...  
وأدلفت مينرقا نحو القصر لتلقى تليماك :

« تليماك ! هلم ! البدار ! أنت هنا وكل رفاقك في الفلك المشحون  
ينتظرونك ! هلم ! يجب ألا نضيع وقتنا سدى »  
ونهض تليماك ! وسارت مينرقا ، وسار هو في أثرها حتى كانا عند  
سيف البحر ، وحتى أشرفا على السفينة .

« مرحباً يا رفاق ! هلموا فاحملوا هذه الدنان وتلك الأحمال إلى  
السفينة ! لا أحد يعلم أمر رحلتنا حتى ولا أمي ! إلا ريبقي ! »  
وامتثل الملاحون أمر سيدهم ، ثم تقدمت مينرقا فركبت السفينة  
ومن ورائها ابن أوديسيوس وجلست هي عند الدفة ، ونشط البحارة فهياًوا  
للمركب ، وحدجت المغرب ربة العدالة بعينها الزبرجديتين فهبت النسائم  
رخاءً ، ورقصت تحتها الأمواج من طرب ، وانتصب تليماك واقفاً يحث  
رجاله ؛ واضطرب الماء تحت السفينة واصططخبت ، وصب القوم

دنانا من الحجر تقدمه للآلهة وقرباناً لمينرفا وتحمية لا تبديد !  
واحلوك الليل وتبدجى غيبهه ؛ ثم احباب ظلامه عن فجر مبين !

## في بيـلوس . . .

تليماك يسأل نسطور عن أبيه

بررت ذكاء من لجة المشرق فصبغت آرادها<sup>(١)</sup> الذهبية جبين  
الأفق النحاسي ، وسكبت الأضواء الجميلة لتهدى إلى السبيل السوى ،  
وألقت السفينة مراسيها تلقاء بيلوس ، مدينة نليوس<sup>(٢)</sup> ؛ حيث وجدوا  
القوم على الشاطئ يقربون القرايين باسم بوسيدون ، ذى الشعر  
الالاروردي ، وقد جلسوا فى صفوف تسعة ، وفى كل صف خمسمائة  
تسيخ عتيد . وذبحت كل فئة قرايينها : تسعة عجول سمّان ذوات خوار ،  
وأكلوا الحوايا<sup>(٣)</sup> ، وضخوا بالسواعد والأنفاذ ؛ ثم أقبل تليماك وبين يديه  
مينرفا تنهادى وتقول :

« تليماخوس ! تشجع يا بنى ، ولا تجعل للاستحياء سبيلا إلى نفسك ،  
وتقدم إلى أمير هذه البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار  
عن أبيك ، وقد يجلولك الشكوك التى تخامرك ، وثق أنه لن يخفى عليك  
من أسره خافية ، فقد تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس . »

(١) أشعة الشمس .

(٢) نليوس هو ابن بوسيدون ( نپتون ) إله البحار والد أعاء أو بيبوس

(٣) الأمعاء وما إليها .

ويقول تليماك :

« أواه يا منطور ! ما أحسبني أقوى على لقاء الرجل ، وأنا من تعرف من قلته الشأن ورقة الحال أنا الفتى الحدث . أتى لى بقاء الشيخ ذى التجار يب ؟ »

وتحييه ذات العينين الزرجديتين .

« لا عليك يا بنى ! إن هى إلاكات تقولها وعلى الله قصد السبيل ! العالم كله يعرف أنك نشأت فى ظروف قاهرة ما كان لك بها يدان ! » ودلته مينرفا ، ودلف فى إثرها تليماك ، حتى كانا فى وسط القوم ، وحيث جلس نسطور العظيم بين أبنائه ، وحيث اشتغل أهله بالشواء ، وهب الجميع للقائهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ، بيرستراتوس ، فصاحفهما هاشاً ، وتلقاهما باشاً ، وأجاسهما فوق الفراء الملبثوث إلى جنب أبيه ، وأحياه الأصغر تراسميديس ، وقدم لـكل مصغة من هوية ، ثم كأساً ذهبية من خمر معتقة ، تذوقها قبل أن يحبى بها ، ثم قال مخاطباً مينرفا :

« مرحباً بك أيها الصيف المكرم ! لقد شرّفت فى عيد نيتيون ، وبودنا لو أفرغت باسمه ما فى هذه الكأس من خمر صلاة له وزكاة ! ورجو لو أشركت فى التقدمة زميلك ، فما أحسبه إلا محباً للآلهة ، خابتها لها »

وتبسمت مينرفا ، وتناولت الكأس فى وقار ، وأرسلت هذه الصلاة

باسم رب البحار :

« نبتيون العظيم تقدس اسمك ، وأحاط باليابسة ملكوتك .. يا منقذ الضالين ومغيث المتضرعين ، أدرك بلطفك التائبين إليك ، ونجهم من دأمائك ببركة أسمائك ، مولاي وتقبل من نسطور ومن ذريته ، وتقبل من جميع أهل بيلوس أضحيتهم ، ثم تفضل يا مولاي فسد خطي تليباخوس وخطاي إلى ما أقلعنا فوق هذا المركب الشاحب من أجله ... آمين آمين ! »

وتناول تليباخوس الكأس بدوره ، ثم أفرغ ما فيها ، وتمتم بصلاة قصيرة ؛ وبأكاد يفرغ حتى تفرق المدعوون من أهل بيلوس طاعمين شاكرين ، إلا مينرفا وصاحبها ، وإلا نسطور وولديه ثم قال نسطور :

« أما وقد فرغنا من غدائنا فإذا أيها الوافدون ؟ من أنتم ؟ ومن أين حملكم هذا البحر ؟ أتجار أنتم ؟ أم قرصان تملأون الشطآن ذعراً وفزعاً ؟ »

واستجمع تليماك شجاعته ، ونفخت فيه مينرفا من روحها ، وتكلم فقال :

« على هينتك يا ابن نليوس العظيم ، يا نخر هيلاس ؛ إني أنا ابن صديقك وصفيك أوديسيوس ، سمعت إليك من أقصى الأرض أسمائك عن أنى ! أنى ! صفيك وخليك الذي صال معك تحت أسوار اليوم وجال ، ثم لا أحد يعرف من أنبائه اليوم شيئاً ! لقد انتهت إلينا أخبار الأبطال اليونانيين جميعاً وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه . أين رقد ؟ وأنى

ثوى؟ وأيان قرت رفاقته إن كان قد شالت نعمته ، أو مضى على وجهه في الأرض إن كان لا يزال حياً ... إن الآلهة نفسها لا تشاء أن تدلنا من أخباره على أثر . ولشد ما أخشى أن يكون قد ثوى هناك ... في أعماق مملكة نيتيون ، مع الجميلة أمفريت<sup>(١)</sup> . لذلك سمعت إليك يا نخر هيلاس كما تحدثني عن أبي ، وكما تذكر لي بعض ما تعرف عما ألم به إن كنت قد شهدته ، أو تقص على ما عسى أن تكون قد سمعته من بعض حاشيتك التي تجوب هذه البحار . قل . تحدث يانطور ، ولا تخف عني شيئاً ... قل ... إني أستحلفك بكل ما كان يفتديكم به في ساحة اليوم أن نقص على أنبيائه . لقد كان يحبك ويحلك ويوقرك ، فاجز ابنه بعض ذلك »

وكأنما رأى نسطور حاملاً لذيذاً فقال :

« ويحك أيها الصديق الشاب ! ما أروع ما هيئت ذكريات الماضي المنعم بالاشجان ! ذكريات السادة الذادة والمغاوير الصناديد ، الذين سقطوا تحت أسوار اليوم العتيدة فأروا ثرى الميدان بدمائهم ، وسطروا آية الجذب بمهجيم ! إيه أخيلوس ياسليل الآلهة ؛ وبتروكلوس يامعجز الأنداد والأقران ؛ وأچاكس ! أچاكس الذي كان أمةً وحده ! لقد رقدوا جميعاً تحت قلاع بريام الجبار الشيخ ! ورقد معهم ولدى آه ياولدى ! أواه يا قطعة قلبي وفلذة كبدي وثمره حياتي وسؤددى ! يا أشجع الشجعان يا أنتيلوخوس ! أية قصة وأية مأساة ؟ ! يا رعاك الله أيها الشاب

(١) مملكة البحار وروجة نيتيون .

الحزون ! أنى لى أن أقص عليك أحداث سنين تسم كانت هموماً متصلة  
وأحزاناً فاجعة وآلاماً تتسعر في جميع القلوب ! ؟ أى لسان ذرب يقص  
فلا يمل ، وأى مقول رطب يحكى وما يعي ؟ ألا لو أنك أقت تسمع  
الأعوام الطوال فما أحسب القصة تنتهى ! القصة التى لم تُجَدِ فيها شجاعة  
الألوف لولا خدعة أوديسيوس وحيلته ، وطول أناته وهمته !  
ولكن حدثنى بربك أيها الشاب : أإنك حقاً لولد أوديسيوس ؟  
أجل ! إنك بملاحك وقسماتك غصن دوحته ، وإنك بكلماتك العذاب  
عسلوج أرومته ! أوّه ، أوديسيوس ! يا رفيق الشباب وحبيب القلب !  
أشد ما تعتلج في النفس تلك الخاتمة الهائلة التى قضاها على الأرجيف (١)  
سيد الأولمب ، غب انتصارهم ، وقبيل أوبتهم ! لقد حنقت مينرفا على  
ولدى أترىوس إذ تنازعا فقال قائل منهما نضحى لربة العدالة عند سيف  
البحر تلقاء اليوم ، ولكن الآخر أبى ، وأبجر على أن يقدم لها القرايين  
في أرجوس ! ياللعسين ! أجاممنون البائس ومنلوس المسكين ! إنهما لم  
يصليا لمينرفا فحاق بهما غضبها ، وعبثاً حاولا بعد ذلك أن يترضاها !  
اختلف الأخوان ونام الجند حتى مطلع الفجر ، ثم ألق نصف الأسطول  
في موج ثائر مصطخب من غضب الآلهة ، بقيادة أجاممنون ، وما هي  
إلا سويغات حتى هدا أيم ونام الموج ؛ وبلغنا تندوس فذبنا الأضحيات  
باسم الآلهة ، وسبحنا رب البحار نيتيون ، فتطامن العباب ؛ واسكنا ما كنا

ندري ما تنسجه يد خوف<sup>(١)</sup> حولنا ، بل لم يكن يخامرنا أقل شك في وصولنا إلى الوطن سالمين . ذلك أن أوجه النظر اختلفت ثمة ، ونشب بين القادة نزاع في الرأي : هل يقلعون من تندوس ، أو يتلبثون بها حتى تنجلي العاصفة التي شرعت تهب في عنفوان وشدة ؟ وهنا ، أثر ملاحو أيبك أن يعودوا أدراجهم بسفائهم إلى طروادة ، وذلك مجاملة للقائد العام . بيد أني لم أر هذا الرأي ، بل فرت من العاصفة بسفائي إلى جزيرة لسبوس ، ولحق بنا ديوميدي ، ثم وصل منلوس في إثره ؛ وأرسينا ثمة ؛ وانتظرنا إذناً من السماء ، أو قل بارقة من الآلهة ، نقلع بعدها . وكانت العاصفة تشتد وترقص فوقنا ومن تحت أساطيلنا ، فلم نرُ بداً من المجازفة وإلا تكسرت جوارينا على الصخور وفوق الأواذي ، ... يا لاهول ! لقد بلغت قلوبنا الحناجر قبل أن نصل إلى جيرستوس ! حمداً لك يا نيبتون وثناء عليك ؛ وقل أن نذبح باسمك ألف قرمان من كل عجل جسد وكبش حنيد ! ولقد فاز ديوميدي فوصل بمجنوده سالمًا إلى أرجوس ، وكذلك فاز الجبابة الميرميدون ، جنود أخيل ، بقيادة شبه العظيم نيوبتوليموس ، فوصلوا إلى أوطانهم غانمين ، ووصل من بعدهم فيلوكتيتيس .. كذلك وصل أجاممنون وليته لم يصل ! لا ريب أنك سمعت بما حاق به ! لقد قتله الحجر إيجستوس<sup>(٢)</sup> ، ولكنه دفع روحه ثمنًا لفعلته ؛ إن العيش لم يطب لابن أجاممنون حتى ثأر لأبيه ، فانقض كالصاعقة على قاتله وغاله بيده !

(١) روس أوجويتر كما يسميه الرومان وهو كبير الآلهة

(٢) يحد القاري شرح ذلك في كتابنا إلى ( إسكيلوس والمسرح اليوناني )

إن شاء الله .



يا للفخار أيها الصديق الشاب حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك في سجل الخالدين ! » .

وشاع العُجْبُ في نفس تليماك ، فقال :

« ويك نسطور ! إنه سيكون انتقاماً عادلاً بحق السماء ، وستنقذ الأجيال القادمة بقصته ، وسيرويه الخلف عن السلف . كم ذا وددت لو مكنت لى الآلهة فى أعناق هذه العصابة الفاجرة من العشاق الآثمين الذين يدلون على بَعْدَدهم وعُدْدهم ، والذين يقذفون فى وجهى بالإهانة تلى الإهانة ... واأسفاه ! ليت شعرى لم لا تؤيد الآلهة حقى على باطلهم ؟ لقد نفذ اصطبارى وكلت حيلتى ... فماذا أعمل ؟ »

وقال نسطور : « أيها الصديق ، لقد أذكرت منى غافلاً . ويحك تليماخوس ! لقد تناقل الناس ما كان من حماقة هذه الطغمة التى تستبيح عرض أوديسيوس ، وتستنزف ثروته ... ولكن ، من يدرى ؟ هل أمنوا أن يعود يوماً فيستأصل شأقتهم ، ويديل منهم ، وتكون له الكرة عليهم ؟ لقد كان أبوك العظيم حبيب مينرفا وصفيها ، وهى لا بد آخذة بناصرك كما أخذت بناصره من قبل ، وهى لا بد مدركتك وشيكا ، وحائلة بين أعدائك وأعداء أبيك ، وبين هذه الزمجة المحرمة » .  
ويجب تليماك :

« ألا من يدرى ؟ إنه لا أمل لى فى ذلك قط ! آه أيتها الأحاسيس الغريبة التى تجيش فى قلبى ! الآلهة فقط هى القادرة على تحقيقك بمعجزة ! »

وهنا ، حدثته ميمرثا بنظرة هائلة من عينيها الزبرجديتين ، وقالت له :  
 « تليماحوس ! أية كلمة هائلة زل بها لسانك ؟ ما أيسر على الآلهة  
 أن تقول للمستحيل كن فيكون ! أنا نفسي كم تجشمت أهوالا في أسفاري  
 ثم عدت بعناية أربابي سالماً إلى أرض الوطن ؟ بل كم من أناس ظنوا  
 أنهم نجوا من الموت في يم غشيمهم بموج كالأطلال ، فلما وصلوا إلى البر  
 حاقت بهم منايهم كما حاقت به منيته أجاممنون ، حين خر صريعاً بيد  
 إيجستوس الأثيم، وبد زوجه الملكة<sup>(١)</sup> الغادرة الفاجرة الزنيم! حقاً ، إن  
 الآلهة لا تملك أن تحول بين المرء وبين المنون ما دام قد جاء أجله ، مهما  
 يكن حبيبها وأعز عبادها عليها : »

وعبس تليماك عبوسة خفيفة ، وقال :

« مهما يكن من الأمر فلندع هذا الآن يا منطور ! انني لا أله لي مطلقاً  
 في عودة أبي ، ولكنها أفضية من السماء ومقادير أن أذرع وراء البحار ،  
 وأن أعود فأسال نحر اليونان نسطور ، اللبيب الأريب الذي حكم كما هو  
 ماثور أجيالاً ثلاثة ، والذي يتألق في عينيه سناء الآلهة ... أعود فأسأله  
 كيف قتل أجاممنون ؟ وكيف تمها لايجستوس أن يقتله ، وهو من هو  
 أعلى منه نسباً وأعز حسباً وأشرف قدراً ، وأين كان منلوس الملك  
 شقيق أجاممنون ؟ ألم يكن قد عاد بعد إلى أرض الوطن أم كان لا يزال  
 يطوى الآفاق ، فشجع ذلك إيجستوس ونفخ في قلبه ؟ » .

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب فإنني قاص عليك نبأ

---

(١) كليتمه ستر

ما لم يأتك به علم ... تأله لو لم يُقتل إيجستوس قبل عودة منلوس ،  
 ما أقيم على رفاة جدث ، وما بكت عليه عين ، ولألقى يده النجس  
 لكلاب البرية وطير الفلاة تنفوشه وتمرقه وتغتدى به ، جزاء فعلته الشنعاء  
 وجرمه الذميم وخطيئته التي لا تغتفر . إصنع إلى . لقد أناب منلوس  
 عنه حارساً أميناً يسهر على أمور المملكة ... ذاك هو أتريدس الحميم ،  
 الذى تغفله إيجستوس ، واتصل بمولاته سرّاً وهو لا يدري ، واستطاع  
 أن يدبر معها هذه المؤامرة الشنيعة التى انتهت بنفى الحارس الأمين ثم قتله  
 فى رية موحشة غالبته فيها السباع الصارية والأوابد<sup>(١)</sup> الكاسرة ، حتى  
 إذا حلاهما الجوارس له المملكة القياد فحكم وساد ، وطغى واستبد ،  
 وسلط على البلاد أعواماً سبعة طوالاً .. كل هذا والسماء ساهرة لا تغفل ،  
 فقد عاد أورست بن الملك الغائب ، وابن الملكة الفاجرة ، فأنقذ عرض  
 أبيه وقتل الوحش اللثيم الذى دنس شرف المملكة ، واطنخ بالوحل هذا  
 الجحد الأثيل ، ثم قتل أمه .. أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأرجيف  
 البؤساء يحتفلون بهذا النصر ويصلون للآلهة التى أنقذتهم من ذاك الشر ...  
 وبينما هم فى أفراحهم وانفراحهم إذا بالملك العظيم يصل بأساطيله بعد  
 رحلة طويلة محفوفة بالخطار ... فلقد أبحرنا ( أنا ومنلوس ) من طروادة  
 معاً ، وماكدنا نبلغ صنيوم<sup>(٢)</sup> ، أول مرافئ أثينا ، حتى وقع ما لم يكن

(١) الوحوش .

(٢) sunium

لنا بحسيان . ذلك أن رب الشمس أيلولو عال بسهامه التي لا تطيش  
ربان الأسطول العظيم ، فرونتيس ، فاضطر الملك أن يلقي مراسيه حتى  
يصل على صديقه و يقيم الشعائر على جثمانه ؛ ثم ألقه ، وما كاد ، حتى  
اضطرب البحر ، وفمرت اللجج أهواها ، وتدافع الموج حول الأسطول  
كالجبال ، وعتم الجو ، وعامت السماء ، واقبضت الصواعق فانشعب  
الأسطول وتفرقت سفائنه ، وانشطرت وحداته ، فبعضها شرق ، وبعضها  
غرب ، وبعضها يمم شطر سيدون عند كريت ، وبعضها اتجه برغمه نحو  
شطلان مصر ، وبعضها غاص إلى الأعماق ، وخس فقط ... وصلت بعد  
طول الجهد إلى هنا »

« بى .. أيها الصديق الشاب . أخلق بك أن تذهب من فورك  
إلى منلوس فتسأله عن أبيك ، فلقد لقي الأهوال في البحر ، ولا ريب  
أنه سمع كثيراً مما جرى فيه من مختلف الأمم في رحلته المشتومة ... سلم  
إنطلق اليه ... وإن لم تسعفك سفينتك فأني بمدك بكل ما تحتاج من مركب  
البر أو البحر ، وهام أولاء رجالى معك أينما توجهت ، بل هاهم أولاء أبنائي ،  
ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى منلوس ، فإن عنده الخبر اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد نشر ظلامه فوق  
الطبيعة المنهكة الخاملة فهضت ابنة زيوس العظيم ، مينرفا الخالدة ، وهي  
لا تزال في صورة منطور أمير البحر وطيلسانه ، فقالت : « مرحى يا فخر  
هيلاس ! لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ، البدار البدار ، قطعوا

ألسن القرابين<sup>(١)</sup> وأريقوا الخمر باسم الآلهة ، وباسم نبتيون قبل كل شيء ... »

وانتشر الولدان بين المدعوين يصبون الماء على أيديهم بعد إذ أدوا التحية الخمرية المقدسة لأربابهم ، ثم تفرقوا شيعاً ، ونهض تليماك وصاحبه لينصرفا ، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا يارفاق ! أتما ضيفي<sup>(٢)</sup> ، فكيف تبيتان في سفينتكما تحت ظل الليل وهذا بيتي فيه كثر لكما وفراش وثير ، وفيه ، والحمد للآلهة ، خير كثير ، وهؤلاء أبنائي سماركا ، وهم ثمة طوع لكما »

وشكرت مينروا الملك عطفه ثم قالت : « بوركت أيها الملك ، ليبقى تليماك هنا ، ولأَمْض أنا إلى البحر لأسهر على صوالح مركبي ، ولأطمئن بحارتي ، فكلهم أتراب تليماك ، وكلهم متطوعون لخدمته وفاء وحبا ، وليس يحمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة ، على أن نطلع صبيحة الغد إلى كوكون ، ولتأذن فتمنحه عربة وزوجاً من صافنات جيادك ليلحق بنا ثمة ، يصحبه أحد أبنائك ، مادمت قد عرفت فيه ابناً لأعز أحبائك وأوفى أصدقائك »

ثم حدثت المعجزة ... فإنه ما كادت مينروا تتم كلامها ، حتى انتفضت انتفاضة هائلة ، وتحولت من صورة منظور أمير البحر إلى نسر عظيم مهوب اللفتات ، ما عظم أن ضرب الهواء بخافيتيه ، حتى خلق في

---

(١) كان من العايد المثلثة أيام هوميرو أن تقطع ألسن القرابين وتحرق باسم الآلهة ليصرف الجمع (٢) بصيغة المفرد

السما ، وعاب في لانهاينها ، بين دهش القوم ، وشديد حيرتهم  
وتماول اسطور العظيم يد تليماك ، وظل يقلب بيه بصره ، ثم قال :  
« أبها الصديق : لشد ما عظمت منزلتك ، وسمت مكانتك . حتى  
لتكون في رعاية الآلهة وعناية السماء ! هذه دون ريب ابنة سيد  
الأولب — الكريمة مينرفا — التي ما وقرت أحداً من أبناء هيلاس  
كما وقرت أباك

» ولكن أنت ! أنت يا مليكة العدالة ! ضرعت إليك أن نتلطف  
بنا جميعاً ! أمنيحني ركائك .. أنا وأبنائي وشعبي ... اكتبي أسماءهم  
في الحالدين ، وسنصلي لك ونذبح باسمك خير بقرة ؛ لا ذلول تثير الأرض  
ولا تسقى الحرث ؛ مُسَلِّمة لا شية فيها ؛ منضورة بالورد ، محلاة القرنين  
بالذهب » .

وقبلت مينرفا صلاته ، ولبت دعاءه ، ونهض وفي إثره أبنائه وأحفاده  
ففتحت أبواب القصر وتقدمت بدمانة الشراب فقدمت إليه كأساً من  
خمرها نسب من عهد أولب ، فأفرغها في الأرض تحية لمينرفا ، واقتدى به  
ملؤه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تليماك  
إلى محدد وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه بزيستراتوس فقام معه ،  
ثم ذهب حيث وحد الملكة في انتظاره

ونشرت أورورا<sup>(١)</sup> غلاتها الذهبية في مشرق الأفق ، فاستوى  
اسطور على عرشه للرسمي المتألق عند بوابة القصر ، حيث كان أبوه

(١) ربة العبر وحادية عربية أبولو حين يركب الشمس عند المروق .

نلبوس يجلس كإله للنظر في صوالح العباد ، وأقبل بموه الستة ومعهم نلبياك الذى جلس إلى جنب أبيهم ، وتحدث إليهم نسطور فقال :

« هاموا يا بَنِيّ ، لنذبح القربان المقدس باسم مينرما السكريمة التى باركت حَمَلْنَا أُمس ؛ لينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثوراً<sup>(١)</sup> سميناً ، وليذهب آخر فليدعُ رجال تليهاخوس — إلا اثنين — من السعينة ؛ ولبيض ثالث فلمات بالصناع الفنان ( ليرسيوس ) ليجهل قرنى القربان بالذهب ، وليبق الآخرون هنا ، ثم لتحضر كل حاشيتنا من النساء ليكسبن الوليمة بهجة ورواء »

وأطاع أبناؤه الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل الملاحون الأمناء ، ثم قدم الفنان ليغطي قرنى البهيمة بالذهب ... ثم ... وافت مينرما ... مينرما نفسها تشهد العُقوس التى تقام باسمها ... ، وبدأ الفنان عمله ، فأخذ يرقق صفائح الذهب ويثبتها بمهارة فى القرنين الصغيرين . وتقدم أريتيوس بن نسطور وفى إحدى يديه باقة كبيرة من الزهر وفى الأخرى مسلة من أنغر أنواع السمك ، وتقدم ابنه الثانى تراسيمييد وفى يده شاطئ كبير ليذبح الثور ووقف قبالة تراسيميوس يتلقى الدم فى وعاء كبير . ونهض نسطور الأب فسبح وصلى أمام نار كبيرة مضرمة ، وتتم باسم مينرما ، وقذف فى اللظى بكعكتين كبيرتين ، وبناصية القربان ، وبقدر قليل من الماء المقدس . وإذ انتهى الجميع من صلاتهم شمر تراسيمييد عن ساعده وجزر القربان ، وانكب الجميع يجهزون ، وكانت يوريديس

(٢) كان على نسطور أن يذبح بقرة مسلة .

الجميلة المفتان تُعنى أشد عناية بالفخـذين ، فسترتهما بشوب غال من  
الديباج ، وكان نسطور نفسه ينثر الخمر المقدسة والعمود والأرواح . ، .  
وهكذا أخذ الجميع في شغلهم ، وشرعوا يلقون في الجرب الخوايا ، وشرعت  
بوليكاست تنثر البهار والتوابل . . وتهادى تليماخوس بعد هذا فاستوى  
إلى جنب الملك ، وانتصب الولدان والندامى يصبون الخمر ، وبدأ الكل  
يأكلون هنيئاً ويشربون مريئاً .

وما كادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيئت الصافيات الجياد لرحيل  
تليماخوس ، وأحضر القواص عربية كبيرة مثقلة بكل ما تحتاج الرحلة من  
زاد وعقاد .

وأخذ تليماك مكانه من العربية الأولى ، واستوى إلى جانبه  
پيزستراتوس أشجع أبناء نسطور ، ثم سلم تليماك وودع ، وشكر وأثنى ،  
وجذب أعنة الخيل فانطلقت تنهب الركب ، وتبتعد عن بيلوس  
وتطوى الزمان .

وبلغوا ، مع مغرب الشمس ، فيريه ، حيث تلقاهم رب البيت  
بالبشر والترحاب ، وباتوا عنده ، حتى أيقظتهم أورورا المشرقة . فواصلوا  
رحلتهم إلى أسبرطة .

## العشاق يتآمرون

وصل الركب إلى أسبرطة بعد أن غور في وهادها وأنجد ، وانطلق  
تليماك وصاحبه من فورهما إلى باب منلوس الملك حيث وجدا ، لحسن



الطالع ، وجوها مسفرة ، وجواهر مستبشرة ، وموسيقى تصدح ؛ ومنشدون يرددون أناشيدهم ويرسلون أغانيهم ، ووليمة ملكية حافلة اجتمع لها الملك وأبناؤه وخلصاؤه ونداماه ، يأكلون ويشربون ويسمرون ويتطربون ... ماذا ؟ لقد اجتمع القوم من كل حدب ، وأقبلوا من كل صوب ، يحتفلون بابنى الملك : بابنه الذى زوجه أبوه من أجل عادات أسبرطة وأكثرهن وسامة وقسامة وفتنة ، ابنة ألكثور العظيم ؛ ثم بابنته المفتان اللعوب الطروب التى رزقها على كبر من هيلين ، والتى نافست بجمالها ودلها هرميون ابنة قينوس .

وما كادا يجاوزان الوصيد حتى لهما إتيون ، كبير أمناء الملك ، فانطلق إلى مولاه وحدثه عنهما ... « إن لهما لمهابة وإن عليهما لرواء ، قهل يأذن لهما مولاي ، أم يأمر فنردهما من حيث أقبلا ؟ »  
وأوماً الملك برأسه الكبير الذى يزيد فى وقاره وحسن سمته شعره الذهبى ، وأمر إتيون أن يذهب إليهما ، فيسير بين أيديهما إليه ... « ... إذ كيف يُرد عن طعاعى الغرباء ، وقد طعمنا طويلاً زاد الغرباء ؟ »  
ودعا إليه إتيون طائفة من الخدم وذهب إلى الوافدين الكريمين غنيًا وسلم ، وحل اللجم وأناخ الإهم ، ومضى بهما إلى داخل القصر من طريق يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التى ازدانت بأحسن زينة ، وقبة العرش التى تلالأت فى الأنوار الوضاءة والسرُج الوهاجة ...  
ثم لقيتهما فتيات من عذارى القصر فقدنهما إلى الحمامات المرسية الباذخة فاغتسلا وتوضعا ولبسا ثياباً ملكية ، ثم ذهبا للقاء رب هذه الدار .

وهتس الملك لهما وبس ، وأجلسهما إلى جانبه على مقعدين وثيرين ،  
 وهما في دهش من ذاك المظر العجب . وأقبلت فتاة فصدت على أيديهما  
 الماء ، وذهبت فأحضرت مائدة رائعة منسقة ، عليها قدر غير قليل من  
 أنحر الأشربات وأتتهى الآكال ، ووقف حادم آخر يقدم طبقاً بعد  
 طبق ، وكأساً من ذهب بعد كأس من ذهب ، والملك فيما بين ذلك  
 يبالغ في إبتاسه لهما والحفاوة بهما ، ويُنظرهما حتى يفرغا من طعامهما  
 فيخبراه عن أمرهما ، وكان يتلطف فيقدم لهما قطعاً من شوائبه بيده .  
 وسار تلياًك صاحبه فقال .

« يئزستراتوس يا صديقي ! ما أجل وما أنغم وما أروع ؟ ! هذا  
 الحفل الماهر يتألق في الذهب والقصة والعاج والسكرمان ودروع  
 النحاس ! أبداً ما ترى العين مثل ذلك ، ولا تسمع الأذن إلا عن قصر  
 سيد الأولمب في شعاف جبل إيدا ! أية ثروة وأى كنز ؟ !  
 وسجحه منلوس الملك فقال :

« بنى ! لا تقرن قصر أحد منا — نحن بنى الموتى — إلى قصر سيد  
 الأولمب ! وأنت على حق حين ترى أن لا أحد يملك ما أملك أنا من أذخار  
 وكنوز ، فقد سحت في أقصى الأرض سنين عدداً ، وجعت الدرر  
 النوالى من كل فج .. من كريت وقبرس وفينيقيه ومصر ، ومن أثيو بيا  
 وإرمي ... ومن صيدا ولوبيه ورؤوس الشاء والوعل هذه .  
 الوعل الوحشى السائم ... والشاء التى تمدنا بخيرها بغير حساب ... لقد  
 طوفت في الآفاق وتركت في كل منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأكم آباؤكم

أنباء منلوس الملك الذى دك المعازل وهدم القصور... ما أنس لا أنس  
هذا القصر العتيد الذى جعلت عاليه سافله بما فيه من أبحار وقنى ،  
وددت لو كان فى قصرى شىء منها ، وود الإغريق لو حصلوا فى بلادهم  
جميعاً على بعضها ! هناك ! هناك تحت أسوار طروادة يا صاح ! يا ويح  
نفسى ! يارحمنا الأصدقاء الأحباء الأعزاء الذين ناموا ثمة ! لشد ما أسلى  
النفس عنهم بالتأسى ؟ لشد ما يندلع الأسى فى قلبى عليهم جميعاً ، ولا سيما  
صفيى وخليلى وأعز أودائى على... أوديسيوس ! أوديسيوس الكريم !  
ايت شعبرى يا صديقى فيم شطت بك النوى وطال عليك الأمد ؟ أحي  
ترزق ؟ أم نويت فى بطحاء بلقنم ؟ يا ويح لك ، ولأبيك الشيخ ،  
وزوجك الملتاعة ، وابنك المحزون اليتيم تليماخوس ، الذى غادرته فى  
المهد ما بلغ العظام ، إلى حومة الوغى وحلبة الحمام . »

ولم يملك الفتى دموعه حين سمع هذا الهماتف باسم والده فنشج نشيجاً  
مؤلماً ، ثم استخرط فى البكاء ، وطفق يذرى شئونه فى طرف ثوبه  
بين دهشة منلوس وحيرته ، وذهول الحاضرين . وانعقد لسان الملك  
فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى أقبلت هيلين فجأة ، فتلفت القوم  
ينظرون إلى هذا الرشأ الذى يتثنى مياساً فى ظلال من الفتنة ، كأنه ديانا  
ربة القوس الذهبية ...

واستوت على عرشها المنصد ، الذى أصلحته يدا أدرستا وعماية  
أكليب ، ثم أحضرت الطرّف والهدايا واللهى . فهذه سلة من الفصة  
المزخرفة بالتصاوير هدية من الكندرا زوج بوليب أمير طيبة ، عروس

المدائن المصرية ؛ وتلك عشر يدّر من النضار الخالص ، وطستان من الذهب ، ودنان من الإبريز ... يقدمها كلها ملك أسبرطة إلى زوجه البساعة الرائعة الهيفاء ... ونظرت هيلين إلى الضيفين الغريبين ، وسألت زوجها :

« ملكي ! نشدتك الآلهة أن تخبرني من هذان ؟ إن أحدهما شديد الشبه بطفل أوديسيوس .. الصغير تلياخوس ... الذي تركه أبوه صبيًا في المهده من جراء حرب اليوم المشثومة . »

وقال الملك : « وأنا مثلك يا هيلين ، لقد دار بخلدى ما دار بخلدك من أمر هذا الفتى ! ألا ما أشبه الساقين والساعدين وتفتير العينين واسترسال اللحنتين<sup>(١)</sup> بما كان لأوديسيوس ؟ ! لقد ذكرت ما قاسى صاحبه من أجلي وفي سبيلي تحت أسوار اليوم ، فسرعان ما رأيت الشاب يبكي ويبكى ويسالغ في البكاء ، ثم يغلبه حزنه فيخفى وجهه ، وفيه روحه ، في ثيابه من الهم »

وانتهز ابن نسطور الفرصة فقال :

« حقًا أيها الملك إنه هو ! ولسكنه خجول حيي ، ولقد أوسك حيّاؤه أن يمنعه من لقائك ، وقد هاج تباريحه ما ذكرت عن أبيه . أما أنا ، فإني ابن نسطور صديقك الآخر ، وقد أمرني أبي أن أحضرك تلياخوس إلى هنا عسى أن يسمع خبراً عن أبيه الذي ذهب يذرع الأرض ، ولا يعلم أحد أيّان قد ذهب ... وهاك ابنه المكوم يجترأشجانه ، وتطعن

---

(١) الة الشعر الذي يحاوز شجرة الأذن .

فؤاده أحزانه . »

وشدّه البطل — ذو الشعر الكهرمانى — فقال :

« يالآلهة ! أهكذا أفاجا ببقاء ولدى ! أنت ؟ أنت ابن أوديسيوس .  
الذى شقى طويلاً بسببى ، وبذل نفسه من أجلى ، ولا يزال يفاضل  
الويلات من جرائى ؟ كرامة وحباً يا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت أنك  
تسمى للقائى لشدت لك مدينة فى أرجوس ، تنيه على المدائن وتزهى على  
القرى ! ورفعت لك عماد قصر منيف طالما كنت إخاله يؤويننا جميعاً  
فنسعد سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ولا من بعد ... ونلتذ ، أنا وأبوك  
وأنت ، وجميع أهلى وأهله ، ذكريات الماضى المترع .. آه يا أوديسيوس !  
لقد طاشت الأحلام وذابت الأمانى ، وقست عليك السماء ... فخرمتهك  
كل شيء ، حتى الأوبة إلى أرض الوطن ! »

وأثارت كلمات الملك شجون القوم ، فبكى تليماخوس ، وأذرفت  
الملكة ، وانبعس الدمع من عيني بيزستراتوس حين ذكرت طروادة  
فأذكرته قتل أخيه تحت أسوارها ، ثم قال : « حسبك أيها الملك ! لقد  
تذاكرنا ، أنا وصاحبى ، جلائل أعمالك ففرغنا فيك الملييك الأجل ،  
والمقدام البطل ، ولكن ماذا تجدى دموعنا ؟ لقد غالت يد الردى أخى  
وابن أمى وأبى فى سبيلك كذلك ! ألا تذكر ؟ أنتيلوخوس ! البطل المغوار  
والفارس الكرار الذى لم تكتحل عيناى برؤيته ! أوه يا ابن أورورا  
الغادر ، شلت يدك بما فتكت بأخى ! ... »

وتعطف الملك فطبيب ابن نسطور بكلمات عاليات ، وأمر الندمان

فصب الماء على أيديهم جميعاً ثم أخذوا في آكلهم ، وصدت هيلين قطرات من طيب مُدْهِب للأحزان في كأس تليماك ، وكأس صاحبه ، لا يعرف من يذرقها إلى الأسى من سبيل . وهى قطرات عجيبة أهدتها الملكة ، زوجة ( ذون ) الأميرة المصرية بوليدامنا ، وكم فى مصر من سحر مبين ! وتكلمت هيلين ، فذكرت ما كان من أوديسيوس يوم التقى الجمعان عند اليوم ، وكيف استطاع أن يتسلل مستخفياً فى ثياب شحاذ إلى داخل المدينة العتيقة ، وكيف قابلها فى حجرة باريس ليطلعها على خطة اليونانيين ، وما كان من رجائه إياها ألا تفصح عنه عند أعدائه حتى يعود سالماً إلى معسكره ونخيمه ، وأنها برّت فلم تنبئ أحداً بوجوده .. ثم رأت أن تتصل من فضيحة فرارها مع باريس فادعت أنها كانت مسوقة إلى ذلك برغمها لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها ( لما وعدت به باريس من أنها ستبهه أجل غادات هيلاس إذا هو قضى لها بالفتح )<sup>(١)</sup> . « واخجلتاه ! لقد أزرى نى أن أفر راعمة فأهجر فراشى الطهور وطفقتى اليافعة إلى بلاد قاصية لا ناقة لى فيها ولا جمل .. »

وأعذرَها الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال :

« أبداً ما رأيت أثبت جأشاً ولا أربط قلباً من أوديسيوس ؛ وإن أنس لا أنس يوم الروع الأكبر ، يوم فكر أوديسيوس وفكر ، ثم دبر هذه الحيلة العجيبة ، حيلة الحصان الهولة الذى قهر لنا طرودة فى يوم

---

(١) قصى باريس بالفتح لثروس وحرم منها منيرفا وحيروذلك سبب عداتهما

لطروداين . ( كتابا قصة طرودة )

أو بعض يوم ، وقد عيّننا بها السنين الطوال . لقد اختبأ داخله فرسان هيلاس<sup>(١)</sup> الصناديد ، وكنت أنا — سقى الله الشباب — واحداً منهم ، فما أنسى قط حين أقبلت في عصمة ذوي أيد من مداويد الطرّاديين ( إذ هتف بهم هاتف إن الحصان يحمل لهم شرّاً ويطوى لقريتهم نبوراً ) فجعلت أنتِ تنادين بأسماء الفرسان اليونانيين واحداً بعد واحدٍ لَترى هل احتبأ منا بداخله أحد كما تنبأ بذلك المتنبيون . تالله لقد كدت أرد عليك نداءك حينما هتفت باسمي ؛ وتالله لقد أوشك زميلي ديوميديد يرد عليك هو الآخر ، لولا أن فطن أوديسيوس لخذرنا وحبس السنمنا الشقشقة التي كادت تورطنا موارد الهلاك ، لو أن أحداً منا خدع فندس ببنت شفة — وأخرباً ! لقد صممتنا جميعاً ولكنك عاودت ، فما كدت تهتفين باسم أتتيكلوس ، حتى أوشك المجنون أن يلبي ، لولا أن كتم أوديسيوس أنفاسه بكلتا يديه ، حتى لا يكاد يزهرق روحه ! ولم يُعفه حتى أيقنا أنك عدت أدراجك ، وعاد معك القوم المنكرون .

ثم كان الهزيع الأخير من الليل ، فتلطف تلياخوس واستأذن الملك في الانصراف ليأخذ كلّة نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأشارت هيلين إلى وصيفاتها مأهرعن إلى مخادع الأضياف ، فأصلحن فرشها ، وأعددن للملاحف والوسائد والحشايا ، ثم نهض أمين الملك ، ونهض في إثره بيزاستراتوس وتلياخوس ، حتى كان كل في مخدعه ، وحتى اطمأن كل في سريره ، وناما في حرير وسمور وفي قاتم وفي سنجاب

وتهاويل غير ذاك من الر قم ومن سفدس ومن زرياب<sup>(١)</sup>  
ونهمض الملك والمملكة كذلك فدخلوا القصر ، واستسلما لأطيب  
الرقاد .

\*\*\*

وذرَّ قرن أورورا ، ربة الفجر ، في المشرق الوردى ، ههب الملك  
وأصلح شأنه ، ورف بازائه الأشهب فوقف على غاربه ، ثم مضى إلى  
مجلسه حيث لقي تليماك في انتظاره ، فخيا وجلس وبدأ حديثه فقال :  
« أى بنى ! تليماخوس ؟ أيها البطل وسليل البطل ! فيم شددت  
رحلك إلى هنا ؟ إلى رحاب ليسديمون<sup>(٢)</sup> في فلات البر وسروات البحر ؟  
ألا أمر عام ، أم لشأن يخصك ويتعلق بشخصك ؟ »

وأجاب تليماك : « مولاي الملك ! منلوس العظيم ! لقد جئت  
أتحسس خبراً عن أبى ، وأقبلت أحدث عن أعدائه الذين آووا إلى بيته  
فما يريون ، يستنزفون غلته ، وبهلاكون حرثه ، ثم هم مع ذاك ينافس  
بعضهم بعضاً في كبر وزهو وخيلاء ... من أجل زوجه ! يا للعار ! إنهم  
استباحوا كل شيء ... كل نعمة وكل شانه ، ولم يعفوا آخر الأمر عن  
عرضه . إني أستجيرك يا مولاي وأضرع إليك أن تخبرني عما تعلم من  
أمر أبى ؟ هل قضى تحت أسوار اليوم ؟ أم غالته يد المنون في ركن آخر  
من أركان الأرض ؟ لقد كان خليلك وصفيك وآثر أصدقائك ، وأعز  
أودائك عليك ، فبكل آلاء ذاك عندك أستحلفك أن تصدقنى ...

(١) الشعر لابن ارموى لم نجد أحسن منه في ترجمة أبيات هومر .

(٢) من أسماء اسبرطة



ماذا تعرف من أخباره ، وماذا عسيت سمعت من أنبيائه ؟ »

وتنفس الملك تنفسة عميقة وقال :

« يا أرباب الأولب ! أبلغت حقارة نفوسهم أن يفضحوا أوديسيوس في عرضه ؟ ألا باءوا بما صنعوا ! ألا ما أشبههم بهذه الوعلة التي أجاءها الخناز فولدت في عرين الأسد ، فلما عاد الأسد إلى عرينه لم يبق عليها ولا على أغفارها<sup>(١)</sup> ! حنانيك يا آلهة ! زيوس ! مينرقا ! أبوللو<sup>(٢)</sup> ! أين هو فيببطش الجبارين كما بطش بفيلو ميليد العقي من قبل ؟ تالله لقد اقتربت ساعاتهم وأزفت آفاتهم ... فطب نفسك يا بني ؛ إني منبليك بما علمته عن أيك من ( پروتيوس ) راعي الأعماق ، وكاهن الأغوار .

ضلت بنا الفلك بما نسينا من التضحية باسم الآلهة ، فبلغنا شطآن مصر ، ورسونا عند جزيرة فاروس ، بحيث كان في مقدورنا أن نرى من كوثر هذه البلاد التي تجري من تحتها الأنهار ، ثم لبثنا ثمة عشرين يوماً لا تجري بنا ريح ، ولا يرفه عنا نسيم ، حتى نفذ الصبر ، وفرغ الزاد ، وظننا أنه المعاد ، لولا أن رثت لنا إحدى عرائس البحر فبرزت إلينا ، وكانت لنا غوثاً أي غوث ، كفت أجلس وحدي في منعرج بأحد أطراف الجزيرة ، وكان بقية صبحي وأكثر الملاحين يرتادون الماء بشصوصهم<sup>(٣)</sup> عسى أن يحصلوا على سمك طرى يكون غذاء لنا ، إذ برزت عروس الماء ( إيدوتيا ) الجميلة ، ابنة كاهن الأعماق پروتيوس ، وتهادت

(١) جمع هفر وهو ولد الوعل .

(٢) كان أبوللو من حصوم اليونانيين في حرب مارودة ولدا يدهش هذا الدعاء .

(٣) الشص حديدة عمقاء يصاد بها السمك ( السمارة ) .

حتى كانت تلتقاني ، ثم جلست بجانبى ، وحدثتني فقالت : « أيها النازح العريب ! أكر الطن أنك مدهوب بك ، أو أن بك مساً ، أو أن طائغاً من الجدون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء السرمذى حيث لصقت بأرض هذه الجزيرة فما تنوى مصياً ، ولا تلتمس محرماً ، ولو هلك كل أصحابك ! »

ولم أنال أى تهدهت ، فسألتها قائلاً : حسمك يا ربة ! إلى ما اصقت بأرض هذه الجزيرة بأمرى ، ولا أفتت فيها بمرضاتى ، بل كان ذلك قدراً على مقدوراً ؛ والى كن حبرى محفك ، إذ الآلهة تعلم كل شيء — من أر باب السماء يجبسى هنا ؟ ... وهل مقدور لى أن أرتد إلى وطنى فوق غوارب هذا اليم المضطرب ؟ ... »

وقالت عروس الماء : « أيها النازح العريب ! سأنبئك وأصدقك ! إنك الآن مقيم بشطآن مصر التى تقع تحت إشراف أبى ، بروتويوس ، سيد الأعماق ، ورب المياه المصرية ، والمتصل برعايا نبتيون فى أعوار هذا البحر ، فإذا استطعت أن تغفله فتقبص عليه وتشد وثاقه ، فإنه يقمك على أبعاد هذا اليم ، والطريق السوى الذى ينتهي بك سالماً غانماً إلى بلادك : بل ربما — إذا طلبت إليه ذلك — وقفك على كل ما حصل فى بيتك من خير أو شر خلال سفرتك الطويلة ، لأننى أعرف أنك صفى السماء وحبيب الآلهة . »

غير أنى لم أدر كيف تستطيع أيدى بنى الموتى أن تقبض على هذا الإله البحرى الكريم ؛ ولم أخف عليها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرت لها

أنه ربما ولى دبره إذا شعر منى هذه المحاولة فلا أستطيع لقاء بعدها أبداً .  
 بيد أنها طمأننتني ، وذكرت أن أباه يخرج من الأعماق في الظهيرة إلى  
 جَوْنٍ قريب حيث يستلقي برهة وسط قطعان كثيفة من عجول البحر ،  
 من ذراري هاليسودنا الجميلة ، تأتي هي الأخرى في أثره لتنام ثمة ...  
 « فإذا كانت هذه الساعة فأني سأفودك بنفسى إلى هناك ، وليكن معك  
 من رجالك ثلاثة هم أشجعهم وأكثرهم قوة ، وسأدلكم على منعرج  
 آمن تنتظرون به حتى يكون قد غلبه الكرى ، ثم تنقصون عليه  
 فتكبلونه وتشدون وثاقه ، وإياكم أن يرهبكم بشيء أبداً ؛ إنه سيكون  
 تارة سيملا رابيا ، وتارة سيكون ناراً ترمى بشرر كالقصر ، كأنه جمالات  
 صُهر ، وأخرى يكون أفعواناً هائلاً ينفث السم .. ولكن خذوه أخذاً  
 شديداً ولا تقتلوه قهلاً سكو .. فإنه إن آانس فيكم قوة عاد فانتفض إلى  
 صورته الأولى التي رأيتموه عليها ، ثم ترونه بعد ذلك وقد أسلس قياده ،  
 وهذا ونظامن ... فإذا فعل ذلك سألكم عن حاجتكم ، ففكوا وثاقه  
 وأطلقوا سراحه وسلوه ما شئتم ، فإنه يجيبكم عما تسألون . »



ثم غابت عروس البحر في طيات الشبح ، وتركتني في حيرة مما  
 ذكرت ، ثم إنى عدت إلى قمرتي في السمينة ، وعاد كل إلى قمرته ، وبعد  
 أن تعشينا ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، نمنا نوماً لا آمناً ولا قريراً ...  
 وبزغت أورورا عموه المشرق بأصباغ الورد ، فنهضت أصلى الآلهة فوق  
 السيف الممتد ، وأبتهل إلى السماء أن توفقنا لما فيه خيرنا ، ثم انثنت

فتخيرت من رجالى ثلاثة هم أصلحهم لهذا الأمر ، وهم موضع ثقى ومعقد رجائى . وبرزت من الماء عروس الماء ، وأحضرت لنا أربعة من جلود عجول النحر لنلبسها ، ونستخفى بها ، ولتقم الخدعة على أبيها . وأعدت لنا مهاداً فى رمل الشاطئ . ثم دلفنا نحوها ، ونام كل فى مهده ، وأقت فوقنا ما معها من الجلود المنتفخة التى أزوحت حتى كدنا نختنق برائحتها ، لولا أن نثرت العروس فوقنا طيباً عبقاً ملأ حياشيمنا وأقذنا من صلول<sup>(١)</sup> تلك الجلود .

وتلبثنا نرقب اليم حتى برزت عجول البحر فنامت فى الجون ، ثم كانت الظهيرة فبرز پروتيوس وطفق يعد قطعانه . مبتدئاً ، لغفلته ، بنا ، وكأن إثارة من الشك لم تخاسره فى حالنا ، فانطرح ونام . واتهزنا الفرصة ، فانطلقنا نعدو إليه ، وقبضنا عليه ، وشددنا وثاقه بحيث لا يستطيع إفلاتاً ... يا عجبا ! لقد انتفض انتفاضة هائلة ، فإذا هو أسد غضنفر ذو البدة ، ثم انتفض فإذا هو أفعوان أرقم يتحوى ويتحوى ، ثم انتفض فصار نمراً رائعا ذا أنياب ، ثم صار خنزيراً برياً ، فسيلاً رايباً ذا عباب ، فأبكة باسقة ذات غصون وأفنان ! ولما لم يجد بداً من أن يبدو لنا على حقيقته ، انتفض فكان على صورته الأولى ، ثم قال : « عَمَرَكَ اللهُ يا ابن أثريوس أى إله جبار حبسك فى مياهنا وسلطك على » ، تمسك بى وتشد وثاقى ؟ ماذا تريد ؟ » فقلت له : « حسبك يا رب هذا البحر ، إنك كنت بى عليماً ! لقد طال مقامنا بهذه الجزيرة ، ولست أدرى أى

١) أروح اللحم صار تنساً وصولوله رائحته المذنة .

إله عادل حبسنا فيها ، ولأى شيء ؟! » . وقال بروتوريوس : « ويك يا منلوس ! لم لم تُصلِّ لسيد الأولمب نِمُ نصحُ للآلهة يوم غادرت طروادة ؟ لقد غضب الجميع فكثبوا أن تضل في تيه هذا البحر حتى تكون تلقاء مصر ، فتقيم ممة حتى يشوب إليك رشذك وتصلي للآلهة خاشعاً خابئاً متصدعاً ، نِم تذبج القرايين وتجزر الأضحيات فتعود إلى أوطانك ! » وعراى مما ذكر ما عراى ، فقلت له : « الحمد لك أيها الإله القدوس ... سأفعل ، سأفعل كل ما تأمرني به ، واسكن قل لي بحق ربوبيتك ، هل وصل كل رجالنا إلى أوطانهم سالمين كما تركتهم أما وصاحبى نسطور عند طروادة أم أن منهم من غرق أو قتل أو مات حتف أنفه »

وكأما ضاق بي ، واسكنه فال : « ويك يا ابن أثريوس ما هذه الأسئلة ! أثبتنى أن تقف على كل أسرارى ؟ إذن فاعلم أن أكثر رجالك قد عادوا سالمين إلى أوطانهم ، وأن قليلا منهم من مات ، ومن هؤلاء قائدان فقط قد قضيا ، ولا يزال واحد يذرع رحب هذا البحر ، ضالا على غير هدى ! ... لقد هلك أچاكس بما تحدى الآلهة ، وبما ادعى أنه ناج برغم السماء من البحر اللجى الذى كان يناوح سفينته ، فبرز نيتيون غاضباً وشطر السفينة نصفين بضربة قاضية ، من رحمه السمهرى ذى الثلاث شعب ، ثم رطم حطامها بعد ذلك فوق صخرة موحشة ... مسكين أچاكس لقد غص بالأجاج ، وشرق بقطرات فمات ! ...

أما أحوك<sup>(١)</sup> فقد مجا ! لقد دهمته موجة هائلة فوق شاطئ<sup>٢</sup> (ماليا) ..  
أرض ذيسيتيس ويجستوس ... ومن ثمة ركب الدجر إلى وطنه آمناً .  
ألا كم كان أحوك رائماً حين وطئ أرض الوطن فراح يقبل رمالها  
ويبجي كئيباً ! ألا ليقته ما مجا ! لقد لحه أحد الأوغاد من جواسيس  
يجستوس فانطلق يخبر سيده الذي أعد كميناً من عشرين رجلاً من  
أفسق رجاله فاغتالوه كما يذبح العجل ؟ الأوشاب الفجرة ! لقد باءوا  
بما صنعوا ، وأيدوا على بكرة أبيهم ... »

ولم يكد يصعقني هذا الخبر حتى حذاتني رجلاي ، وانطرحت  
أقلب في الرمال من الغم ، وذرفت الدمع من الحرقعة على أحي . ولكنه  
خاطبني قائلاً : « انهض يا ابن أتريوس . إنك تبكي ولات حين بكاء .  
هلم عد إلى وطنك لترى بعينيك قبره وتشهد ابنه العظيم أموست بنتم له ،  
ويستأصل شأفة قاتليه . »

وكأنا سرى غنى بما قال بعد ، فنهضت وساءلته بعد أن شكرته  
على ما أنبأني : « ... إذن من هذا البطل الثالث الذي ما يفتأ يذرع  
البحر ضالاً في رحابه ؟ »

فقال : « دالك ابن ليرتيس ، وسيد إيشاكا (أوديسيوس) ! لقد  
شهدته بعيني حبساً في جزيرة عروس الماء كاليسو .. لقد حل عليها  
ضيقاً برغمه ، فلقد تحطمت سمائه ، وهويته عروس الماء ، وهو لا يزال  
عندها لا يجد مراكباً يحمله إلى وطنه .. أما أنت .. أيها الملك منلوس ،

.. يطوبى لك ! إنك ستتحيا سعيداً ، ثم تنتقل إلى دار الخلد ونعيم لا ينفى ...  
حنات الإلير يوم ... حيث لا برد ولا رمهرير ، ولا يوم عبوس قطير ،  
بل تسقى ، ومن معك من الأناسى من ماء معين ، لا لغوفيه ولا تأثيم ...  
مقام كريم وجنة نعيم ، وغادتك الحُسان هيلين ، يا ذرية ريوس  
العظيم ! »

ثم غاص فى اليم ، وعدت ورجالى إلى الفلك ، وفى القلب لوعة ،  
وبالنفس أسى . وتبلغ كل بلقات ثم أسامنا عيوننا للسكرى ، وكأنا نام  
أسطولنا فى ظلام الشاطىء .

\*\*\*

وانبلجت أورورا فنضرت بالورد جبين المشرق ، وهبت أنفاس  
الصباح المنداة فأهرعنا جميعاً ، وجزرنا الأضاحى باسم الآلهة ، وصليما لها  
حابتين ، وأقمت لأخى رمساً فوق ثرى مصر الخالدة ، ثم هبت الريح  
رخاء فنشرنا الشراع وأصلحنا القلوع ، وأقلعنا من فورنا إلى أرض  
الوطن ، فملغنا هيلاس سالمين .

و بعد ! فلتقم معنا ههنا أياماً نمرح ونفرح ، ونسعد بحن بك يا ابن  
أعز الأصدقاء ، ثم لنعد لك الهدايا والاهى التى تليق بك ، ولتعد إلى  
وطنك على عربة فاخرة تجرها ثلاثة من الصافنات الجياد ؛ ولنزودك  
بكأس ذهبية تصب منها قرايين الجر الآلهة فتذكرنا أبداً »

وتسكّر تليماك واعتذر ، وأبدى من الحنين إلى وطنه ، وما عليه من  
واجبات ، وما ينبغى من عودة ابن ملك بيوس ، ما برر عنده أن

يستأذن في الآوبة ... فأعذره ملك أسبرطة ، وأهدى إليه كأس  
فيديموس الفضية ، ذات الشفة الذهبية ، الكأس الخالدة التي صنعها  
الإله فلكان بيديه لينفج بها ملك سيدونيا .  
وهياً النذل مقصفاً فاخراً به جَزُور وخمر ، وأقبلت أرواجهن  
يحملن الحبز ، فأكل الملك ومن معه ورَوَّوا .

\*\*\*

هذا ما كان من أمر تليماك ومنلوس .  
أما ما كان من أمر العشاق آنئذ ، فقد كانوا يحبون ويمرحون في  
بيت ملك إيثاكا ، يلاعبون الأسفة ، ويقذفون القرص ، ويتصارعون  
ويمزحون . كانوا جميعاً يأخذون في هذا اللهو لتزجية الوقت ، إلا أنتينوس  
ويوريماك ، فقد جلسا بمعزل يتحدان . إذ أقبل الفتى نومون  
ابن فرنيوس وقد تعفن جبينه ، وانتشرت على أساريره سحابة  
كثيبة فقال :

« أرايت إذ أعطيت سميتى للفتى تليماك فإني أريد أن أبحر إلى  
إيليس لأرعى أفراساً لي اثنتي عشرة لا تزال ترضع أفلاها<sup>(١)</sup> ؛ متى يرجع  
من بليوس يا أنتينوس ؟ »

ورُوع الرجلان لهذا الخبر ، فلم يكن أحدهما يعلم أن تليماك قد غادر  
إيثاكا ، بل كانوا يظنون أنه يجتر آلامه وأحزانه في أحد الأدغال النائية في  
مزارعه . قال أنتينوس :

« أحقاً أنه أبحر يا نومون ؟ وهل صحبه أحد من ذريه ؟ وعلى سفينتك ؟ »

(١) الملو ولد الفرس لم يبلغ عاماً -



سفينتك أنت ؟ وهل أبحر عليها بدون إذن منك ، أم أنت الذى أذنت له بها أول ما طلبها منك ؟ »

وأجابه نومون : « بل أبحر عليها بإذني . ومادا عساك كنت صانعا لو سألك أمير في مثل بأسائه أن يبحر على سفينتك ؟ أ كنت ترفض وتتأبى ؟ لقد أبحرت معه ثلة من أشجع البحارين ، كلهم فينان العود ، غرييض الشباب ، وقد رأيت معه أمير البحر منطور . ألا كم كان يبدو منطور بهيا وقورا رائعا ! تالله لقد خلته — بل أكبر ظنى أنه — أحد الآلهة ! وكيف لا يكون إلهاً وقد رأيته بعيني هاتين صباح أمس وهو قيد أبحر إلى بيلوس قبيل ذلك ، فأنى عاد ؟ »

وفرغ نومون ، وعاد أدراجه إلى دار أبيه ، واستولى الذهول على الرجلين ، وكان العشاق قد فرغوا مما أخذوا فيه من لهو ولعب ، وجلسوا يستريحون من التعب ، فيم شطوهم أنتينوس ، وهو يتمير من الغيظ ، وينقدح الشرر من مقلتيه ، فقال :

« يا أرباب السماء ! أفيقوا أيها الرفاق ! عمل باهر ! باهر جداً ! لقد أبحر الفتى تليماك في عصبية من تسباب الملاحين ليؤلب عليكم العالمين ، ويرسل علينا حسباناً ! الويل له ! أعدوا لى مركباً وعشرين فارساً من أبسل صناديدكم لأجفاً ، بين أواذى ساموس ونُتوؤ إيتاكا ، التاعس الذى ذهب يستروح أخبار أبيه ليسعى إلى ختفه بظلمه » .

وتحمس الملأ وعلا هتافهم ، وهروا إلى الرحبة الداخلية في بيت أوديسيوس يتآمرون ، وكان على مقربة منهم الأمين ميدون ، الذى

انطلق بدووه ينقل ما عقدوا خناصرهم عليه من إفك إلى الملكة الباكية  
المفتودة .. ينلوب — وما كاد يقص عليها ما اعترموه من قتل تليهاك  
حتى تصعصعت وتخاذلت ومادت من تحتها الأرض ، وتحبست أنفاسها  
هنيهة ، ثم سألت ميدون فيم أبجر ولدها . « ألكى ينقرض اسمه من  
صفحة الوجود ؟ » وأجابها الرجل : إنه ذهب يتسمع الأنباء عن أبيه .  
ثم ذهب لطيطته ، وجلست الملكة المرزأة لدى الوصيد تبكى وتنتحب ،  
ومن حولها الغيد الرعابيد والعجوز الشمطاء من خادومات القصر ،  
يعولن ويكفكفن

قالت الملكة : « ويح لى أيها العذارى ! أبداً ما أحسب واحدة  
من النساء قد لقيت بعض الذى لقيت مما كتبته على السماء ! لقد فقدت  
زوجى ، أسد هيلاس ، الكريم أوديسيوس ، الأمير الحلال ، رجل  
الفصائل والبروات ؛ ثم لم يبق إلا أن يرحل عنى ولدى ... دون أن  
أعلم أمر رحيله من إحداكن ، فكنت أحول بينه وبين ما اعتزم ولو  
أذيت ثمناً لذلك روحى ! ولكن .. هيا .. لتمض دليون — خادمتى  
الوفية ذات العجاريب — إلى ليرتيس — فلتحدثه عما تأمر الذئاب .  
ونى ! لم يبق إلا أن يقتلوا ولدى وسليل أوديسيوس ! » .

وهست يوريكلياً مريض تليهاك ، تنثر دموعها وتقول :  
« وأأسفاه على أيتها الملكة ! سأعترف بما كان ولك أن تقتليني ..  
أو تبقى على ! لقد زودت الأمير بكل ما أمر من زاد وخمر ، وأخذ على  
موثقاً ألا أبجح بسرّه حتى تمضى إثنا عشر يوماً بتمامها ... حتى أنت

يا مولاتي! لقد أمرني ألا أعلمك بشيء ، فاهدئي يا مولاتي ولا تضاعفي أحزان  
القصر بجزن جديد ، وامضي إلى مخدعك فاستريحي ثمة ، وانصلي جميعاً  
لربة العدالة مينرفا — باللا الطيبة — أن تصون مولاي الأمير وترعاه ،  
وتكلاؤه من كل خطر وليعد إلى عرش آتائه ليحكم ويعدل ويدتر  
شؤون الملاد .

ورقاً الدمع في عيون الحاشية ، ونهضت بنلوب فصعدت إلى الطابق  
العلوي ، وأمرت بسلة من السكك فنفخت بها العذارى قرباناً لمينرفا وتقدمة ،  
ثم أرسلت هذه الصلاة :

« اسمعي يا ابنة سيد الاولمپ ! يا مينرفا العادلة ! باسم ما ذبح لك  
أوديسيوس في هذا القصر وما ضحى نضرع إليك ونتوسل بك ونصلي  
لك ، أن تصوني ابنه الأمير وأن ترسلي عبوسة من شواظ غضبك على  
أعدائه .. أولئك الأضياف الظالمين ... آمين » .

وانهمرت الدموع من عيني الملكة فاستجابت مينرفا صلاتها . ثم  
علا ضجيج القوم وارتفع صخبهم ، وكان فيهم شهاب نزع التات في  
أذنيه صلاة بنلوب فحسبها أشرفت تناغي وتغازل ، فراح يعرض بها في  
كلمات قوارص ، قطعها عليه أنتينوس بتحذيره القوم ، ونصيحته لهم أن  
يستعينوا على حزم أحرهم بالكتهان .

وتخير أنتينوس عشرين من خيرة رجاله ، ويم بهم شطر البحر ، ثم  
ركبوا في سفينة أعدت لما اعتزموه من تلصص وقرصنة وفيلك ، إعداداً  
كافياً فنقلت إليها الأسلحة ، وحملت إليها أحمال الزاد والدخيرة ...

وأقبلت ، لا باسم الآلهة مجراها . . ولا سلكت سبيل الرشاد .

\* \* \*

واضطجعت بنلوب في فراش حشوه فكر وهم ، وجاشت في قلبها  
الوساوس ، وطفقت الأوهام تفتك برأسها القلق الحيران بسبب ولدها ،  
وما دبر له الكلاب وما كادوا . مسكين أيها الأسد ! لولا قوتك  
وجبروتك ما أكثر صائدوك حولك الأحاييل .

وأخذتها سنة من النوم ، فأقبلت مينرفا الكريمة في رؤيا عجيبة  
تواسيها وتذهب عنها طائف الحزن ، فتزيت بزى الأميرة المفتان ،  
إفتيا ، ابنة البطل الكبير إيكاريوس ، ثم وقفت عند رأسها ، وشرعت  
ترسل هذه الأحلام :

أهكذا تنامين ملء عينيك الجميلتين يا بنلوب العزيزة ؟ ليفرخ  
روحك ، وليصف بالك ، فالسماء رعى ولدك ، وهو عائد إليك عما  
قريب ! إنه لم يقترف شيئاً مما يغضب الآلهة ، ولذا تهى تكلؤه وترعاه  
وتحفظه ، فقرى عيناً واسلمى وانعمى ! » .

وتقول بملوٍ إذ هي تحلم :

« من ؟ إفتيا ؟ عجباً ! فيم قدمت يا أختاه وقد ندر ما كنت تلمين  
بهذا القصر ! أتواسيني وتسلينى ؟ لقد تكاثرت الأحزان على قلبي ،  
وتكسرت النصال على النصال ... لقد فقدت زوجي ... أسد هيلاس  
ونغر أرجوس ، وعزى الأبدى ! ثم ها أناذى انتفض فرقاً على ولدى ...  
ولدى الطرى ألفينسان ، الذى لا قدرة له ولا احتمال ... في هذا البحر

اللجى ... لقد أقلعت به سفينة كأنها تسبح فى بحر من دى وأحزاني !  
وها قد تعقبه الأشرار فى سفينة أخرى يريدون غيلته قبل أن يرد  
إلى وطنه ! » .

وتجيبها مينرفا : « لا عليك يا ملكة ، ولا عليه هو الآخر ! إن معه  
راعيًا يحفظه ويوقيه ... راعيًا يتمنى الجميع أن يكونوا فى رعايته أبدًا ...  
مينرفا ! إنها أيضًا تبشرك وترفه عنك ، وأنا هنا رسولها إليك ، أقبلت  
بأمرها أواسيك ! »

وهلعت بنلوب ثم قالت : « وئى ! أما إنك إذن لربة وقد كلمتك  
الأرباب ... ألا أقصى على إذن ما كان من أمر رجلى ؛ ألا يزال حيًا  
رزق ؟ أم تخطفته يد المنون ؟ »

وتضاحك الشبح العابس فقال : « لا ! ليس الآن ؟ إن أذكر لك  
إذا كان رجلك لا يزال حيًا أو إنه قد قضى ، مالنا ولذلك ؟ »  
ثم رفت فى ظلام الغرفة ، وصعدت فى سماء الأحلام .  
ونفضت الأم وقد سرى عنها بهذا الحلم ، وانجباب كابوس الهم الذى  
كان يجثم على قلبها .

\*\*\*

وأفلق العشاق بفلكهم فى اليم المضطرب ، كل تحدته نفسه بمقتل  
تليهاخوس ، حتى كانوا عند برزخ أستريس ، بين ساموس وإيشاكا ...  
فأرسوا ثمة يتربصون .

## أوديسيوس يبحر من جزيرة كاليسو

هبت أورورا من فراش زوجها الدافئ الحبيب ( تيتون ) فنشرت في المشرقين غلالة سنية من فيص ضوءها ، بينما كان مجلس الآلهة منعقداً في ذروة أولمب ، وقد استوى زيوس على عرشه ، ومينرفا ... ربة الحكمة والموعظة الحسنة ، قائمة بين يديه ، تحصى آلام أوديسيوس ، وتبث أشجانه وتصور للآلهة صنوف العذاب التي يتجرع غصصها وحده في هذه الجزيرة النائية السحيقة ، فتقول :

« أنتاه ! يا سيد أرباب أولمب ! جوف ! إصنع إلى ! وأنتم يا آلهة الخلود ! أعيروني انتباهة واحدة منكم ، فإنها حسبي ! إلى أين تصير الأمور إذن ؟ هاكم قد أصبح أمر الناس فوضى ... والطغاة يعيشون في الأرض مفسدين ، وكأنما أغضضتم أعينكم عن خيارهم ، ولم يضركم ألا تكفوا أشرارهم ، ففسدتم الرجل الصالح أوديسيوس الذي طالما منعكم محبته ، والذي بذل لشعبه مهجته ... يثوى اليوم في تلك الجزيرة الموحشة يجتر همومه ، ويبعث في صفحة السراب آماله ، ... كلاً على كاليسو عروس الماء .. لا يملك سفينة فيقلع إلى الوطن ، ولا يجد قلباً إلى جانبه فيبته حزنه ويشتهي إليه لأواه ... وكأنما لم يكن بحسبه بعض ذلك ، بل تسلط عليه الأقدار القاسية عصابة من الأعداء الألداء يتر بصون بابه الشر ، ويتوون غيلته ، إذ هو عائد من أقصى الأرض . من أسيرطة وبيلوس بعد رحلة مهكة باكية ، قام بها يتنسم خبراً عن أبيه ، يشفي في قلبه غلة ، ويرى في نفسه كلوماً »

ويجئها رب السحاب الثقال :

« أية كلمة هائلة انهرجت عنها شفتاك يا ابنتي ؟ ألسنت تشوفين إلى عودة أوديسيوس سالماً آمناً فيبطش بكل أعدائه ؟ إطمئني إذن ، ولتحرسي ولده تليماخوس حتى يصل سالماً آمناً هو الآخر إلى أرض الوطن ، وليؤد أعداؤه بالفشل »

ثم توجه بالخطاب إلى ولده هرمز ، رسول الآلهة ، فقال :

« هرمز ! هلم يا بني إلى عروس الماء الشراء كاليسو برسالاتي ؟ صرّها أن ترسل أوديسيوس على رمث<sup>(١)</sup> وحده ، لا أنيس له من إنس ولا آلهة ، فليلق الأحوال الطوال حتى يصل إلى سيريه أرض الفيشيين ، ملوك البحار وأصهار الآلهة ، فليزودوه بسفينة وزاد وذخيرة من أحمال من ذهب وديباج ، وبكل ما تشتهي نفسه مما يفوق نصيبه الذي حصل عليه من أسلاب إلبوم ، لو عاد به غير منقوص إلى أرض الوطن ، ثم ليبحر سالماً إلى إيثاكا ... بذا قصت المقادير أن يؤوب ... وأن يستعيد سلطانه وصولجانه ، وملسكه وإبوانه ؛ ويبقى بعد طول النأي خلانه » .

وأصاح رسول الآلهة الأمين ، هرمز ، نعليه الذهبيتين ، نخفتا به كالريح فوق السحاب وفي يمناه عصاه السحرية العجيبة التي إن شاء داعب بها الجفون فأغقت ، وإن شاء ردها إلى الصحو واليقظة ، وما فنى يرف بين السماء والماء ، ويدوم في ذاك الفضاء كالغرنوق<sup>(٢)</sup> الذي يتوائب على أعراف الموج يصيد ما يقنات به ، حتى كان فوق تلك الجزيرة

(١) خشب بضم إلى بعصه ويركب في البحر Raft

(٢) بورن طنبور وبوزن وردوس طائر مائي ( الغطاس ) .

المنعزلة عن جميع العالم . ثم ما برح يُرنقُ هنا ويرنق هناك حتى اهتدى إلى ذلك الكهف السحيق الذى تأوى إليه عروس الماء الشقراء ذات الشعر الكهرمانى وقد جلست ثمة تغرد وتغنى وتعمل دائبة فى منسج أمامها ، ويداهما تتلقفان الوشيمة<sup>(١)</sup> الذهبية كما يخطف البرق ! والنار تتأجج فى الموقد بقرىها وتتوهج ، وجهر الأرز والصندل يعبق ويتأرج ، ويملاً نشره أركان الجزيرة وفجاجها .. وقد بسقت أشجار الحور والسنديان عند مدخل الكهف فغشته بظلال رائعة ، وظلمة رهيبة ؛ وصنعت جوارح الطير أوكاراً لها فى الدوح الزاهب فى السماء ، ووَكَّنت<sup>(٢)</sup> الحدأة بيضها ، وقر الغداف<sup>(٣)</sup> جنب صغاره ، وطفقت البومة ترسل فى الآفاق صغيرها ، وتناثرت فوق الشاطئ أفاحيص الطير من كل نوع ؛ وامتدت الكروم عن يمين الكهف وعن شماله مثقلة بالعناقيد ذوات السكر ؛ وتدقت جداول أربعة عن عيون كثرية تسقى السندس الجميل المنضر بأفواف الورد والبنفسج ... منظر عجب ، وأى منظر عجب يبعث البهجة والانشراح حتى فى قلوب سكان السماء !

ووقف هرمز يمتع ناظريه بسحر هذه الجنة ثم دلف إلى الكهف ، ولم يكن يسيراً على عروس الماء أن تعرف من هو ، وأى إله خالد طرق بابها ، ولو أنها هى أيضاً فرد من أسرة الخالدين ... ذلك لأن سكان السماء يكونون مثلنا أحياناً ، لا يعرف أحدهم جميع الآخرين ، لبعد الشقة ، ونأى الدار ، واقطاع المزار ... ، ... وأرسل عينيه فى كل شق من

---

(١) المكوك .

(٢) رقدت عليه .

(٣) الدفاف بهم الدين فمراب القبط .



شقوق الكهف ، بيد أنه لم يقف لأوديسيوس على أثر... فانتنى ، ويم نحو الشاطئ\* واستوى على صخر عظيم نائى ، وشرع ينثر من عينيه الدموع الغوالى ، يطفى بها فى القلب سعيراً سرمدياً يلزمه أبد الدهر... وكأنا عرفت كالپسو من هذه الآفة أنه هرمز ، فراحت تسائله ، إذ هى مستوية على عرشها المرد العظيم :

« هرمز ! يا صاحب العصا السحرية ، يا من طالما أحببته وبجلته ، حدثنى فيم أقبلت ، وقد ندر ما قدمت إلى هنا . هلم قتل . سل حاجتك فسأقضيها إن تسكن فى وسعى ... ولكن هلم أولا ولتؤد لك مراسم القرى وواجبات الضيافة ... هلم ! »

ومدت عروس الماء سماءاً حافلاً بأشهى ألوان الطعام وصنوف الشراب ، وأقبل هرمز فاغتذى وروى من هذه المائدة القدسية ، ثم توجه بالكلام فقال : « تسألين أيتها الربة فيم أقدمت ! ألا فاعلمى أننى ما أقدمت عن أمرى ، لكنه أئى ، سيد الأولب وكبير الآلهة ، هو الذى أرسانى . إذ آفة حاجة لإله فى هذه القطعة المنعلة من الأرض ، يحيط بها الملح من كل مكان حيث لا عباد ولا خلق يؤتون الزكاة ، وقيمون الصلاة ، ولا أثر لعبادة زيوس العظيم ! إنه جل جلاله ، يقول إنك تحتجزين هنا أتعس مخلوقاته ، البطل الكبير الذى نزع عن بلاده إلى اليوم فقضى ثمة تسع سنين ثم أبحر عنها بعد سقوطها فى العاشرة مع محاربى هيلاس الذين تفرقوا فى البحر شذر مذر ، فمنهم من غرق ومنهم من قتل ، ومنهم من وصل إلى بلاده ... إلا إياه ... فقد هلك كل رجاله ، وقذفه

البحر فوق جريرتك المائبة ... جوف يأسرك أن ترديه ، وفي كتاب المقادير أنه لا يهلك هنا ... بل يعود إلى بلاده ويلقى فيها آله .

وزلزات كاليسو زلزالا وقالت نجيبه : « ها ... الظلم والحسد ... دائما ... هذا دأبكم يا آلهة ... كم تأكل قلوبكم الغيرة كلما ضمت ربة إلى ذراعيها أحد بنى الوتى ! وهل نسيتم يوم ثرتم عند ما علقت ديانا ذات الأصابع الوردية هذا الفتى الجميل أوريون ، وكيف دبت الغيرة في قلب أبولو ذكر هذا المكر السيئ ، ودرقت الفتى بيدي حبيبته ديانا ؟ <sup>(١)</sup> هل نسيتم أيضا كيف أرسل أنوكم جوف إحدى صواعقه على آياسيون المسكين لأن سيرس ربة الربيع قد هويته وأخذته بين ذراعيها حين شغفها حبا ؟ كذلك أنتم معى اليوم ، وكذلك أنتم عيورون دائما ، فما أقسامكم إذ تنفسون على حبيبي ؟ ! لقد أنقذته بعمى من هذا اليم الذى التقم سميفته بمن فيها حين شطرها أنوكم بسهمه فى عنقه من عبثاته ! حبيبي الذى أهواه من أعماق وأفنديه بروحى ، والذى أهد له حياة الخلود ... ولكن ... وا أسفاه ! كيف أطرده من عندى ؟ ويحى ! إن تسكن هذه مشيئة زيوس فلاحدثن أوديسيوس ليرى لمسه ، إذ ليس عندى مركب يأمن فيه غائلة هذا البحر المضطرب ، وإلى ناحية له ، .. »

---

(١) راجع الأوديسة التى بأيدينا . بهمة فى الكلام عن هذه الأسطورة لذلك اضطررنا أن نتصرف قليلا اعتماداً على شرح الأستاذ جرير — وحلاصتها أن أبولو علم بما بين أخته ديانا وأوريون من عشق فاستدرج ديانا وأخذ يباريها فى الرماية — وكان أوريون يستحم فى الحر فجعلها تصوب سهمها إلى رأسه وهى لا تدري فقتلته .

وكلهما هرمز فأندرها من عضبة سيد الأولب وحضها أن تعمل على  
إبحار البطل .

\*\*\*

ورف هرمز الرسول في لازورد السماء ، وانطلقت عروس الماء تبحث  
في الجزيرة عن أوديسيوس ، حتى لقيته فوق صخرة ساهماً واجماً ، تَمرى  
قلبه الهواجس ، وبعث به محال الأمانى ، وقد انهمرت فوق حديه  
عبرات حرار ، واللحظات تذبذب فتسقط من حياته في ظلام اليأس كأوراق  
الخريف ، وقد ملّ هذا المقام الطويل البائس في جوار عروس الماء التي كانت  
تخلع عليه جها البارد ، وتقصره على أن يقضى لياليه بجانبها على فراش واحد  
في ذلك السكف السحيق . . وكما فكر في وطئه ، ونظر إلى الموج  
اللتوائب في أفق اليم ، وعرف أن لا قدرة له عليه ... بكى وأن ، وتوجع  
وتصدع ، وأرسل في لا نهاية الماء والسماء آهات وآهات ... » .

واقتربت منه عروس الماء في رفق وَحَدَب ، وقالت له :

« أيها التعس لا تنتعجب هكذا ، ولا تصهر حياتك الغالية في نور  
من الآلام ، هلم ... هيا إلى عمل مجيد .. أمامك الدوح العظيم والأبك  
الذاهب فاقطع منه ما شئت واصنع لنفسك رَمَماً يحملك فوق هذا العباب  
المتلاطم . وسأزودك بكل ما يكفيك من طعام وشراب ؛ وسأمدك  
بأثواب جديدة تقيك الحر والبرد ، وسأسخر لك الريح تُهْدِيْكَ إلى بلدك  
البعيد ... هذا قضاء من آلهة السماء التي تقدر فتعدل ، وتقضي فلا يرد لها  
قضاء ... »

وتفزع أوديسيوس لهذه المأجأة ثم قال : « أوهِ يا عروس ! بل في الأمر سر تحاولين إخفاءه عني .. أى رَمَتْ يحملنى في ذلك البحر اللجى وأى ريح تُسَخِّرُ من أجلى ؟ وإن السفينة العظيمة لتمخر عبابه وهى لا تدرى أنسلم أم يكون أهلها من المفرقين ؟ لا ... لن أفعل حتى تعطينى موثقتك ، وحتى تقسمى القسم العظيم ، أنك لا تبطنين لى شراً ولا أذى ! » .

وتبسمت الربة الهيفاء ، وراحت تربت على خديه وهى تقول :  
« ويحك ! كيف تسوء بي الطن يا أوديسيوس ؟ أية حجة تملأها يديك على ما قلت ؟ ولكن اصنع لى ... أقسم لك بقسم الآلهة فى الأرض والسماء والدار الآخرة ... بالقسم العظيم الذى يقشعر لذكرك كل شئ ... إنى لم أضمر لك فيما عرضت عليك شراً ولا أذى ... إن الذى تبكى من أجله ، أبكى أنا أضعاف ما تبكى من مثله ، فلقد كنت ضرورة من ضرورات حياتى هنا ، ولقد علق بك قلبى ، وهامت بحبك نفسى ، وليس قلبى من صخر فيحتمل البعد عنك ببله الإضرار بك » .

وانطلقا سويا إلى الكهف ، وجلس أوديسيوس فوق المتكا الذى كان يجلس عليه هرمز منذ هنية ، ثم أقبل جوارى الماء يحملن شيئاً كثيراً من اللحم والشراب فأكلا ورويا ؛ ثم شرعت كاليسو تحدثه وتقول :

أهكذا يا ابن ليرتيس العليم ، أيها الحكيم الصناع ، لا تقتأ تحن إلى وطنك وتعتزم الرحيل إليه ؛ أنا عذيرك يا أوديسيوس ... فوداعاً !

ولكن هل فكرت أيها الرجل في الأحوال الجسام التي تخرط قتادها  
قبل أن تصل إلى بلادك؟ أليس حيراً لك أن تظل إلى جانبي ، وتقاسمني  
كهنى ، فتصبح من الخالدين .. وتنسى هذا الجمال الفانى الذى لا ينفك  
يصببك ويسبيك ، والذى أحسب جمالى وفتنتى لا يقلان عنه سحراً إن  
لم يزيدا عليه فتوناً ؟ ! »

فيجيبها أوديسيوس الحكيم . أيتها الربة الخوفة ! هوّنى من حفيظتك !  
فأنا أعلم أن ينلوى العريزة لا تزن من جمالك ومتونك مثقالاً ، لأنها  
هالكة ، ولأنك من الخالدين . بيد أن الذى يصيبنى هو وطنى ... وطنى  
الحبيب الذى أحن إليه وأهيم به ، وفى سبيل العودة إليه لن يخيفنى هذا  
الليج المتلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير فى البر والبحر ؛ فى خبار المعمة ؛  
وفى الفلك تحت كل كل الزوبعة ... إلى ، إلى ، إلى يا خطوب ، وأقدمى بكل  
حولك يا رزايا ... »

\*\*\*

وتواتر الشمس بالحجاب ، وأرخى الليل سدوله فوق الجزيرة ،  
ونامت الربة فى سريرها الوثير ، وبين ذراعيها حبيبها تشمه وتضمه ، وتحسه  
وتلثمه ... حتى إذا نصرّت بالورد أورورا جبين المشرق ، هب الإفان  
وتدثرا ؛ هذا بثوبه الخشن ، وتلك بشفوفها الرقيقة الثلجية الناصعة ، التى  
كانت نسجت من نسجات الصباح العطرى ، وراحت تخطر فينانة ريانة ،  
وقد أتشحت حول وسطها النحيل بقرطى<sup>(١)</sup> جميل ، وألقت على رأسها نجمار  
صفيق رقيق ؛ وقدمت إليه فأسأ ذات حدين أحدها كالسطور ، ركبت

(١) أقرطى بسم كاف وفتح طاء نوب يشتمل به .

فيها يد من حشب الزيتون المتين ، ثم إرميلاً حاداً مرهماً . وسارت بين يديه حتى كانا عند عانة عظيمة تُحَرَفُ ، لاحمة شاحبة ، بسقت فيها أشجار الحور والسنديان والشربين<sup>(١)</sup> ، وتركته ثمة ، وعادت أدراجها إلى كيهما ...

ولم يهدأ للنمل المسكين بال ، بل شرع من فوره يقطع كل أكمة عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الغابة . . ثم أقبلت كاليبسو وقد حملت إليه آلات ساعدته على تشذيب الشجر ، واستطاع بعد لآي أن يضم بعض الجذوع إلى بعض ثم كلبها بكلابات كبار ، وأفرع في وسط الرمث له ولما يحمل مكاناً أميناً ، كأحسن ما يصنع السماون . . ودعم ذلك جميعاً بالأواح ودُسر ، وصنع قلعاً وجعل في القلع سراعاً ، سم سوى السكان مكانه ، وجعل في الباطن صبرة<sup>(٢)</sup> كبيرة تقي الرمث الانقلاب ، ولم ينس أن يجادل جوانبه بفروع وأغصان تزيد في قوته وتضاعف من مُنْتَه . وأتم صنع مركبه في أربعة أيام ، وأنزله إلى البحر في الحامس ؛ ثم أدخلته عروس الماء حمامها ففسلته وضمخته بالطيوب والعطور ، وخلعت عليه من ديباج ثمين ، وزودته بزقين من خمر وماء ، وأمدته بشيء كثير من طعام وأثواب .

وودع عروس الماء المحزونة ؛ وجلس عند السكان ، ثم دفع الرمث في البحر ، وابتعد رويداً رويداً .

(١) Fir ولم نجد لهذه اللفظة أثراً في اللسان والعاموس .

(٢) أو صبرة قطعة حجر كبيرة يتزن بها المركب في البحر وتسمى في مصر

( صابورة ) .

وكان قلبه يفيض بالمشر ، وصدره يمتلئ بالانشراح ... وظل يجري  
به الملك الصغير سبعة عشر يوماً ، وعيناه في كل ليل ما تربحان عن الثريا  
في علياء السماء ، وما تفران تنظران إلى مجوم الدب الأكبر التي تقف  
للجبار<sup>(١)</sup> بالمرصاد ، كما علمته عروس الماء قبل أن يرح ، أن يجعل هذا  
المجم إلى شماله أبداً

ثم بدت جبال فيثيا الشم كأنها دروع مسرودة فوق صدر الأرض  
الشاحبة ... ولكن ! وأسفا ! ، لقد كان الجبار نبتيون ثانياً عناه  
من سوليا<sup>(٢)</sup> ، فلمح أوديسيوس فوق رمشه يتوائب على هام الوج ،  
ويقرب من الشاطئ ، فينجد إلى الأبد من بطشه . وثارت في نفس  
نبتيون — إله البحار ، وأعدى أعداء أوديسيوس — ثورة من الغضب ،  
وظل يعلك هذه الكلمات في نفسه من فوق بطاح إنيو بيا<sup>(٣)</sup> :

« وى ! أوقد تبدلت مقادير الآلهة إذن ، وتحركت فيهم عواطف  
الحنان من أجل هذا الرجل أوديسيوس ، فقصوا فيه ما قصوا لأنهم  
يسكنون السماء ، ولم يبالوا بي لأنى أسكن الأرض في إنيو بيا ؟ إنه يرى  
شاطئ فيثيا قيد وثبات منه وهو إذا قفز إليه أصبح بنجوة من هموم  
تترصده في كل موجة من موجات هذا اليم ... ولكن ... لا ... لألمه  
بألف سوط عذاب قبل أن يصل إلى البر .. » .

(١) الجوزاء Orion

(٢) إحدى مقاطعات آسيا الصغرى وكانت تدعى اليسيديا

(٣) هكذا في الأصل

ثم إنه لاعب السحاب بصولجانه ذى الشعب الثلاث فانعقدت منه  
 ظلمات فى أرجاء السماء ، وطفق يهز أعماق البحر فهاج وماج ، وتلاطم  
 بالأمواح ، وصاح صيحة بريح المشرقين وريح المغربين فاجتمعت إليه  
 من كل مكان سحيق ... ثم هبت ريح الشمال الثلجية اللاخفة فانطلقاً  
 لألاء النهار ، وأظلم الليل فجأة ، وطفى العباب وشابت نواصيه بالشبح ،  
 وتناوح الموج الغضوب حول الرمث ، وهلع فؤاد أوديسيوس وأصبح قلبه  
 فارغاً ، وطاشت أحلامه وذابت أمانيه العذاب ، وراح يحدث نفسه هكذا :  
 « يا لتعاستى ! أى مقدار قاس يترصدني ؟ لقد أذرتني ربة الماء معبة هذه  
 الرحلة الموهجاء فى البحر فما صدقتها ، وتنبأت عن الشدائد التى تعتور طريق  
 إلى الوطن ، فها هي ذى تتحقق ! أية أعاصير هوج وأى موج ينتفض  
 من الأعماق قد سلطه خوف على هذا البحر ! بعد لحظة أغوص فى ظلمة هذه  
 القبور التى يشقق عنها الموج ! ألا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً تحت  
 أسوار إليوم ، يوم أوشكت أن أقضى ثلاثاً فى سبيل إنقاذ الأتريدس<sup>(١)</sup>  
 أو يوم أوشكت أن أصرع برماح الطرواديين إذ أدفع جموعهم عن جثة  
 أخيل ! ! أجل ! لو أننى مت ثمة لأقيمت من أجل الطقوس الجنائزية ،  
 وأدبت لى الشعائر الدينية ، وذرف فوق قبرى كل يونانى أغلى دموعه  
 وأعز عبراته . وتناديت هذه الموتة المجهولة التى تكاد تلتقمنى ! » .

ثم كانت الطامة .. فإن موجة كالطود فجأت .. فبعثرت الرمث ...  
 وأفلت مقبص السكان من يدى أوديسيوس ، فانتثر فى اللجة ، ثم غاص

---

(١) هو بيت أخامنون



في أعماقها ، وعبثاً حاول أن يطفو ... لأن الرياح تكالبت عليه من كل مكان ، وكلما نجا من موجة فغرت له فاهاً أخرى ... ثم حدثت المعجزة ... فقد وسعه بعد لأى وبعد عناء شديد أن يدفع نفسه دومة اليأس إلى السطح ، وأن يملأ رئتيه المنهوكتين بنفسه من الهواء كانت تمتزج بالماء الأجاج المتعصب من جبينه ، حتى لأوشك أن يغص بها ... لولا أن اطلقت به الصدفة ، فرأى الرمث قريباً منه ، وقد انتزعت العاصفة قلاعها وشراعه ، فسبح إليه وأمسك به ، ثم استوى عليه ، وتركه للموج تلعب به واحدة وتعبت به أخرى ، وتجمع عليه الرياح عن شماله ويمينه ، ومن خلفه وقدامه ، حتى قيَّص له القدر عروس المساء (إينو) ابنة قدموس ، التي كانت تعيش في البر وتعرف فيه بهذا الاسم ، والتي اتخذت اسم (ليوكوتيا) بعد أن نزلت إلى البحر وعلقها أحد الآلهة فوهبها الخلود .. لقد تفجرت في قلبها شأيب الرحمة من أجل أوديسيوس لما رآته في هذا الروع الذي ليس كمثل روع ، فسحرت نفسها ، ووثبت على الرمث في صورة غطاس الماء ، ثم قالت له : « ويحك أيها البائس ! فيم أثرت غضبة نيتيون عليك حتى ليتبعك سرباً في شعاب البحر ، ويصب عليك كل تلك الرزايا ... ؟ » على أننى أنصح لك أن تدع هذا الرمث ، تدافع الرياح حيث تشاء ، ثم تخلع ملابسك ، وتقفز في المساء ، وتسبح بقوة وجلد حتى تصل إلى شطآن فيشيا ، حيث تسلم بنفسك ، وتكون بمأمن من بطش هذا الجبار . خذ هاك زاراً<sup>(١)</sup> من حرير من حياكة السماء ، لفه تحت صدرك ، فإنه يجعلك بمأمن حتى من مجرد التفكير في الموت ، فإذا وصلت سالماً إلى الشاطئ

فأمره بكل ما أوتيت من قوة بعيداً في البحر ، وأدر وجهك بمجرد أن تفعل ، بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء .

وسلمت إليه الزنار الموعود ، ثم غاصت في الماء ، وبقي أوديسيوس مكانه في حيرة شديدة وحزن عميق ؛ ثم أفاق من غشيته ، وجعل يهرف هكذا : « أوه ! ترى ؟ أذاك شرك آخر تدبره الآلهة لي ؟ ولكن لا .. لن أرح مقياً فوق الرمث ، فالبر بعيد ، ولأظل مكاني ما دامت الجذوع مكلّبة هكذا ، فإذا حطمتها يد الحدّثان فلأفعلن كما أشار الإله الذي كان يكلمني منذ لحظة ... » . وما كاد يفرغ حتى أرسل عليه نبتيون موجة جارفة حطمت رمته ، وتركته عالقاً بأحد الألواح ... وأسرع أوديسيوس نخلع الرداء الجميل الديباجي الذي خلعتة عليه كاليسو ، ولف الزنار الموعود حول صدره ، وقذف بنفسه في الماء ... وراح يسبح !

وكان نبتيون الجبار يرى بعينيه ، ويشفي حرّده ، ويقول في نفسه : « ذُقْ يا أوديسيوس وبال أمرك في هذا الطوفان ، قبل أن تصل حبالات بحبال الشعب الذي هو حبيب الآلهة ، وسترى ثمة هل تنتهي آلامك ! » وحثّ مطيه حتى وصل (إيجّه) حيث يشرف قصره المنيف .

\*\*\*

وكانت ميترقا تشهد الكفاح الهائل بين أوديسيوس وبين اليم ، فاطلعت من عليها ، وداعت الرياح حتى استنامت وونت ، ثم أطلقت بوريس ، ريح الصبا الشمالي الكريم فجري<sup>(١)</sup> رخاء ، يدفع أمامه البطل

(١) الضمير عائد على بوريس وهو مذكور

العظيم الذى ظل يناضل الموت ويصرعه يومين أطول من دهر ، وليلتين  
أحلك من غيابة جب ، حتى إذا غات أورورا فى اليوم الثالث ، استطاع  
أن يرى الشاطئ على مرمى البصر ، فوق موجة عالية .

ما أحلى الأمل الذى يحيا بعد يأس ؛ لقد كان أوديسيوس ينظر إلى  
التلال والجبال القريبة ، والغابة النسائمة فى أحياها ، كما ينظر الأطفال  
الأبرار إلى أب لهم أنهكتهم العلة . . . ثم تماثل للشفاء بعد تسليم وقنوط !  
وتحسّس الأرض بقدميه ... ولكن . . . وأسفا ! الأعماق الهائلة !  
والصخور والأواذى ! والموج الذى يرتطم بأقدام الجبال فيرقى ويزد ... !  
لم يكن بهذه الجهة مرفأ ، ولم تكن تجوس خلاها سفن ... ولقد  
ظل أوديسيوس يكافح ويكافح ... حتى غمّ على قلبه ، وكاد يتغشاه  
طائف من الخور ، بعد أمل وطيد !

وجاشت الوسوس فى قلبه ، وطفق يحدث نفسه حديث الهلك فى  
هذه اللجة الرجراج ...

وكان أخوف ما يخشاه أن يدفعه الموج على نتوء الصخر فيحطمه ،  
أو أن تلمحه أمفريت ، زوج نتيون ، عدوه اللدود ، إله البحر ، فتسلط  
عليه من وحش الماء ما يلقفه ، أو يقذف به إلى أعماق الأعماق ...  
كرة أخرى .

وبدنا هو فى بحر من ماء ومن هواجس ، إذا موجة هائلة يضطرب  
بها اليم فتدفعه فى قوة وعنق إلى الشاطئ ذى النتوء والنوى فتسكاد  
تدق عنقه ، وتذرو عظامه ، لولا أن قبض بذراعيه الجبارتين على حافة

صخرة بارزة .... فظل معلقاً ثمة حتى أقبل جبل آخر من موج البحر فاحتمله إلى الأعماق كأنه أحد سراطين الماء ... وجاهد المسكين ثانية وثالثة حتى تدافع الموج من حلقه فقفزه في مسيل من مسابيل الماء المنتشرة على الشاطئ ، وعندها ، ظن أوديسيوس أنه بنجوة لولا تيار النهر الذي كاد يسلمه بدوره المحيط ، مما جعله يضرع لرب النهر ويبتهل ... ويدعو من أعماق قلبه ويصلى ، حتى استجاب الرب الرحيم لصلاته ، فكسر حدة التيار ، وقَلَّ من غرب الماء ، واستطاع اللبأس المنهوك أن يصل إلى إحدى العدوتين واهياً متهاكاً محطاً .. فانطرح على الثرى يقبله ... ويلهث ويقول :

« ويح نفسي ماذا تبتغين يا آلام ! لقد أقبل الليل وأنا عتيٌّ مضدع ، ولا قَبَلْ لهذه البقية من حشاشتي بطل العشاء وصقيع الفجر ... فلو أننى استطعت أن أتسلق هذا الحدور فألوذ بأجرة من هذه الغابة ! ولكن ! وئى ! أى وحش ضار يغتذى بلحمى ثمة ؟ » .

يُبد أنه توقّل في الجبل حتى أوشك أن يضرب في الغابة ؛ ثم كان بين زيتويتين إحداهما مثمرة ، والأخرى عقيم ؛ كل منهما لعماء شجراء حتى لا تنفذ الريح بينهما ، ولا تنسرق أشعة الشمس خلالهما ، ولا المناء بواصل إلى من استدرى بهما .

هنا ... وجد أوديسيوس مأمنه ؛ . . وراح يهد الأرض ، ويهلم ما استطاع من قش ويحتطب ، حتى صنع لنفسه منامة تكفى اثنين غيره ، من الضارين المشردين في الأرض ، ودعم حفايفها بفروع الشجر ...

ثم أسلم عينيه لنوم هادئ عميق ، سكبته مینرفا في كلتا مقلتيه .  
فله ما كان أروعها غارًا في هذا السفط من القش ، كشعلة من زيتونة  
لا شرقية ولا غربية ، يعتز بها ريفي شاب في قرار مكين<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

نام أوديسيوس منهوك القوى .  
وذهبت مینرفا تدبر له أمراً في شيريا ، بلد السلالة ذوى الجهد من  
أبناء فياشيا — ملوك البحر الذين فروا من وجه جيرانهم الجبابرة  
السيكاويس — في العصر الخالي ، ونزلوا بهذا البلد ، فشادوا حصونه ،  
وأقاموا أسواره وتوزعوا أرضه الخصبه ، وأسكنوا الدور والقصور ،  
وأنشأوا المعابد للآلهة عرفانًا وشكرًا .  
وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ... ثم استوى على العرش من  
بعده ألكينوس ، حبيب الآلهة ، وصفى السماء .

\*\*\*

كانت الأميرة الحسناء ، نوزيكا ، ابنة ألكينوس الملك ؛ تفت  
كالملاك في نوم عميق بين وصيفتين رائعتين من وصيفاتها ، فوق سرير  
وثير في مخدعها الملكي الفاخر .

وكان رتاج الباب محكمًا كأنه وتاج باب الجنة ، ولكن ذلك لم يقف  
بسبيل ربة الحكمة مینرفا ، التي خطرت إلى الداخل كنسمة نادية من  
نسمات الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك تزخرف لها هذا الحلم الففى

---

(١) كانت النار في ارمن القديم أغلي ما يعتز به الناس .

الجميل ، وكأما تبدوا لها في المنام في صورة صديقتها وأعز أترابها ابنة  
ديماس السكريم :

« نوزيكا ! يا ويح لك أيتها المؤوم المكسال ! أهكذا تهملين  
ملابسك وأنت موشكة أن تُرْفَى إلى عروسك ، وعليها يتوقف مظهرك ومنظرك  
ورواؤك ، ورواء حاشيتك ووصيفاتك ؛ كما يتوقف عليها زهو أبويك بين  
الناس . انهضى مع الفلّكى<sup>(١)</sup> فاذهبي بمطارفك إلى المغتسل عند ضفة النهر  
فاغسلها وأعديها ليوم زفافك ، يوم تودعين مراح هذا الشباب الخالي . .  
هلمي ! إني سأعاونك ، أنت يا ساحرة ألباب شباب العياشيين ! سلى أباك  
أن يرسل لك عربة وبغلاً تحمل ثيابك ومطارفك إلى عُدوة النهر حيث  
لا شاهد ولا رقيب » .

وانقلب مينرفا ذات العينين الزبرجديتين ، ورقن أسباب السماء  
حتى كانت فوق ذروة أولمب ... حيث السكون والهدوء والصمت ،  
وحيث مستقر الآلهة ، وحيث لا تعصف ريح ولا يتلبذ سحب ولا تدمع  
عين مطر . . وحيث السماء لازوردية صافية إلى الأبد .

\*\*\*

وخطرت أورورا فوق عرش المشرق ، وأرسلت من لديها أميناً من  
رسل النور يداعب جفنى نوزيكا ، فهبت وحملها الجميل لماً يفتأ يساور  
رأسها الصغير ، وهرعت من فورها تبحث عن أبويها تقص عليهما أنباء  
ما رأت . وقد ألفت أمها لدى المدفأ مكبة على غزل من صوف أرجواني

(١) الفلق أول ضياء الصبح .

موشى بصبغ بحرى ، ومن حولها وصيفات يساعدها . ثم نقيب أباه  
يكاد يذهب ليتأسس مجلس سيوخ المملكة ، فاستوقفته وكلمته فى العربى ،  
واحتجت ملابس إخوتها الخمسة الذين يستحيون أن يراقصوا العذارى  
فى الحفلات بملابس لا تليق بأبناء الملوك . . . وعقد الخجل لسانها فلم  
تذكر مطارف زواجها وشفوف زفافها ... ولم يدخل أبوها مما طلب ، بل  
أمر لها بعربة كبيرة عتيقة ودواب ، وزودتها أمها بأشربات وآكل  
وطيوب ومروخ<sup>(١)</sup> .

واستوت مع وصيفاتها فى العربى ، وساطت البغال فانطلقت تطوى  
الرحب إلى النهر حيث وقفت عند منعرج يترقق فيه نور الماء ، متدفقا  
من نبع قريب . وسرحت الدواب لترعى العشب الحلو النامى على جنابى  
الماء ، ثم أخذن فى غسل المطارف ونشرها فوق حصباء الشاطئ الذى  
طمه المد ونضجه الجزر ، واغتسلن بعد ذلك وتصدخن ، وجلسن على  
شفا النهر يتبلفن بلبقات ، ثم نهضن فتلاعبن بالأكر ، وتغنت ابنة الملك  
أعذب الأغاني ، وتشت كما تتثنى ديانا فى شعاف الجبال وفى يدها القوس  
والترس ، تصيد الخنازير فى أريمانت — ومن حولها ربرب من عذارى  
الآلهة ، وابنة لاتونا<sup>(٢)</sup> تننيه عليهن وتدل ... كذا كانت تيمس ابنة الملك  
فيكسف لألاؤها جمال الأخريات .

وهنا ... شاءت ميثرفا أن يهب أوديسيوس من نومه ، ليشهد

(١) ما يمسح الجسم من دهن أو طيب أو غيرها .

(٢) هى ديانا .

العادة الهيفاء التي كُتِبَ في الأزل أن تقوده إلى المدينة ؛ فمما كانت  
وزيكا تضرب الكرة لتلقمها إحدى وصيفاتها ، إذا هي تملو وتعلو ،  
ثم تدوم كما يدوم الطائر ، وتهوى في العباب المصطخب ...  
وصرخ العذارى صرخة مدوية ، فانتفض أوديسيوس وهب مذعوراً  
مشدوهاً ليرى هذا المنظر العجيب !

« ويحيى ! أي بني الموتي قُطَّان هنا ؟ ليت شعري أشوس عرابيد  
أم كرام أجاويد ! أوه ! إيهن عرائس ماء تفرّ عن فرجعت الغيران أصداء  
صراخهن ، وتراقص الحباب فوق العباب من جرسهن ، وتثني الكلا  
نشوة في الوادي ! لأدلف نحوهن فأرى إلهن ... » .

وخطر من دَغِيلَةٍ<sup>(١)</sup> خَطَرَانِ الأسد حاجته العاصفة ، فانقادت في  
عينيه جمرتان من غضب ، أوظمى فاشتدت غلته إلى الدماء ... وذال<sup>(٢)</sup>  
نحو العذارى ، فما إن رأيته حتى تفرعن وولّين مذعورات في الشاطيء  
ذى النوى ... إلا وزيكا ! فقد نفخت فيها ميفراً من روحها ، ونزع  
من فرائصها رجفة الخوف ، فوقفت شماء الأنف تنتظر القادم ...

وارتبك أوديسيوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجثو تحت قدميها يتوسل  
ويتضرع ، أم يقف عن كשב يستعطف ويسأل الفتاة دثاراً ، ويرجوها  
أن تهديه إلى المدينة ! وآثر الثانية فتلطف ، ثم قال :  
« عمرك الله أيتها الملكة ! أربة من الخالدات ، أم حسناء من

(١) الدغيلة والدغل الشجر اللثف .

(٢) ذال ودأل معني في خفة ونشاط .



بنى البشر! أضرع إليك أن تجيبى! فإنك إن كنتِ ربة ، فما إخالك  
إلا ديانا ، ابنة سيد الألب! ولم لا؟ ولك قسامتها ووسامتها وقدها  
الممشوق ، وحسنها السيوى ، وجمالها الروى! أما إن كنتِ إنسية ، فما  
أسعد آلك بك ، ولشد ما يزهون بجمالك! كلما خطرت فى ملعب ،  
أو بدّخت<sup>(١)</sup> فى مرتع .. ثم ما أسعد الزوج الذى سيحظى بكل ذلك  
الجمال ، لا يضارعه فى العالم جمال! ألا ما أروع ما تبدين كالنخلة اليانعة  
فى ديلوس عند مذبح أبولو ، أيتها الأميرة! ألا كم أتمنى أن أتم قدميك ،  
لولا ما ينتابنى من روع ، ويؤودنى من فزع — أنا — ذلك الممّتى  
الحزون المشجون — أنا — ذلك العبي الموهون الذى أفلت من يد المنون  
أمس ، بعد إذ كشرله عن نابه فى ذلك البحر اللجى ، بعد سفرة عشرين يوماً  
من أوجيحيا ، وسط أنواء وأهوال ، وموج كالجبال ، حتى شادت العناية أن  
تطرحنى بشطآنكم الحبيبة! ولست أدرى ما حبات لى المقادير بعد!  
ولكن ، هل ترى مليكتى من أجلى ، وهى أول من لقيت فى هذه  
الأرض بعد طول عنائى ، فترشدنى إلى مدينتها ، وتسبع على — أسبغت  
عليها الآلهة كل ما تتمنى من هناءة وبلهنية وقران قوى العرى لا تتناول  
إليه أعين الأعداء — دناراً يسترسوئى؟ » .

وأجابته نوزيكا : « حباً أيها الغريب الفازح وكرامة! إن سيماك تدل  
على نبل ، وسَمَتِكَ ينبئ عن رفعة! اضطبر على ما ابتلاك به كبير الآلهة  
الذى بيده العزقة يشقى من يشاء ، ويهبل من يشاء . وإنى سأدلك إلى المدينة ،

مدينة الفياتيين ملوك البحر ، التي أنا ابنة ملكها العظيم الكيموس ،  
رب نعماتها ومصدر رخائها » وأومات إلى وصييماتها تقول :  
« مكابكن يا عذارى ! فيم تواركن هكذا من إنسي كريم ؟ لقد آبت  
الآلهة أن تطأ قدم عدو أرض أحسابها ، بلادنا المقدسة ، التي انعرت في  
لجج هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ، جَوَّاب آفاق ،  
قدفه البحر إلى تساطئنا ، مرحمًا به ضيقًا من لندن زيوس ، وأهلا بوفادته  
ومنهلاً . هلم إذن يا صويحات فقدمن له طعامًا وشرابًا ، ثم ههنا له  
حمامًا في منعرج ظليل عند حفافى النهر . »

وأهرع البنات فُقدن أوديسيوس إلى منعرج ذى ظلال وأفياء ،  
وأعددن له ثوبًا وكساءً ، وهيان طيوبًا يتصبخ بها إذا فرغ من سَجمه ،  
وسألن أن يذهبن بعيدًا حتى لا يتعري أمامهن ، إذ « ... أشد ما ينجحني  
أن أندو عاريا أمام الخُرد الصُفَرات ! » ... وتهادين إلى مولاتهن يحدثنها  
بما قال : بينا هو قد انقذف في الماء يغسل كاهله وحقوقه مما جمد عليهما  
من ملح اللجة ، وصعد فقصمَّخ بالطيب الثمين ، ثم أسبغ على بدنه العنيد  
ذلك الكساء الذى منجته إياه نوزيكا ، ومن أعجب العجب أن ميترفا  
نفسها كانت تعاونه في تجميل خلقه ، وتزيل من شعره الكث الأشعث  
تلبداته التى كانت تبدو كأنها أزهار الخزامى ... ثم هى بعد كل ذلك  
تضفى عليه أمواها من البهاء تظلل بها صدره ، كأنما هى فلكان الصناع  
يعمل حلية من فضة وذهب ، وجلس على الشاطئ فى روتق وروعة ،  
حتى إذا لحته الأميرة العذراء أذهلها جماله ، وقالت لوصيفاتها . « تالله

يا صويحبات لقد شككت في حال هذا الرجل أول الأمر ، ولقد حسنته  
 آفاقياً من رعاك الناس ، لولا أننى أثق أن الآلهة لا تسوق إلى بلادها  
 الحبيبة هذا الصنف من البشر ... أما هو الآن ، فلشد ما يشبه أرباب  
 السماء ! أواه ! لوددت أن يكون لى زوج فى بهانه وحسن سمته ، على  
 أن نبقى آخر الدهر هنا ... هلم يا وصيفات ... قدمن له طعاماً وخبزاً .  
 ومددن أمامه سماًطاً كبيراً ، وزودنه بأحسن الأشربات والآكال ؛  
 وأخذ أوديسيوس فى إكلته حياءً متادباً ، يرد عنه تلك المسغبة الطويلة  
 التى أنهكته وأوهت قوته .

ووضعت أحمال المطارف والثياب فوق العربة ، وشدت البغال ،  
 واستوت الأميرة فى مكانها ، ثم هتفت بأوديسيوس فقالت له : « هلم  
 أيها النازح الغريب ! إلى المدينة إذن ! إني سأرشدك إلى قصر أبى ،  
 حيث تلقاه فى جمع من أشرف الفياثيين وسنطلق وسط هذه الحقول ،  
 وإن لى معك من أجل هذا الكلمة . . لقد بنيت مدينتنا فوق صخرة  
 راسية ، وأحاط بها سور عظيم ، ثم وصل بينها وبين فُرُضتها جسر ضيق  
 تقرر على جانبه سفائننا ، رابضة متراصة ؛ ثم ينهض عندها معبد نتيون  
 العظيم ، وبجواره سوق المدينة المبنى من الحجر الصلد ، حيث تباع حبال  
 السمن وشراعيها ، وحيث تصنع مجاذيفها وأكثر عتادها — لأن الهياثيين  
 لا يعنون بشيء عنايتهم بهذه المنشئات فى البحر كالأعلام — والذى  
 أخشاه أن يرانا الناس ثمة فيستهزئوا بنا ، وقد يسلفوننى بالسنة حداد ،

قائلين فى سفاهة وتندر : ترى ؟ من يكون هذا الغريب النجيب الهرقلى  
الذى يقص أثر الأميرة ابنة الملك ؟ أى صدفة جمعت شملهما يا ترى ؛  
سرعان ما نراها تزف إليه عروساً كاعباً . قد يكون ضيفاً غير محمود من  
أرض نائية ؛ أو ربما صادت بصلاتها وتسبيحها واحداً من الآلهة أبق  
من السماء ليقر فى حضنها إلى الأبد ... الحمد لله الذى من عليها نزوج  
سعيد من بلاد غريبة يشبع أمانها الجاحدة بعد أن رفضت الأيدي  
الكثيرة التى تقدمت إليها من أبناء النياشين ... هكذا سيقول الناس  
إن رأونا أيها الرجل ، ولهم الحق ، فأنا نفسى لا أعفى من اللأمة فتاة  
عذراء تشبىح أن تمشى مكشوفة مع رجل غريب قبيل عرسها ...  
ولكن أصغ إلى : إنك واصل حتماً إلى أبى إذا اتبعت نصيحتى ... بعد  
قليل سيصل ركبتنا إلى حرج أشجار الحور المقدس النامى فى نخوم الطريق  
باسم رنة العدالة والحكمة ميئزفاً ... وإن عنده لنيماً يترقرق وسط كلاً  
وأعشاب ... وإن عنده لحديقة أوى ، الجنة الضحوك المثناف ! قف نمة  
حتى إذا دخلنا نحن المدينة وحصلنا فى بيت أبى ، فتقدم أنت وادخل المدينة  
واسأل أياً من الناس ، ولو طفلاً يافعاً ، عن قصر الكينوس الملك ، أبى  
الحبيب ، فإنه معروف مشهور لا يضارعه منزل آخر فى سعته وأبهته ؛  
فإذا دخلته فلا تتوان لحظة ، بل سر قُدماً حتى تلقى أمى جالسة لدى  
الموقد المتأجج بجانب عمود صرمرى ، مكبة على غزلها الصوفى الموشى بأصباغ  
البحر ، ومن حولها وصيفاتها يعاونها فى إنجازها — وقريباً منها ترى أبى  
مستوياً على عرشه يطعم ويشرب كأحد آلهة الأولب ... لا تسكلمه ...

بل جاوره إلى أمي الرؤوم، ثم سل حاجتك تقضها لك ، وتعدك إلى وطنك  
 ههما كان سحيقاً نائياً .. أثر في صميمها عامل الخير والحبة ، تردك إلى  
 آلك وذويك وبلادك .. وسلام عليك .

ثم إنها ألهمت ظهور البغال فانطلقت تعدو مولية عن النهر الذي صار  
 يبتعد قليلاً قليلاً ... وكانت نوزيكاً آخذة بزمامها لتكبح من جماها ،  
 حتى لا تفوت أوديسيوس من ورائها .

وكانت الشمس تصبغ بالورس حبين المغرب حينما وصل الركب  
 إلى حراج مينرقا المقدس ، الذي نهض حوره الباسق في السماء نضراً ملتصقاً  
 كما ينجى انة جوف ، المدرعة بإيجيس .

وهنا ... وقف أوديسيوس يصلي لمينرقا :

« يا ابنة جوف القوى المتعال اسمي لي ! أصيخى الآن ياربة !  
 لقد تصامت عني إذ كانت اللجج تلقني فراعيني الآن ! اجعل لي مرفقاً  
 من أسرى ، وهي لي محبة ورحمة في قلوب أبناء الفياشين أنسى بها  
 آلامي ... آمين آمين ! .

ولبت ربة الحكمة واستجابت لدعائه . بيد أنها ، احتراماً لعمها  
 ( نيتيون ) الذي لا يمتأ يقتنى أثر أوديسيوس عدوه الأكبر ، لم تشأ  
 أن تبدوله .

وفرغ أوديسيوس من صلاته ، ووصلت عربة الأميرة إلى القصر  
 فلقبها إختها الأمراء الخمسة المثجّب ، فخلوا الدواب وحملوا المطارف

والثياب ، وصعدت هي إلى مخدعها حيث كانت خادمتها العجوز الشمطاء  
( يوريمدبوسا ) تعنى بنار المدفأة .

ولم تسكد يور ترى سيدتها حتى حَيْثُ وَبَيْتُ ، واطلقت نعد لها  
وجبة المساء .

أما أوديسيوس فقد هب من مجلسه ، ويم شطر المدينة ، وقد شررت  
حوله مئزرًا — صفيته الوفية — ظلالاً وغماماً يحجبه عن أعين الناس  
حتى لا يضايقه أحدهم بسؤاله من هو وفيم أقبل ومن أى الأقطار جاء .  
بيد أنها لاحظت له قبل أن يلج باب المدينة فى هيئة فتاة قروية كاعب  
تحمل فوق رأسها جرتها ... وتعمدت أن تعترض طريقه ، فانهزها فرصة  
وزاح يسألها هكذا : « يا بنية ! أسمحين فتدلينى على بيت رب هذه  
البلدة ، ألكينوس الكريم ؟ لقد نال منى اللوى وطول السفر ، وحالت  
عليكم يا أهل فيثيا الأجويد ضيفاً غير معروف ، من بلد سحيق ، فهل  
تفعلين ؟ »

وقالت مئزرًا — ذات العينين الزبرجديتين — وهى تجيبه :

« حباً أيها الغريب الوقور وكرامة ! سأدلك على بيت ألكينوس  
بنفسى ، فهو غير بعيد من بيت أبى ... ولكن لى إليك وصية ...  
إصمت ما دمت سائراً ، ولا تحدج أحداً بنظرة ، ولا تكلم من أهل هذا  
البلدة لإنسياً ، فقد جبلوا على ازدراء الغرباء وقلة إيلافهم ، وتلقيهم فى فتور  
وبرود طبع ، وقد أحبهم نيتيون رب البحار فأذل لهم أعناق المروج

وأسلس لسمهم أعراف الماء ، فهي تخطر فيه كالطير حين ترف ، أو  
كالملكة حين تخطر في الخلد .

وتهدأت ربة الحكمة بين يديه ، ودلف هو وراءها ؛ ولم تره جموع  
المحارة الحاتدة التي كان يسير بينها ، لأن ميترقا ضربت على أعينهم  
غشاوة عجيبة حجبتهم عنهم ؛ وكان ينظر بعين الدهش إلى مينأهم وسفائهم  
ورحبة السوق التي يأوى إليها أبطالهم ، وإلى تلك القلاع المحدقة بالمدينة  
في أبهة وجلال ؛ ثم بلغا بيت الملك ، فقالت ميترقا :

« هاك يا أبتاه القصر الذي سألت أن أدلك عليه . وستلقى فيه  
رؤساءنا وأمرأنا أصحاب السمو يولون ويقصفون ، فلم فالفهم بقاب رابط  
وجأش ثابت ، فهم أشد الناس إعجاباً بشجاع جرئ ، وأكرمهم اللاجئ  
غريب . وستكون الملكة أريتنا — سلمة الشرفاء الأجداد آباء الكينوس  
الكبير ، وحفيدة المردة الجبابرة من ذراري نبتيون<sup>(١)</sup> — أول من تلقى .  
إنها سيدة قومها ، وهي محبوبة مبعجة إلى درجة التقديس من زوجها  
وأبنائها ومن جميع الفياشيين ملوك البحار ، الذين طالما تككبوا حول  
موكبها في شوارع المدينة هاتفين داعين ... إنها تجلس وقوراً كإحدى  
ربات الأوبل فتغمر بالحبة أبناءها ، وتقضى فيما يشجر بينهم ... لك الله  
يا سيدى إن قدر لك فاستطعت لقاءها ... إنها إذن تمنحك برهاً وتسبغ  
عليك من بركاتها فتعود إلى بلادك راضياً ، وتلقى آلك وخلاتك  
عزيزاً مكرماً »

(١) آخر ما ألابث هنا ما ذكر هو مصر من أسباب عفة الالال .

ثم غابت ميهرفا عن الأنظار ، وغادرت أرض شيريا الحبيبة إلى  
مَرثُون — ومن ثمة رَفَّت رِفَةً فَكَانَتْ فِي أَثِينَا حَيْثْ أَوَتْ إِلَى قَدْسِهَا  
الكَرِيمِ إِرَكْتِيُوس .

ودخل أوديسيوس قصر الملك هيبابا متخاذلا ، غارفاً في بحر الجلى  
من الوهم والفسر ، لأنه ما كاد يبطأ بقدمه وصيد الباب الكبير حتى  
بهره لألاء شديد خاطف ينبعث من الداخل ، يزيد في شدته ولمعانه  
تلك الجدران المصفحة بالنحاس ، يزينها إطار من اللازورد الأزرق ،  
وتلك الأبواب الهائلة من الذهب الخالص ، والعماد السامقة من الفضة  
الجلوّة ، تكللها تيجان من النُّضار الثمين . وعلى اليمين وعلى الشمال ربضت  
كلاب من ذهب ، صُنْعَةً فَلْكَان ، صَنَاعِ السَّمَاءِ الخالد ، وحالد أند  
الدهر كل ما صنعت يدا فلْكَان . ثم تلى بعد ذلك ردهة فسيحة  
مترامية صُفَّتْ إلى جدرانها كراسي كأنها عروش ، وبتت فوقها نمارق  
ذوات أفواف وشموف ، صُنْعَةً وصِيْعَاتِ القصر ؛ وهنا ... يولم الملك لأمرء  
شيريا ... فيقف الولدان في جلاليب من ذهب ، وفي يد كل شعلة تسكب  
الأضواء من فوق المذبح على جموع الطامعين في كل ليلة ... يا للقصر  
كأنه جنة الخلد ؟ .. إن خمسين من عيد شيريا الرعايب يخدمون  
الملك ثمة ، يطحن القمح وينخان الدقيق ، ويندون الصوف ويعملن على  
النَّوْل ... مائسات كأفنان الدوح يداعهن النسيم الخلو ... حاذقات  
في الغزل والنسج كأحذق ما يكون بحارة شيريا في عنفوان المعاصرة ...  
قد تقفن صناعتهن عن ميهرفا فامتننَّ وأبدعن إبداعا . ثم تكون البوابة



الكبرى ، حيث مردوس القصر اليانع ، وجنته دانية القطوف ، ذات  
الأسوار المنيعه المحيطة بهذه الأربعة الأفدنة .. للآلهة هذا الدوح قد سبق  
في جنباتها ؛ وللآلهة أشجار الرمان المنقلة بأثمارها مفترة عن شفاء الأفاح ،  
وحمرة الخجل قد خضبت حدود التماح والكثرى ، وسالت قطرات من  
الشهد في ثمرات التين ، وتأججت أنواراً زاهية في أفنان الزيتون ...  
فاكهة شهية جنية لا مقطوعة ولا ممنوعة شتاء وصيفاً ، يانة أبداً ،  
تداعبها أنفاس زفير رب الصبا فتشيع فيها النضج والماء ، كلما قطفت  
يد من جناها ثمرة نمت مكانها في الحال ثمرات ، فما تقل آخر الدهر  
قطوفها وما تنقص .

وخلال هذه الجنة المثمرة تمتد الكروم ذوات الأعناب والرطب  
والعناقيد من نور ، بعضها يعصر فتقطر الخمر منه ، وبعضها يحف على  
سوقه فيكون زيباً جنياً .. ثم توشى أطراف الحديقة أحواض من  
الزهر المشذب المنسق ، وتتفجر في وسطها عينان نضاحتان ، يترقق الماء  
من إحداها كاللحعين في مسایل هذا الروض ، وتتدفق مياه الأخرى في  
نهر صغير ينساب إلى المدينة من تحت عتبة القصر ، فيرتوى الأهلون منه .  
ملك كبير وآلاء وامرة أسبغتها الآلهة على الكينوس الملك !

\*\*\*

وقف أوديسيوس مسبوه اللب ، مشدوه الفسکر ، يردد طرفه في  
هذا المنظر العجيب ، ثم أفاق نخطر إلى الداخل ، حيث اجتمع زعماء  
المدينة وشيوخها يصبون الخمر باسم هرمن رسول السماء تقدمة وقربانا ،

وصلالة لخاتم أرباب الأولب قبل أن يأووا إلى مضاجعهم . ولم يتلبث  
عندهم ، بل تقدم في خطى خثيثة برغم إعيائه ، وكانت ميمرقا تحجبه في  
ظلال كتميفة من أعين الملأ ، حتى وصل إلى حيث الملك والملاكة ،  
فكشِفَ عنه غطاؤه ، وجثا عند قدمي الملكة يث شكاته بين دهش  
الملكين الكريمين وشدة تحيرها :

« أريتا يا ابنة ركسنور صني الآلهة ! أتوسل إليك وإلى الملك  
العظيم ، وأصيافكم النبلاء ، من الله عليهم ، وضاعف لهم آلاءه ، وأنعم  
على ذراريهم وألف بين قلوبهم وقلوب رعاياهم ، أتوسل إليك يا سليفة  
المجد صارعاً أن تعطني عليّ ، وأن تكرمي مشواي ، وأن تعينيني على  
الرحلة من فوري إلى بلادي التي أتحرق إليها شوقاً ، والتي فصلتني عنها  
أهوال وأهوال ! » .

وساد سكون عميق وصمت ، وظل البطل المسكين جاثياً عند حافة  
الموقد المتأجج ، حتى تفجرت شآبيب الرحمة والحنان في قلب إخنيسوس ،  
ابن الملك المكر ، فراحت الكلمة الطيبة تتدفق من فيه الجميل العذب  
في فصاحة وتبيان ، وحكمة تقليدية ، وخير ، حيث قال :

« حاشا لجذك أيها الملك أن تدع هذا الغريب جاثياً هكذا في غبار  
الموقد وفي وهج النار ، وأن تترك أضيافك ينتظرون أسرك ... وما تسكلم  
منهم أحداً ! ألا نخذ بيد الغريب وأقمده مقعد الندى ، ومُرّ الندمان  
يسقه من كأس جوف كبير الآلهة<sup>(١)</sup> ، وحبيب الغرباء وذوي الحاجات ،

(١) هـ الأصل ( رب الصواعق ) .

والنادل يهني له عشاء مما تبقى من وليمة الليلة » .

وما كاد الأمير يفرغ من قوله ، حتى أهص الملك أوديسيوس وأجلسه على كرسي فخم جانب ولده الحبيب الحكيم لأوداماس ... ثم أقبلت إحدى وصيفات القصر فصبت الماء على يديه من إريق فضى ، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى الأكل وأطيب اللذائذ والأشربة ، فأكل أديسبوس وارتوى ؛ وأمر الملك كبير السقاة بونتوبوس ، فزج الراح وقدمها إلى الجميع حيث صبوها تقدمة لجوف رب الصواعق وكبير الآلهة ، وحبيب الغراء ، وحامى ذوى الحاجات ، ثم شربوا بعد ذلك حتى رووا

وقال الملك : « أيها الرؤساء والشيوخ الفياتيون كلمة : فعوا الخاطر ، فاسمعوا وعوا ... لقد طعمتم جميعاً وستتفرقون إلى مصاجعكم ، ثم نجتمع عند مطلع العجر ، نحن ومن لم يحضر من نواب الأمة الأجلاء ، فننظر فى شأن هذا اللاجئ الغريب ، بعد أن نضحى للآلهة ... إنه يطلب أن يعود فى حمايتنا إلى وطنه كيما يصل سالماً غاماً من غير أن يمسه أذى ، إلا أن تكون ربات الأقدار قد قصت عليه أمراً ، وإلا أن يكون من أرباب السماء الخالدين . . لقد وصلت بيننا وبين الآلهة وشائج القرى ، وطالما غشيت مجالسنا وشاركت فى ولائنا ، وهى تبقى على محبتنا ، فلا تمس بأذى رجلاً منا يضرب فى الأرض ، وليس ما بيننا وبينها أقل مما بينها وبين السيكلوبس ، أو المردة الجبارة ، وفى ذلك فخارنا وهو آية مجدنا » .

ونهب أوديسيوس الحكيم فقال : « غَفَرَا غَفَرَا أَيُّهَا الْمَلِك ! مَا أَنَا  
 فِي الْآلَهِ ؟ ! أَيْنَ لِي حَلَقُهَا السُّوَى ، وَكَيْبَا السَّمَاوَى ؟ بَلْ أَنَا تَتَّقِي مِنْ  
 أَبْنَاءِ هَذِهِ الْفُجَرَاءِ ، أَثْقَلْتُ كَاهِلَهُ حِمْلَةً هَائِلَةً مِنَ الْكُورَاثِ وَالْآلَامِ ،  
 حَتَّى لَا يَعْرِفَ النَّاسُ مِنْ تَتَّقِي شِقَاؤَهُ ، وَلَا مِنْ تَحْمِلُ مَصَائِمَهُ وَأَرْزَاءَهُ ...  
 بَلَايَا صَبَّتْهَا عَلَى رَأْسِهِ الْآلَهِ فَصَبِرَ وَأَنَابَ ... أَوَهُ ! أَبْدَأُ لَا أَتَمِّى إِذَا  
 سَرَدْتَ لَكُمْ طَرَفًا يَسِيرًا مِنْهَا ! وَلَكِنْ لَا دَاعَى الْآنَ ... أَرْحُوكُمْ ...  
 أَتَوَسَّلُ إِلَيْكُمْ . دَعَوْنِي أَتَبْلُغُ بِهِذِهِ اللَّقِمَاتِ فِي هَذِهِ اللَّحْذَةِ الْحَمَلَّةِ مِنْ  
 الرَّاحَةِ الَّتِي لَمْ أَتَمِّ بِمَثَلِهَا مِنْذُ بَعِيدٍ . لَشِدَّ مَا يَصْرُخُ الْجُوعُ فِي أُذُنِ  
 الْجُوعَانِ ، وَلَشِدَّ مَا يَعْذِيبُهُ الطَّوْى ! إِنَّهُ يَلْحَقُ عَلَيْهِ بِكُلِّ صَنُوفِ الْآلَمِ ، حَتَّى  
 يَنْسِيَهُ آلَامُهُ وَأَشْجَانُهُ . إِنْ لَهُ لَشَهِيَّةٌ عَالِيَةٌ الصَّخْبِ تَطَالِبُ الْعَوْنَ فِي جُؤَارِ  
 وَجُنُونٍ ، حَتَّى لِيَضِيعَ فِي ضَجِيجِهَا هَتَافُ جَمِيعِ الْآلَامِ ، إِلَى أَنْ تَكْتَفِي .  
 عَفْوًا أَيُّهَا السَّادَةُ ! إِنِّي أَفْتَأُ أَضْرَعُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَيْسِرُوا لِي عَوْدًا أَحَدٌ ،  
 وَأَوْبَةً سَالِمَةً ، بَعْدَ طَوْلِ الْعَنَاءِ ، وَالشَّقَاءِ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَقَاءٌ ؛ إِنَّهُ  
 لَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُوَدَعَ الْحَيَاةَ بَعْدَ نَظَرَةٍ وَاحِدَةٍ أَتَزَوَّدُهَا مِنْ أَهْلِي  
 وَوَطْنِي . »

وَتَأَثَّرَ الْقَوْمُ مِنْ أَجْلِهِ فَأَتَيْنَاهُ عَلَيْهِ ، وَاتَّفَقَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَى مُعَاوَنَتِهِ حَتَّى  
 يَعُودَ إِلَى بِلَادِهِ وَيَلْقَى ذَوِيهِ ثُمَّ مَهَضُوا فَصَبُّوا خَمْرَ الصَّلَاةِ بِاسْمِ الْآلَهِ ،  
 وَشَرِبُوا نَحْبَ رَبِّ الدَّارِ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، إِلَّا أُوْدَيْسِيُوسَ ، فَقَدْ  
 ظَلَّ جَالِسًا سَاهِمًا وَاجِمًا ، كَمَا ظَلَّ الْمَلِكُ إِلَى جَانِبِهِ سَاهِمِينَ وَاجِمِينَ ،  
 وَالتَّنَدُلُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ يَحْمِلُونَ أَطْبَاقَ الْمَائِدَةِ وَأَكْوَابَهَا ، حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا

أخذت الملكة تتحدث إلى أوديسيوس ، وقد لفت نظرها هذا التوب  
الفضفاض الذى كان يلتفع به :

« والآن جاءت بوبقى فى التحدث إليك أيهذا الغريب الكريم ،  
من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وأنى لك هذا الصدار وذاك الدثار ؟ ألسنت  
قد قلت إنك غريب نازح أفلتتلك المنايا فى لجج البحار ؟ » .

وفال أوديسيوس يحيب أريتا :

« أيتها الملكة ! قد لا أفرغ من الحديث إذا حاولت أن أسرد  
قصتى بحذافيرها ! بل ليس أشق على من ذلك ، فقد كرثتنى الآلهة -  
بكل أنواع الموم وصنوف الآلام ، بيد أننى ألم بمأساتى الحزنة فى كلمات  
فأقول : « فى أوجيجيا — إحدى الجزر القاصية التى لم تغطأها قدلى قدم  
بشر ولم يخطر بها إله — تقيم عروس الماء المفتان — كليسو — البارة  
الرائعة الصناع ، ابنة أطلس الجبار التى قدر على أن أكون أول لاجئ  
إلى جزيرتها بعد أن سلط خوف صواعقه على سفيتى فشطرها وأغرق  
كل رجالى ، وظلت أنا متمشياً بالسارية ليالى وأياما ، حتى دفعتنى المقادير  
فى الليلة العاشرة إلى ساحل الجزيرة حيث آوتنى كليسو الجميلة الriانة ،  
وأقذتنى من موة أكيدة ، وأطعمتنى وأكرمت مشواى — ثم عرضت  
أن تهبنى الحياة الخالدة والشباب الأبدى ، لو لا أننى تأبيت ... ثم أقمت  
عندها سبع سنوات لم يرقأ طولها دمي الذى نضجت به أثوابى وماحلت  
على من دثار ... وفى الثامنة أرسل إليها خوف كبير الآلهة من يأسيها  
بإطلاق سراحى ، فأبحرت على رمث زودته بالأطايب والأذخار ،

والأشربات والآ كال ؛ ثم أرسلت بين يدي ريحاً رخاء ما انفكت  
تجرى نى فى عباب من بعده عباب ، طيلة سبعة عشر يوماً .. وفى الثامن  
عشر لاحت قم جبالكم الشم فخفق قلبى فرحاً ... بيد أنه كان أملاً  
خُلِباً لم يطل أمده . . فقد أبى نتيون الجبار إلا أن يقف بسبيلى ،  
وإلا أن يرسل ريحاً معاكسة تثير اللوج وتهيج اللج ، وتمزق ما التأم  
منى ومن فلكى الصغير — الذى كان كل أملى ... ولم يعدد من أن  
أكافح الماء ، وأذرع اليم بالسباحة ، حتى تصارت الريح والوج ، فقدفانى  
إلى ساحلكم ذى النوى . . ولم أحتمل صدمة الصخور ، فنضختى  
السيل الرابى إلى الأعماق كرة ثانية ... وشرعت أكافح مرة أخرى ،  
حتى ثرتنى موجة مزودة فى نهرٍ وديع متطامن ... فسبحت إلى إحدى  
عدوتيه ، واستلقيت على الشاطئ ، خَفَقَ الأحشاء مهوك القوى ... وأقبل  
الليل فتهاكت على نفسى إلى دغيلة مهدتها بعساليح وشيء من النقش  
وفروع الشجر ، ونمت ليلاً طويلاً وضحوه متعبة وظهيرة كلها نصب  
وإعياء ... ثم أيقظتنى صيحات قريبة مُرِنَّة ، فإذا ابنتكم الأميرة الحبيبة  
الحُسان فى ررب من أتراسها يتلاعبن كربات الأولب على رمال  
الشاطئ ... وجثوت تحت قدميها ، وما زلت بها أتملق شباهها الغض  
بدعوات معسولات ، وأثير نخوة صباها العينان حتى أمرت لى بطعام  
شهى وخمر معتقة ، وأشارت إلى منعطف فتوجهت إليه فغسات ما على  
جسمى من خَبَث ، ثم منحتنى هذا الصدر وذاك الدثار ...

تلك قصتى أسردها عن قلب محزون ... ما فيها أمانة من مَين » .

قال الملك : « لشد ما أخطأت بنيتي إذ لم تصحبك إلى هنا في جملة حشمها ما دمت قد رجوتها في ذلك أول الأمر » .

وقال أوديسيوس يجيبه : « إنها لم تخطئ أيها الملك الكريم وما عليها من ملام . لقد كلمتني في مثل ذلك فأبيت لأني خفت أن يسوءك ذلك منها ومنى ، ولأني أعلم أن الناس في كل مكان ظنانون قوالون » . فقال الملك : « كلا أيها السيد ، إن صدرى لا يحمل مثل ذلك القلب النزق . إن الرصانة والأناة أفضل ميزات الخلق الكريم ... تالله يا بنى إني لأؤثرك كولدى ، ويودى لو قبلت بصهرت إلى وتزوجت ابنتى ، وعشت معنا كواحد منا .. وإنى - إن رضيت - لمقطعك الأقطاع الشاسعة وما يحك المنزل الرحب . هذا وليس في فياشيا كلها من يجسر أن يقسرك على شيء تأباه نفسك . معاذ الله يا بنى .. إن هذا إلا عرض ... مجرد عرض منى لما أنسته فيك من سمو ورجاحة ونبل ... فإن لم يرقك أن تفعل ، فإنى مُعد لك أسباب عودتك غداً ، وستقام ملء عينيك بينما يكون الفلك ينهب اليم ويطوى العباب ، منسرباً فوق الموج بقوة الأذرع الفتية التى تعمل في المجاذيف حتى تصل إلى وطنك سالماً غامماً ، بل حتى تصل إلى أبعد منه ، ولو إلى ما وراء أيوبيا أبعد الجزائر منا ، حيث يحمل بحارتنا ردمنتوس<sup>(١)</sup> ذا الشعر الذهبي لزيارة تليوس<sup>(٢)</sup> جبار الأرض ... إنهم يبحرون به إلى هذه الجزيرة ويعودون

---

(١) بن ريوس من زوجته أوربا وقاصى المدالة فى الدار الآخر ' هيدز ' .

« جربر » .  
(٢) أحد مرده طار طاروس وينطى جسمه مساحة تسعة أودنة ( حربر ) .

فى يوم فى غير عناء أو إعياء ، وستعرف سبب نغارى بسفائى وبجارتى  
الذين يذرعون البحار ويضربون أكبادها حين يبحرون بك » .  
وشاع البشر فى أسارى أوديسيوس ذى التجاريب فقال : « أيها  
الأب الخالد ! الله محامدك الفر ! أنجز يا مولاي يسير ذكرك فى البلاد ،  
وألق أهلى وأنشق نسمة من وطنى » .

\*\*\*

وهكذا تشقق الحديث بينهما ..  
ثم أمرت الملكة بعض وصيفات القصر فأعدن فراشا وثيرا فى  
الرواق ذى الأعمدة ، وهىأنه بوسائد من دمس ، وبثن فوقه الأرائك  
والحشايا ، وعلقن الستائر والأسجاف ، ووضعن البرانس<sup>(١)</sup> واللفف ...  
وكانت كل منهن تحمل شعلة كبيرة تتوهج فى جوانب القصر ... حتى  
إذا فرغن من كل شئ ، دعون أوديسيوس فى أدب وظرف أن ينهض  
لينام ... وغما بطل هيلاس ... وأسلم عينيه لأحلام سعيدة .  
ونفض الملك والملكة لينعما بطيب المنام .

## حفلى أولمبي

وصبغت أورورا بتمثل حمرة الخجل وجنات المشرقين ، فاستيقظ  
الملك ، وهب أوديسيوس من نومه ؛ وذهبا إلى الشاطئ حيث تلقى  
السفن مراسيها ... وهناك ... فوق مقعد حجرى أملس ، جلسا يتحدثان ؛

(١) الدراس بمعناه العروق عربى فصيح



بينما كانت ميمزقا تدق البشائر في شوارع المدينة ، وقد بدت في صورة منادى الملك وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشين وشيوخهم إلى مجلس الملك ، للنظر في أمر هذا الغريب الكريم اللاجئ الذي حل عليه ضيفاً . « كأحد آلهة الأولمب ، رغم ضربه الطويل في عرض البحار » .

وازدحم سادات المدينة وأشياخها في قاعة المجلس ، وكانوا يقلبون في أوديسيوس نظرات الإعجاب والدهش ، وكيف لا ؟ وهذى ميمزقا قد أضفت على صدره الرحب وكتفيه العظيمنتين ، وجسمه الساق ، رواء علوياً من الأبهة والجلال ، كان ينعكس وقاراً ورهبة في قلوب الفياشين . ولما انتظم عقد القوم نهض ألكينوس الملك ، فقال : ياسادة الفياشين وشيوخ الأمة ، كلمة مرتجلة ، فاسمعوا وعوا : لقد حل هذا الصيف الكريم الذي لا أذكر اسمه في بيتي بعد أن شرق في آفاق العالم وغرب ؛ وإنه ليرجو أن تمدوا له يد المعونة فيعود أدراجه إلى بلاده في كنفكم سالماً ، إذ طالما كان هذا دأبكم ، إكرام الضيف ، والإحسان إلى الغرباء اللاجئين ، وردم إلى ديارهم مهما كانت سحيفة آمين ... فالبدار إذن ... هلموا إلى سفائنكم فتخيروا أحسنها حالا ، وأصلحها لمجادة هذا البحر ، ولتعدوا لها نخبة ذوى بأس من أصلب فتیانكم عوداً وأشدم مراساً ... إننين وخمسين عدداً من أبنع زهرات شباب هذه الأمة ... ثم تعالوا إلى فاني مولم لكم تحية لهذا الضيف ، فلا يتأخر منكم أحد أبداً ... وليحضر معكم أحب المنشدين دمودوكوس الإلهي ، صاحب

الألحان الخالدة ، والصوت السماوى الساحر ، فليشرف آذاننا محلو أنغامه  
التي لا يقدر عليها إلا هو . »

وانصرف الملك وفي إثره شيوخ الفياشيين ، وانطلق رسول إلى منزل  
المنشد دمودوكوس الإلهى ... واختيرت النخمة ذات البأس من شباب  
الملاحين ، وأعدت السفينة فى مكانها الأمين من اليم ، فُنصبت القلاع  
ونشر الشراع وصفت المحاديف ... ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ،  
حيث كانت الجماهير الحاشدة تكظ الأهاء ، وتزدحم فى الدهالير ،  
وتملأ الصالة الكبرى ... وجىء بالذبايح ... هذان ثوران كيران ذوا  
خوار ... وهذى اثنتا عشرة شاة سميئة ، وتلك أربعة حنار ير كناز<sup>(١)</sup>  
ما كادت تذبح وتنتزع أنيابها حتى أخذ الجميع بما أقبلوا له من طعام  
وشراب ... ثم أقبل منادى الملك يقود المنشد الإلهى الأعشى ، رخيم  
الصوت ، صفى ربات الفنون ، اللأثى عدان له بقسطين من خير ومن شر  
سواء ، فوهبته التطريب المعجز ، وسلبته النور من عينيه العزيزتين ...  
وأقيم له عرش مُمرد فى وسط الصالة الكبرى ، عند عمود مرمرى عظيم ،  
فاستوى عليه ، وأعلمه بونتونوس بمكان قيثارته المعلقة فوق رأسه ،  
ووضع بين يديه سلة من طعام ومزة<sup>(٢)</sup> .

وما كادوا يفرغون من آكلهم حتى رقصت عرائس الفنون فى فم  
المنشد المطرب ، فأرسل غناء سحر ألباب الناس ، ورقى بها إلى أنوار الآلهة  
فى قبة السماء ... لقد تغنى هذه الأغنية التى تنظم النزاع الذى شجر بين

(١) كداز جمع - فردة مثله كثيرة اللحم والشحم .

(٢) خر لتيدة الطاعم .

أحيل بن إليوس ، وبين أوديسيوس بن ليرتيس أثناء الوثيمة الإلهية ،  
والذى جاءت به نبوءة أبوللو ( فى دلفوس ) حينما استوحاه أجاممنون عن  
يوم سقوط طروادة فى أيدي اليونانيين .

وسكت المغنى ، ودفن أوديسيوس وجهه الساهم فى ذيل ثوبه  
الأرجوانى الفصفاض حشمية أن يلحظه أحد... وطقق يبكى... ويستخرط  
فى البكاء ، ثم كشف عن جبينه ، وسقى الثرى كأساً من خمر صلاة  
للآلهة ... ثم عاد إلى بكائه حينما وصل المطرب غناه ، وكان يرسل  
عبراته فى كسانه غير ملحوظ من أحد إلا من ألكيمينوس ، الذى عز  
عليه ما رأى وما سمع من عبرات ضيفه ، ومن تهدياته ، فقال : « حسبنا  
يا سادة ما طعمنا وما سمعنا ... هلموا جميعاً نشهد الصيف الكريم بعض  
العابنا ليذكر فى العالمين أن الفياثيين خير من يحرق ومن يثب ، وأمر  
الناس فى الأسك والمصارعة ! » .

ونهب الملاك ، ونهب فى إثره كل أضيافه ، وتقدم المنادى فقاد  
دمودوكوس ، وقصد الجميع إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث احتشدت  
كواكب الشجعان والشباب اليافع من ذوى القوة والفتوة والبأس الشديد ،  
أنوا من كل حذب لهذا الحفل المشهود ... وفى وسط الحلبة وقف الأبطال  
آكرون وأوكيال وإلاتريوس ونوت وپرمينيوس ؛ ثم وقف خلفهم  
الأبطال أنخيال وأنابيسين وإرتميس وپوت وپرور وأمفيال وتون ...  
ثم نهض حليف مارس المهب يوريالوس ، ثم نحر شباب الفياثيين

نوبوليد . وقف كل هؤلاء ... ثم هب أبناء الملك الثلاثة ... لوداماس ولده البكر ، ثم هاليوس ، ثم كليتون الأصغر ، وشارك نفر من أولاء في سباق الجرى ، فأخذوا أهبتهم ، ثم انطلقوا يثيرون التراب في أثر كليتون . ابن الملك — الذى شآم<sup>(١)</sup> جميعاً ، وتركهم يتعثرون وراءه كما تتعثر الثيران في إثر البغال .. وتلقاهم النظارة بالهتاف العالى والتصفيق الشديد ، ثم كانت المصارعة التى برّز فيها يوريلوس على كل أقرانه ، كما برّز أمفيل في الوثب الطويل ، والأتريوس في قذف القرص ... أما في الملاكمة فقد تفوق لوداما النبيل ابن ملك شيريا ، وكان فوزه مسك ختام المباريات ؛ ثم نهض لوداماس فقال :

والآن أيها الأصدقاء نسأل ضيفنا الكريم إذا كان يحذق شيئاً يفخر به من هذه الألعاب ؟ ! إنه لا يزال غرض الشباب ، بادى الفتوة ، مكتنر العصلات ، عظيم مُنة الساقين والقحذين ، مفتول الساعدين ، وإن له لعنقاً أى عنق ... كل ذلك بالرغم من بدوات الضنى وأمارات العناء ، وما حطم البحر من جسمه الخصب ، وهل أهلك لجسوم الرجال من أجبال العباب ؟ ! » .

وكأنما راقّت هذه الكلمات البطل يوريلوس فطلب إلى لوداماس أن يدعو الضيف إلى النزال ، فهض لوداماس ثانية وقال : « هلم أيها الضيف فأرنا هل تجيد من هذه الألعاب شيئاً ؟ إنه ما استحق أن يعيش من لم يعمل بيديه ويسع بساقيه ... هلم ؟ حاول إذن ! فيم احترازك

---

(١) سبقهم (هامش القاموس) .

هكذا ؟ إنا لن نؤخر كقط ، فالسفينة معدة والملاحون على أهبة » .  
 وقال أوديسيوس يجيبه : « أتتخذني هزواً حين تدعوني للعب  
 بالوداماس ؟ ! أى لهو وأى لعب وأنا نضو أسقام وطريح آلام ، لا أمل  
 له إلا أن يعود إلى بلاده ، وفي ذلك ما يضرع للملك وللناس ! » .  
 وهبّ يوبالوس بصيد<sup>(١)</sup> ويقول : « كلا أيها الصديق ... إني عذيرك ،  
 فسيبك لا تنبئ عن رجل رياضي ، بل أكبر الظن أنك من رجال الأعمال  
 أو حفظة المخازن .. أو ... إن لم يحب حدسي ... من أدلاء السفن في  
 الشغور ؛ ومن يدرى ؟ فقد تكون عياراً أو قرصاناً !! » .

وعبس أوديسيوس وبسرّ ، وانتشرت فوق جبينه ظلمات من المم ،  
 وتهدج صوته فقال : « إياك لم تحسن كيف تتكلم أيها السيد ، وإياك لم  
 تبال أن تطلق في أسنانك بهجر القول كأنني رجل لا اعتبار لي .. على  
 أن الآلهة — جئت وعلت — لم يتفق أن منحت أحداً من العالمين كل  
 آلائها في وقتٍ معاً ... بساطة الجسم ورجاحة العقل وقوة البيان ...  
 فقد يلوح لك هذا الرجل مُهدّماً محطاً في حين قد وهبه جوف بياناً متيناً  
 ولساناً مبيناً حتى ليخلب ألباب سامعيه ، وحتى ليرتفع في نفوسهم إلى  
 مصاف الآلهة ... وقد تنظر إلى ذاك الرجل كأنما تتدفق في عصلاته قوى  
 السماء وهو لا يحسن أن يقول كلمة .. مثلك ... مثلك تماماً ... فلقد  
 أوتيت بسطة في الجسم ، حتى لتوشك في ذلك أن تكون مثلاً تقيس  
 عليه الآلهة ، إذا أرادت أن تخلق مارداً جباراً . وإسكنك — واسفاه ! —

لم تؤت بياناً ولا حكمة ! فلقد أثرت ثأرى بكلماتك الغلاظ .. العجاف !  
 إني — أيها السيد — كما ذكرت — لا أحسن من هذه الألعاب قليلاً  
 ولا كثيراً .. ولكى كنت فتاها وفارس حلبها أيام كنت شاباً يافعاً  
 غص الإهاب ريان الشباب .. أما أنا الآن ! فوا أسعاه ! ! إن حدثان  
 الزمان لم يُبق منى .. ولا على ! لقد ذبل شبابى فى تقع الحروب وسوح  
 الوغى .. وفى هذا البحر اللجى يغشاه موج من خلفه موج .. كالجلبال ..  
 بيد أننى .. على الرغم مما ينقض ظهرى من ويلات ، سأنت فى سجل  
 شجاعتكم قوتى ! فإن لما هرفت به من قول السوء لأنياباً تعضى وتهشى ..  
 أو أدل على قوتى وجبروتى ... » .

وكان إلى جانبه قرص القذف الذى يستعمله أبطال الفياشين فى  
 مبارياتهم فانقض عليه واحتمله بيده القوية المفتولة ثم دفعه دفعة هائلة  
 كان لها هزيم وقصف ، واستهولها بحارة الفياشين الشجعان فحفصوا  
 رؤوسهم حتى استقرت بعيداً خلفهم ... وهنأ بدت مینرفا بین اللأ فى  
 صورة أحدهم ، وهبت عجلانة تقيس مدى القذبة ، ثم قالت : « ألا أبهذا  
 الغريب ! الأعمى نفسه لا يشكر برهانك الدامغ القوى ! إنه مدى  
 لا يستطيعه أحد غيرك ، فتة على هؤلاء الفياشين ! إن منهم من لا يستطيع  
 أن يباريك فى أى من هذه الألعاب فادعهم إليك وما عليك من بأس » .  
 وشاعت الكبرياء فى نفس أوديسيوس حين سمع هذا الهاتف من صميم  
 الفياشين يطريه ويثنى عليه وينصب من نفسه قاضياً له ، فقال ، وقد  
 انكسرت حدة غضبه :

« هلموا أيها الشباب فاقدفوا هذه القذفة ، أقذف أبعدها وقرص  
أكروربا !! هلموا !! ليأت أقوى ملائكم فإني له ! وليقف أضرى  
مصارعكم فأنا أخوه ! وليجر معي أسرع عدائكم فان يا حقا غباري !  
لقد هجتم ثأري فهلوا ! إني أتحداكم جميعاً إلا لوداماس فإنه مضيق  
وصاحب قرأى ، وليس لي أن أنزل من أكرم متواى في دار عرايتي ؛  
وليس من البرق ما يحمل على شيء من ذلك .. أما غيره فأنا له ، وسيعلم  
منازلي مهما يكن مبلغ قواى ... إنه ليس من ألعاب الناس ما يعجزني ..  
فأنارب القوس ، وطالما صرعت الألوف من الأعداء تحت أسوار  
طروادة ، وأندا مارى أحد سهماً كما رميت إلا فيلكتيتس يوم هاز  
قصب سيقها دونى . على أنه من ؟؟ إني لم أبلغ من الحول بعض ما بلغ  
هرقل أو يوريتوس الذى نفس عليه أبوللو مهارته فى الرماية فقتله ...  
هذا . وإلى الرمح السمهرى ، فإني أبلغ به المدى الذى لا تداخله سهامكم !!  
على أننى لا أطمع أن أبلغ خفتكم ورشاقة حركاتكم — فلقد قاسيت من  
الأرراء ما قسم ظهري ، وصارعت موج هذا الخضم حتى حطمتنى وأوهبني ،  
ولقيت من الطوى ما راى !! » .

وصمت العياشيون ولم يندسوا . ثم تكلم الملك فقال : « عمرك الآلهة أيهدا  
النازح الكريم لقد جلبجت فى آذاننا كلماتك ، فدات على شجاعة  
وعنفوان ، وأخمت هذا الشاب الذى حرح عزتك وأهان كبرياءك أمام  
الجميع ، ثم سكت عن تهديك ... ولكن تعال فانظر إلى ما نريك من  
ضروب الخفة وفنون الرقص وفنون الغناء والسبق فى العدو » ومهارتنا

حين نسوس الفلك فوق أعراف الموج ورعاء التبج ، كيما نتحدث بهذا كله إلى أقرانك وبين ظهراى قومك ، وتحكيه لأطفالك . عمرك الله أيها الغريب المكرم إنه لا نخر لنا فى ميدان اللكم والمصارعة ، بل غاية المتاع عندنا ثوب مَوْشَى ، وطعام ملوّن ، وقيثار مُصرّنة ، ورقصة خاطفة ، وحمام دافئ ومراش وثير ... والآن ... هلموا أيها العياشيرن فاهلوا أمام ضيفكم والعبوا ، وأروه من رقصكم وشنفوا أذنيه بغنائكم ، فلسوف يتحدث بكل ذلك فى الآفاق، وحسبكم أن يذكركم أنكم أمة من ركب البحار اهلموا ... ليحضر أحدكم دمودوكوس الإلهى ... يعزف على قيثاره ويلعب قلوبنا بغناؤه .. ابجثوا عنه فى بعض ردهات القصر ... »

وانطلق منادى الملك يبحث عن المطرب الإلهى ، وانطلق آخر يعد قيثاره ، ثم نهض تسعة فيااصل يمهّدون أرض الملعب ويهيئون الحلقة ، ويزحزون الجماهير ... وأقبل المنادى والمطرب يسعى بين يديه ، وجلس فى وسط الحلقة حيث أحرق به الولدان اليوافع اليوانع يميمسون ويرقصون بسيقان تحطف كمثل خطيف البرق ، بين دهش أوديسيوس وشدة تعجبه والمطرب فيما بين ذلك يوقع لهم النغم الحلو ، والموسيقى العالية ... وفرغوا من رقصهم ، فشرع المنشد يتغنى أسطورة مارس ومعشوقته الآئمة سيتريا<sup>(١)</sup> إذ أغواها رب الحروب المستهتر بمعسول الكلام ومطلول الغرام فلانت له ... وكان أبوللو — إله الشمس — يرقبهما من مركبته الذهبية فى علياء السماء ، فطار بالقصيحة المشثومة إلى الزوج

(١) ثيوس . (الأسطورة فى كتاب أساطير الحب)



التعاس ... قلـكان .. الذى استـطير وثار ثائرته ، فراح يصنع أنشـوطة  
كبيرة كالشـرك من حلق الحديد المفرغ الذى لا يقوى عليه أحد ، حتى  
إذا فرغ منها حملها إلى داره ودسها حول سريره ثم ألمّ بالمنـرج النـجس  
حيث أوى مارس إلى قينوس — الزوجة الآثمة — وكان مارس يغالب  
فى عينيه أخريات غموة الضحى ، فلمح قلـكان يطوى الرحب إلى أرض  
لمنوس — أحب المدائن إلى قلب الإله الحداد . وطرب مارس أيما  
طرب ... وأيقظ معشوقته قائلاً : « هلمى فينوس . انهضى أيتها الحبيبة  
لقد ذهب زوجك إلى لمنوس أرض البرارة ... هلمى إلى البيت ...  
إلى السرير الدافئ ... إلى الحب ... إلى نعيم الهوى !! » وهبت  
قينوس ... وانطلق الأيمان إلى سرير فلـكان ، وفى قلب مارس غلة ،  
وملء جوانحه غواية وإثم ... وفى دمه شبق إلى هذه الفاكهة يكاد يقتله ...  
ولكن ... وأسماء ! إنهما ما كادا ينطرحان فوق الفراش الوثير حتى  
انطرحت فوقهما الأنشطة الهائلة .. وأمسكت بهما إمساكاً شديداً ...  
لم يجدا منه حولا ، ولم يجدا منه مخلصاً ... وكان أبوللو يرقهما كذلك ،  
وقد حدث قلـكان بما رأى ... فعاد الإله الحداد على عجل ، ولم يكن  
قد بلغ شطآن لمنوس بعد ... وكان قلبه يدق ... لا ... بل كان قلبه  
يكاد ينمـلخ فوق فى البهو الكبير ثم أرسل صيحة مدوية يستصرخ  
بها الآلهة : يا جوف العظيم ! يا آلهة الخلود جميعاً ! أنظروا ! إشهدوا كيف  
تفضح فينوس زوجها مع عشيقها الفاجر مارس ! ولـمة ؟ لأنه وسيم قسيم  
قوى ولأننى محطم موهون اخـذب من ؟ إنهم — جريرة من أنسلونى

وجاؤوا بى إلى الحياة ! أنظروا كيف يتمرغ الأحبثان الأفسقان فوق فراشى ! لقد ثلجت مشاعرهما فهما لا يباليان أن يأكلنى الغيظ أو يقتلنى الحنق . ولكن لا ... حسهما هذا الشرك الذى لن يفلتهما حتى يرى جوف فيهما رأيه . جوف الكبير للتعال ... والد فينوس ! الذى أطلب إليه أن يرد إلى قناطير الهدايا الزوجية التى قدمتها باسم ابنته العاهرة كشرط لإطلاق سراحها ! » .

ولم يكذبهرع من صرخته حتى اجتمع فى بيت جوف ذى الأرض النحاسية جميع الآلهة .. وكان أول من أقبل نبتيون رب البحار ، ثم تلاه هرمز رسول الآلهة وصاحب القوس ، ثم أبوللو .. ثم غيرهم وغيرهم ... ولم يحضر من ربات الأولب واحدة ! فقد احتجزهن الخجل عن شهود هذه الفضيحة ! ثم هاهم الآلهة يقهقهون ويضحكون ... ويتلهون بهذا المنظر العجيب ، ويقول بعضهم لبعض : « يا للأثم ساق إلى أوحم المواقب ! ويا للأعرج الأكسح ، يشاقى <sup>(١)</sup> السَّبَّاقَ الجلى ! لقد استقطاع فلـ كان أن يمسك بتلابيب مارس ، الذى هو من هو ... ! مارس ! أسرع العدائين ! إن عليه أن يودى الغرامة الفادحة للاله الأعرج ... » .. ثم خاطب أبوللو — رب الشعاع الوضاء — هرمز فقال : « يا ابن جوف ، يا رسول السماء ، ألك فى هذه الغفوة الخولة فى حضن فينوس ، على أن تقع معها فى هذا الشرك ؟ » وأجابه هرمز عابساً : « يا رب الرماة ! بنفسى بنفسى !! منذ الذى يأتى حضن فينوس فى شرك هو ثلاثة أضعاف هذا الشرك ، على أن

---

(١) يسبقه ويسبقه .

يرمقه سكان الأرض والسماء ؟ ! » : وتصاحك سكان السماء ، ولكن  
 نيقيون الذى ساءته هذه الحال خاطب ملكان فقال : « هلم فلكان فلك  
 هذه السلاسل والأغلال ، وإني رعيم لك ، كفييل أنه ، يؤد إليك كل  
 ما تمرض عليه من غريم ! » . ورمض فلكان أن يطلق فريسته ...  
 « لأنه من يصمن ألا يطلق مارس وهو لا يلوى على شيء ، غير عالى ،  
 بكل ما عساه أن يعد ؟ » . وقال رب المحار : « ليطمن قلبك يا فلكان  
 فو عرتى وجلالى أنن لم يف مارس لأنجزنا أنا ، ولأؤدين عنه غرامته !! » .  
 فأجاب رب الحديد الصماع : « إذن ، فلن يخيب رجائك ، وإن يرد  
 طلبك ! » وتقدم فلك الأغلال عن العاشقين العاشقين ، وانطلق مارس  
 إلى مأواه بأرض تراقيه ، وانطلقت فيمنوس إلى مرتعها الجميل بأرض  
 بافيا — حيث تلقاها ررب من أترابها بالبشر والترحات ، فغسلتها ،  
 وضمخها بالطيوب القدسية ، وأسلن عليها شفوف الصبا وأردية الشب .

\* \* \*

وفرغ دومودوكوس من إنشاده بين تأثر أوديسيوس وتلفف البحارة  
 الفياتيين ، ثم أوما الملك إلى أنثائه فوثوا وسط الساحة ، وأخذوا يرقصون  
 فى حفة ، ويتقاذفون كرة غالية من صنع بوليب ، فكان أحدهم يرسلها  
 عالية حتى تدنو من السحب ، فيثب الآخر فيلتقطها وهو معلق فى الهواء ،  
 ثم يتقاذفها أحدهم بعد الآخر ، بين تهليل الفتيان وتصميةهم الشديد .  
 وسر أوديسيوس ممبا أبداه أبناء الملك فى الرقص ، وأنى عليهم لأبيهم ،  
 ورجاء فى الذى رجاء فيه من تهينة عودته ، فتوحه الملك إلى زعماء شعبه

وقال : « يا زعماء الفياشيين وأشياخ الأمة ! حرى بنا أن نكرم مثوى هذا الضيف الذى بدا لكم من وقاره وحكمته وأثير أرومته الشئ الكثير ؛ هلموا إذن ... إنكم إثناعشر زعيما ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل منكم بدرة من الذهب وصدرا مُمَوَّفا فتكون من الجميع هدية سنية له ... أما يور يالوس فعليه هدية كذلك ، وعليه أن يعتذر مما فاه به . ووافق الكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسلهم يحضرون البدر والصدُر ؛ ثم نهض يور يالوس يعتذر ويقدم لأوديسيوس سيفاً تجرأ له مقبض من فضة ، وقراب مطعم بالعاج ؛ ودعا له أن تكلأه الآلهة بعين الرعاية حتى يرى زوجه وولده وبلاده ، بعد كل الذى احتمل من عناء وبصب . وتقبل أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن والسلم والرفاهية . ثم علق الجرار فوق كاهله الصخم .

ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ، فنهض أبناء الملك يتسلمونها ، ويحملونها إلى داخل القصر ، حيث أهمهم أربيتا للملكة ... ونهض الملك فتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل للملكة أن تحضر ثوباً وأكسية ، وأن تعد صندوقاً يتسع لهدايا الزعماء ، ملوك البحر ، التى خلعوها على الضيف ؛ وقدم هو هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ، المحلاة بأبهج الطرف وأبهى التصاوير ... « لئذ كرى بها ، كلما أفرغ منها الخمر تقدمه للآلهة » . وسألها أن تعد للرجل حماماً ينعشه ، وأن تعطيه الأثواب والأكسية كيما يتدثر بها .

وأمرت الملكة خدمها فأعدن الحمام ، وأحضرت هى ثوباً فضفاضاً

فوضعت فيه بذر الذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ؛ ثم تلفتت إلى أوديسيوس فقالت له : « والآن أيها السيد هلم فخلق هذا الصندوق فهو لك ، لتكون آمناً عليه إذا غفوت في السمينة » . ولي أوديسيوس ، وأغلق الصندوق ثم ربطه بحبل طويل عقده تعقيداً . ثم دعت ربة البيت إلى حمامه ؛ ولله كم ألقت عيناه حين رأى الثوب الديباجي العظيم ، الذي لم يلبس مثله منذ فارق كليسو ... ثم اغتسل وتدثر ، وتضمخ بأحسن الطيوب ، وبرر كأحد آلهة الأولمپ ... وبينما هو يطوى الأبهاء إذا صوت جميل ذرغنة يهتف به .. وإذا هي الأميرة الفينانة — نوزيكا — واقفة خلف عمود وهي تقول : « س . س . . أيها الغريب النازح ادكرني دائماً ، أنا ، أول من لقيك هنا ! ! » وتبسم أوديسيوس وقال : « نوزيكا ! أنت ؟ ابنة أكرم الملوك ألكينوس ؟ ! لك الله ألا وحق جوف رب الصواقر لو صحت الأحلام ووصلت سالماً إلى بلادى لظلات آخر الدهر أعبدك عبادة أيتها الجميلة العذراء كما أعبد الآلهة أربابى ! » . وبلغ مجلس الملك فاستوى إلى كرسى بجواره ، واجتمع الفياشيون مرة أخرى ، ودارت الأقداح ، وأجلس المطرب الأعمى الإلهى ، نخر شيرا ، قريباً من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءاً من شواء حملة أحد النذل ، فأقبل عليه المطرب حتى اغتذى ؛ ثم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال : « كم أنت جدير بالثناء يا دومودوكوس ، بل أنت أولى به من أكثر الناس ! ليت شعرى ! هل ثقفت موسيقاك عن عرائس الفنون ، أم أنت قد حذقتها على أبولون نفسه ؟ لقد أنشدت ما كان من جيش الآخيين كأنك كنت شاهد عيان ، أو

كأن شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد لعمركا تحدث عن الحصان الهولة  
 الذى صنعه إبيوس بإرشاد مينرقا ، والذى حمله أوديسيوس الجبار هو  
 وصحبه إلى قلاع طروادة ، ثم احتبأ هو و هم فيه ، فكانوا أول حراب  
 إليوم ! ! نحن ! إني سوف أحمل اسمك فأنتشره فى الآفاق أيها المطرب  
 المعجز الذى لا يماريه إلا عازف موسيقى السماء ، أبوللو ! تقدر اسمه .  
 وتزل أبوللو على لسان المنشد فراح يقص الوقائع الطروادية مذكروا اليونانيون  
 معسكرهم ، وبعد إقلاعه من شطآن إليوم ، وذاك الانقسام فى الرأى بين  
 الطرواديين بسبب الحصان الهولة أيقصمون ظهره أم يدقون عنقه أم يحفظونه  
 تذكاراً لهذه الحرب وبصباً للآله ... على كل حال لقد تقلوا الحصان داخل  
 أسوارهم ليكون القاضى عليهم بمن فيه من هذه النخبة أوى القوة من أبطال  
 الإغريق ... وهكذا قدر عليهم فى الأزل أن يهدموا قريتهم بأيديهم ...  
 تغنى الشاعر المقتن بكل هذا ، وأثنى أيما ثناء على أوديسيوس الذى كان  
 يكر كأنه مارس ، ومنلوس الذى كان يفر كالصاعقة ، وعلى بقية  
 الأبطال الصناديد الذين فازوا بالنصر فى ظل پاللا — مينرقا — ربة  
 الحكمة . وكان أوديسيوس ينصت إلى غناء المطرب وإنشاده ، ودموعه  
 تنحدر غزيرة على خديه ، والآهات العميقة تشق صدره شقاً . كأنها  
 آهات تلك الأم الرؤوم التى وقعت فوق جثمان زوجها الباسل تسكيه  
 وتنميه ، وقد سقط فى الحومة يدفع عن مدينته أعداءها ، وقد وقف من  
 خلفها أبناؤها خضراً يتامى كأفراخ القطا . ثم يقبل الأعداء فيمخدون

أنفاس هذه الأم بضربة لازبة ، فتنظر مرة إلى زوجها القميل ، ومرة  
إلى أبنائها التاعسين ! كذلك كان أوديسيوس ، وكذلك كان يخفي دموعه  
في طرف رداثة فلا يراها أحد إلا السكينوس الملك الجالس قريباً منه ..  
وقال الملك متحدناً إلى رعاياه : « أيها الزعماء والأشياخ العمياثيون ، أولى  
المنشد ثم أولى أن يبرغ من إنشاده ، فلقد تصدع قلب ضيكم ووهنت روحه  
مما يسمع من هذا القصص الحزين ! لقد أحببناه كأنخ ، ووهننا له محبتنا  
وودنا وصافي أحوتنا لا يحزن أو يأسى .. والآن ! هل يسمح ضيفنا  
هيدكر لنا اسمه الذي يعرفه به آله ويدعونه به ؟ لقد كنتم هذا عنا ، هل  
ولد أحد ولم يحمل اسماً ؟ من أنت أيها العزيز ، وما بلادك ؟ وإلى أين  
تحملك سفينتي ويبجر بك رجالى ؟ لقد منحنا نبتيون — رب البحار —  
الأمن في ذلك اليم وذلل لنا غواشيته ، ولكنهم ليس أشق عليه من أن  
تحمّل سفننا أغراً مثلك لا نعرفهم ، فنبحر بهم إلى بلادهم ! ! إنه يغصب  
علينا ، وقد يغرق سفننا تشفياً وانتقاماً حينما تعود أدراجها إلى بلادنا ،  
فتهوى إلى الأعماق ثم يسحرها إلى جبل ناتيء فوق العباب ، قبيل شيريا !  
تكلم أيها السيد ! أصدقنا ! من أنت ؟ ومن أى البلاد قدمت ؟ وأين  
ضربت بطون الركائب ؟ وأى الأمصار شاهدت ؟ وماذا يفجر هذا الأسى  
في أعماقك كلما سمعت عن جنود الآخيين ، وكلما ترددت في أذنيك أغنيات  
طرواده ؟ إن الآلهة تحبك من حاضر المرء طيلسان الموم لعدده ! أقتل  
أوك ثمة ؟ أم صرع أخوك تحت أسوارها ؟ أم قضي حموك في ساحاتها ؟

أم أودى أصدقاء لك إحياء في حلبتها ، كنت تعدهم كبعض أهلك ؛  
أو أعز من أهلك ؟ تكلم ! » .

## في أرض المردة (السيكلوبس)

وشرع أوديسيوس يحيب عما تسأل عنه الملك فقال : « أيها الملك  
تعالى جدك ، لشد ما يَطرِب ما تغنى هذا المنشد غناء الآلهة ! ولقل ماتعدل  
الدنيا بأسرها هذا المجلس الشادى ذا الأضياف والآكال والأشربات !  
على أننى مجيئك على ما بدهك من دموى وهموى ، وما لقيت وما سوف  
ألقى مما قسم لى من أشجان وأحزان ! إذن فاعرف اسم ضيفك الشريد  
الذى لا يجهل اسمه أحد ... ضيفك اللأئذ بكرمك ، المستذرى بجحاك ،  
المتشبث بك ليصل فى ظلك إلى بلاده مهما تقاوت ومهما نأت ... أنا أيها  
الملك .. أوديسيوس ... أجل .. هو أنا أوديسيوس ذو الذكر ،  
المعروف فى السموات بالدهاء والمكر ، ... ابن ليرتيس رب إيثاكا ،  
وملك نريوس ذى الشعاف السامقة ، والجزائر الآلهة حول ساموس ودخليوم  
وزاسنتوس ، أم الجزائر التى تصافح تباشير الصباح بكل روضه فيحاء  
وخميلة لَقَاء ، وجنات ذوات شجر وثمر ، صِبْغاً لأبنائها الأوفياء ...  
هناك ... حيث احتجزتنى عروس الماء كليفسو فى كهفها ، وراودتنى لأكون  
بعلمها ... وهناك ... حيث أغرتنى سيرس هى الأخرى ، سيرس صاحبة  
جزيرة إاياء ... التى حاولت أن تتخذ منى خليلاً فأبيت ، ولم أقبل أن  
أنهى أهلى ووطنى ، ولو أصبحت زوجاً لإحدى الربات الخالدات ...



ولكن لا ، هلم قبل كل شيء أقص عليك من أنباء رحلتى منذ بارحت  
إليوم ، ولأدع ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور :

» أقلعت بما الفلك إلى بلد السيكون ( إزماروس<sup>(١)</sup> ) ، ( فبدأ لي  
أن أزيد في ثروة رجالى وما فازوا به من أسلاب طروادة ، فأشرت  
عليهم بفتح المدينة واغتنام ما فيها من كنوز وأذخار<sup>(٢)</sup> ) وسرعان ما تم  
لنا ذلك ، فقتلنا المسكر وملكنا القرية ، ووزعت السبى والأسلاب  
على جنودى ، ثم أشرت عليهم بالرحيل فعصوا أمرى ، وعثوا فى المدينة  
مفسدين ، وعاقروا من الخمر ، وعقروا من الشاء ما أذهلهم عن أنفسهم ،  
وأتاح لأعدائهم لم الشعث ، فمجبأونا بحيتس عرمرم منهم ومن جيرانهم ،  
وناضلونا عن مدينتهم فأوقعوا بنا ، ولم يغننا أنا قاتلتناهم حتى مطلع فجر  
اليوم التالى ، بل ظل مرسائهم الصناديد يكرون ويفرون ، حتى قذفوا  
بنا فى البحر ، فوقفنا فى سمائنا نفاوضهم برماحنا .. وصمدنا لهم حتى  
توارت الشمس بالحجاب فانسحبنا نجر أذيال الهزيمة والخزى ، بعد إذ  
انزع السيكون فخار النصر . وعدت إلى الجند ... فوا أسفاه ! ...  
لقد افتقدت ستة من رجال كل سفينة ... سقطوا فى المعركة الخاسرة !  
وأجفنا الليل ، فجلسنا نتذاكر أسماء القتلى ؛ وما كدنا نفعل حتى  
سخر علينا جوف رب السحاب الثقال — ريحاً صرصراً عاتية أثارَت البر  
والبحر ، وعصمت بمرأكبنا فأطاحت قلاعها ومزقت شراعها ، ففزعنا إلى  
المجازيف وأعملنا السواعد ، مستقتلين مستميتين ، حتى نجونا بعد لأى

(١) على الزمانى اسمالى البحر المحه .

(٢) ما بين القوسين من شرح الأستاذ جرير وليس من متن الأوديسة .

إلى البر ، حيث تلبثنا ليلتين طوَّيلتين في أين وإيعاء ، وشكاة وشقاء ،  
نصلح القلاع وترقى الشراع . . وفي صباح اليوم الثالث تطامن البحر  
ونام هائجاً ، فبادرنا إلى الفلك وأقلعنا باسم الآلهة مجراها ومرسأها .  
وما كدنا نلمح شعثان ماليا ، حتى هبت روبة عنيفة تلاعبت بنا ،  
وحملتنا إلى جزيرة سييتيرا ... وطققنا بعدها بذرع العباب تسعة أيام  
أخرى ، حتى بلغنا بلاد ( لوتوفاجي ) ، هذا الشعب الغريب الذي  
يقعنا بالفاكهة فحسب ، من دون ما تذبذبت الأرض وما يدب عليها ...  
ورسونا ثمه ، وأهرع الملاحون إلى البر فاستراحوا وسمروا ؛ ثم تخيرت  
اثنين من أوثق رجالى ، وجعلت عليهما أثاثاً رئيساً ووجهتهم إلى سكان  
هذه الأرض ليتعرفوا أحوالهم ، فاختملطا بهم ، وقابلهم اللوتوفاجي بالبشر  
والترحاب ؛ ثم عرضوا عليهم من ثمر اللوتس العجيب ، الذي ينسى آكله  
ما سلف من حياته ، وَيَذْبَتْ ما بينه وبين وطنه من وشيعة فما يفكر  
فيه ، وإذا مكر فيه فثاؤثر أن يرتد إليه ، بل يصبح كل مناه أن يأكل  
ويأكل ويأكل من هذا اللوتس العجيب ، وأن يعيش أبداً الدهر بين  
أولئك اللوتوفاجي السحراء ... وكنظرت عودة رجالى ، بيد أنهم لم  
يرجعوا ، فاضطرت أن أذهب بنفسى إلى حيث سحروا ، فحماهم قدراً إلى  
الشاطئ بين العويل والضجيج ، وقذفت كلا منهم في قرة مغلولاً مكبلاً  
مشدود الوثاق ، ثم أمرت الملاحين فأبحروا على عجل قبل أن يأكل  
بعضهم من اللوتس الملعون فيضلوا ضلالهم وينسوا أوطانهم ، ويضلوا في  
في هذه الأرض جاثمين .

«وما عتَمنا أن وصلنا إلى أرض المردة الجبارة - السيكاو بس - الطفاة العتاة ، الذين لا يَخصعون لشريعة ، ولا يَأتمرون بقانون ؛ الذين تَوْنى أرضهم أكلها رَغداً من غير كد ولا عناء حَبّاً وأَبّاً ، وحدائقُ عُلْباً وقضباناً وعنبا ، تُسقى مما يفيض عليها جوف من مائه المعين ... يعنِشون فوضى ، لا تربطهم رابطة ، ولا يقوم بينهم نظام ؛ يأوون إلى كهوف موحشة ، وغيران سحيفة ، في قلال الجبال وأحيادها ... يُعنى كل منهم بنفسه وزوجه وأولاده وقطعانه ، ولا يأبه للباقيين ، وتلقاء أرضهم توجد جزيرة معشبة أريصة شجراء ، فيها من الماعز السائم قطعان لا حصر لها ، ولكنها مع ذلك يهماء<sup>(١)</sup> مُضلة ، لم تطأها فيما غير قدم إنسان ، ولم يُرْس إلى حيوانها سهم صائد ، لأن السيكلو بس لم يحاولوا أن يركبوا البحر مطلقاً ، ولم يعرفوا طوال حياتهم هذه الجوارى المنشئات فيه كالأعلام . لذلك سلمت الجزيرة بما فيها من خير ، وتكاثرت قطعانها حتى امتلأت بها مروجها الخضراء السندسية .. وثمة ، في جوف هادئ جميل ، ألقينا مراسينا ، ونزلنا من سفائننا ، في ظلام الليل الدامس ، وفي حراسة الآلهة ، بعد إذ ارتطمنا بسيف البحر ... ثم نمنا على الشاطئ حتى مطلع الفجر ؛ وأشرقت أورورا تنضرب بالورد بمشرق الأفق ، فنهضنا نحوب الجزيرة ، ونتفياً لظلال الحور ، ونرى عرائس الماء ترعى الماعز ؛ فبادرنا إلى سفننا ، وأحضرنا الحراب والأقواس ، ثم تفرقنا ثلاث فرق ، وشرعنا نصيد من هذا الحيوان ، فاجتمع لنا منه الشيء الكثير ، ونال

---

(١) مُضلة لا يهتدى فيها .

كل من رجال سمانثنا الإثنى عشرة تسع أعنز ، بعد أن تخيرت عشراً  
 لنفسى ؛ ولبثنا يومنا هذا نقتدى بكل شواء حنيذ ، ونسكرع كل كأس  
 روية ، في غير تخمة ولا شجى<sup>(١)</sup> . والآلهة تلك الخثر السلاف  
 السيكونية التي افترعناها من زقاق أزماروس ! ثم نظرنا ناحية الغرب ،  
 فما راعنا إلا دخان كثيف يصّاعد في الأرض القريبة ، ورغاء وضوضاء  
 كالرعد تنتشر في جنباتها ، وإذا هؤلاء السيكلو پس المردة ينتشرون  
 في الأرجاء ، وأمامهم قطعانهم من الشاء والأنعام . أعداد لا حصر لها ...  
 عليها إذا عدّ الحصى يتخلف !

ونمنا ليلتنا سروعين ، حتى إذا بزغت أورورا نهضنا واحتشدنا في  
 صعيد واحد ، ثم قمت في رجالي خطيباً ، فقلت : « أيها الإخوان ! اتبع  
 غالبيتكم في هذه الجزيرة ، فإني ذاهب في نفر منكم ترود هذه الأرض ،  
 ونعرف من أنباء أهلها ، ونعلم من أحوالهم ، ونرى هل قوم ظلم وضيم  
 ونضال أم هم ربيون يهشون للمكرمات ، ويخبتون للآلهة ؟ »

« وأقلعت في نخبة من رجالي فوصلنا طرفاً من الجزيرة ناتئاً في  
 البحر ، فوقه قلاع مشرفة عليه ، فهبطنا فيه ، وذهبنا نروده ، حتى اتهمينا  
 إلى كهف عظيم ضارب في الصخر ، وقد نما الغار الجميل على بابه الضخم ...  
 ودخلنا ... وأثار دهشنا هذه الحظيرة الكبيرة في وسط الكهف ، تتسع  
 لقطعان لا عدد لها من الأنعام والأغنام والماعز ، ثم هذا العناء العظيم  
 المحدث بها يفصله عنها سور عتيق من الحجر الصلد ، مُمَرَّسٌ بجذوع الخور

(١) الشجى هو العصم بالشراب

والسنديان ؛ ولقد عرفنا فيما بعد أن صاحب هذه المغارة مارد جبار من أراذل السيكلوبس ، لصق هذا الطرف من الجريرة يعسف ويظلم ويملؤه نغماً وعدواناً . . ثم هو إلى الجان والشياطين أقرب منه إلى أى خلق آخر ؛ فوجهه مربد عبوس أبداً ، وهو إلى ذلك هولة تحسبه إذ تراه قطعة من الصحر تحت منها ناطور فوق ناصية الجبل . . ؛ ... وتقولنا<sup>(١)</sup> وكان معى رق من خر معتقة مما أعطانيه مارون بن إيقانت ، قسٌ غوبوس ، رب إزماروس ، لقاء ما أبقينا عليه وعلى زوجه وأولاده يوم غزوتنا لقريته ... يا له من كاهن سمح طيب القلب ؟ ! لقد نفحنى بأكرم الآلهي<sup>(٢)</sup> وأجزل الهبات ؛ وهل أنسى ما حييت تلك البدر السبع من الذهب الخالص ، وذلك الدن من الفضة الغالية ، وتلك الجرار الإثنتى عشرة من الخندريس الصرف التى تُشرب باسم الآلهة ؟ لقد كان يقدِّمها بنفسه وماله ، فلم يكن يعرف مخبأها أحد غيره وزوجه وأمينه ... لقد كانت كأس روية واحدة من هذه اللدامة تمزج بعشرين ضعف من الماء القراح ، وهى مع ذاك سكر ولذة وروح علوى للشاربين ؛ ثم كان معنا رُكز<sup>(٣)</sup> به أكل كثير ، وكنا عدداً عديداً من الأبطال الصناديد ، ولكننا مع ذاك كانت تعترينا رعدة ، وكان يشيع فى قلوبنا مزع ، أن يفجأنا هنا الجنى صاحب المسكان ، الذى لا يخشى فينا شريعة ، ولا يرده عن أذانا قانون . . . ثم تقولنا كذلك ، فأشرفنا على مغارة سحيقة هى

(١) قول : صعد فوق جبل .

(٢) العطايا .

(٣) الركز ( الخرج ) بضم الراء ، لا يحمل فيه الراء .

مقام السيكلوب ومنامة، من غير ريب ؛ بيد أننا لم نجدده عندها ، فقلنا  
ربما انطلق بقطعانه يرهاها في المروج القريبة . ورددنا الطرف في المغارة  
فرأينا مصافى كثيرة معلقة ينز الحصير<sup>(١)</sup> منها ههنا وههنا ، فعرفنا أن  
السيكلوب يصنع الجبن من ألبان مواشيه ، سيما وقد امتلأ المكان ببواط  
كثيرة مفعمة بالحصير والخميص . وعلى مقربة منا شهدنا حظائر واسعة  
لصغار الشاء والحملان والماعز ، وقد قسمت فرقا حسب سنها ... وقد بدا  
لبعضنا أن نذهب بما هنالك من جبن وزبد ، وأن نستاق الحملان والجذعان  
إلى سفائننا ، غير أنى — وأسفاه ! — تأيبت ، لأننى آثرت لقاء  
السيكلوب ، رجاء أن ينفخنى من كنوزه ، ويسبغ على من آلائه ؛  
ولذا ، جلسنا ريثما يعود ، وأكلنا من جبنه وزبدته ، وأشعلنا ناراً نستدفئ ،  
ثم إذا هو يطوى المروج الأخضر بقطعانه ، وإذا على كاهله الرحب أثقال  
وأحمال من الحطب وفروع الشجر اليابس ، حتى إذا كان لدى الباب  
ألقاها في بطش فاهترت الأرض ودوى المكان ، وأحبس وصيد  
الكهف ، فانقذف الرعب فى أمثدتنا ، فهورلنا مذعورين صعقين ،  
واختبأنا كالخفافيش فى زوايا المغارة وشقوقها ... أما هو ، فقد أدخل  
قطعانه ، واحتجز ذكرانها فى الفناء الخارجى ، ثم أخذ فى حلب الإناث  
فى الرحبة الداخلية .. ونهض بعد ذلك فسد مدخل الكهف بحجر  
واحد كبير لو وضع على عريبتين عظيمتين لم يستطع عشرون ثور ضخم  
أن ترحزه من مكانه ... وجلس يحلب النعاج والماعز ، وكلما فرغ من

---

(١) الماء يستط من الجبن .

واحدة أرسلها إلى جذعائها<sup>(١)</sup> ترضع ما تبقى في ضرعها .. وكان يقسم  
لننه قسمين ، فيحتفظ بأحدهما لشرابه ، ويمخض الآخر لزيدة وجبنه ؛ ثم  
فرغ من هذا كله وأضرع ناراً عظيمة ما كادت تلتهب حتى رأنا معلقين  
فوق نوى الكهف . فصاح بنا : « من هنا ؟ وى ! من أتم أيها الغرباء ،  
ومن أى البلاد ترحتم وفيم خضتم هذا العباب إلى هنا ؟ آفاقيون ؟ أم  
تجار ؟ أم قرصان تعيشون في بلاد الناس ؟ » وزلزلنا زلزلاً عظيماً ، وكان  
صوته الأَجَش الخشن يلقي الرعب في قلوبنا فتعتلج اعتلاجاً .. ثم إلى  
جمعت ماتبقى من وعي ، وما أنقى عليه الروح والملع من إدراكى ، فقلت  
أجيبه : « نحن إغريقيون أيها العزيز وقد ذرعنا البحر اللجج شرقاً  
ومغرباً ، وتقاذفتنا فوقه كل ريح ، منذ بارحنا إليوم التى فتحها الله  
علينا ، لأننا من عساكر أجامنون الملك ، ابن أتريوس الكريم ، قاهر  
طروادة ، ومبيد الطرواديين ... وها نحن أولاء ، قد لئنا بك بعد طول  
النصب ، فنضرع إليك أن تفيء علينا مما آفاء جوف عليك ، وأن تردنا  
عائمين ... فيا مولانا أكرم مثوانا ، فنحن الأعراب فى كنف جوف  
أنداء ، وأينما نول فإنه معنا » .

وتجهم السيكلوب الجنى وقال مغضباً مستهزئاً : « حسبك أيها الأَخ  
المغفل ما خوفاً من جوف ، فنحن السكلوپس لا نبالى جوف ، حامل  
إيجيس<sup>(٢)</sup> ، ولا سكان السماء قاطبة ... أنا أقوى منهم بكثير ، وأنا  
نفسى ، لن آبه لأينما نذير من جوف كبير الأبواب ... ولكن حدثنى

(١) جمع جذع بثقتين كل حيوان صغير غير مفترس .

(٢) درع .

قبل كل شيء متى ألتق سفينتكم مراسيها في أرضنا ؟ وأين هي ؟ أقرينة أم قاصية من هنا ؟ قل الحق ولا تخف عني سيثاً ... وأجبت في حيطة ورفق ، وقد عرفت مارمى إليه : « لقد نسف نيتيون رب البحار مركننا في اليم نسماً ، وسلط عليها الزوابع فخرت بألواحها بعيداً .. بعيداً من ههنا ... وبحوت مع هذا النفر من رفاقي فقط إلى شاطئكم » ولم ينبس السيكلوب الجبار بكلمة ... بل أقبل نحونا ، وانقض على رجالي كالصاعقة ، ثم أمسك باثنين منهم ، وأرسلهما في الهواء ، ثم ضرب بهما أرض الكهف ذات الفتوى ، فتهشم رأسها ، وانتثر المخ فوق الحجارة هنا .. وهنا . وألقاها بعد ذلك في الجمر المتأجج حتى نصجا ... واستوى كالسبع الرئبال ، وطفق ينهشهما ... ولم يمض وقت طويل حتى أتى عليهما ، غير مبق على عظمة واحدة ؛ أما نحن فيا لآله السماء .. لقد كان هذا المنظر الفاجع يعصف بنفوسنا ، ولم نملك إلا أن نرفع الأكف ففتبهل إلى جوف أن ينجينا . وأن يرحمنا ؛ ولم يكن لنا مع ذلك من أمل في نجاة !

وبعد أن أشبع الجبار نهيمته من هذا اللحم الآدمي الفريص ، وبعد أن شرب من اللبن شرب الهيم ، انطرح بين قطعانه ، وجعل يرسل في الكهف شخيراً مزججاً .. وقد حدثتني نفسي أن أنقص عليه فأحوض في لَبْتِهِ بجرازي ، ولكن فكرة سوداء طافت برأسي ، حينما نظرت إلى باب الكهف فأبصرت الحجر الضخم الذي لا يطيق أحد أن يزحزحه ، وتذكرت الموتة الجاهلية المفرعة التي سنموتها إن فعلت . فقفنط قنوطاً



شديداً ، وأرسلت آهات الحسرة والندامة أنا وأصحابى وانتظرنا بقلوب فارغة تباشير المعجز ، ورأينا أورورا الوردية ترسل أول أشعتها من السكوى الصغيرة ، فهب السكلوب إلى قطعانه ، وأخذ في حلب إناثها ، وكلما فرغ من واحدة أرسلها إلى صغارها ترضع وتنخب ؛ ثم إنه قبض على اثنين من رجالى وفعل بهما كما فعل بصاحبينا أمس ، حتى إذا فرغ من إفطاره ، هب إلى الحجر مزحزحه في سهولة ويسر ، كأنما كان يزحزح غطاء آتية ، ثم استاق قطعانه ، وأعاد الحجر إلى مكانه ، ومضى يرمى بهممه ، وبقينا نحن ندعو ثبورا ... وفكرت ألف فكرة في وسيلة أنتقم بها من هذا المارد الوحش ، وتوسلت بمينرفا أن أستطيع ... وانهرجت أسارى برى فجأة ، وأشرق وجهى بنور الأمل ... ذلك أننى أبصرت بجذع زيتون مشذب أعده الجنى ليكون عصا يهش بها على قطعانه ، فقلت في نفسى : « ولم لا يكون فى هذا الجذع خلاصنا ؟ » ، ثم إنى أسررت رجالى يبرى أحد طرفيه ، وكان الجذع طويلاً جداً ، يصلح سارية لسفينة كبيرة يعمل فيها عشرون بحاراً ... فأقبلوا عليه ينحتون ويبرون ، وأكبت أنا على نهاية الطرف أحده ... ثم انتهينا من عملنا وأخفينا الجذع تحت القش الكثير الملقى فى السكف ، وجلسنا نتخير من بيننا أشجعنا وأكثرنا أيداً وقوة ، وأشدنا استعداداً للحملة وغرزه من طرفه المحدد فى عين السيكلوب ... واتهمنا من ذلك إلى أربعة ، وكنت أنا خامسهم ... ثم عاد الجنى فى موعده فأدخل قطعانه وأرجع الحجر إلى مكانه ، وجلس يحلب الإناث ويقسم اللبن ويمخضه ، ويرسل كل جذع إلى أمه ؛ ثم نهض إلينا فبطش

بائنين منا وتعشى بهما ، وقبل أن يستلقي على الأرض ليستريح أفعمت  
 كأساً كبيرة مما كان معنا من خمر مارون وتقدمت بها إليه وأنا أقول :  
 « ألا أيهذا السكلوب ! هالك كأساً من الخمر إذا تحسيتها بعد أكلتك  
 الهنية من اللحم البشرى عرفت أى خمر فقدنا فى سفينتنا المفرقة . لقد  
 كنت أحضرتها تكريمة لك إذا أنت أكرمت مثوانا وأطلقت سراحنا  
 وساعدتنا على العودة إلى وطننا سالمين ! ولكن ! أواه ! إن سورتك  
 طامية أيها القاسى الجبار ، وإن أحداً من البشران يجسر على أن يقترب من  
 جزيرتكم بعد اليوم ! » . وأخذ الكأس فعبها عباً ، وسر بها سروراً  
 كبيراً ، ثم سأل أخرى فقال : « أيها الفتى ما اسمك ؟ إعطى كأساً أخرى  
 وإنى متيبك عليها . إن لدينا خمرأ صرفاً من أكرم ما تعصر العناقيد ،  
 يسقيها جوف من شآبيب ، ولكنها أبدأ لا تبلغ هذه الخمر البكر جودة »  
 وأعطيته ثانية وثالثة ، وراح المجنون يشرب ويشرب ، ولما شهدت النشوة  
 ترقص برأسه قلت له فى ظرف : « أيها السكلوب لقد تساءلت عن اسمي ،  
 ألا فاعلم أنه أوتيس<sup>(١)</sup> ، وبه اسمى فى بلادى ! ولكنك وعدت أن  
 تثيبنى على ما قدمت لك من خمر ، فإذا عساك مانحى ؟ » فاستهزأ  
 السكلوب وقال : اطمئن يا صاح ! سأهب لك أن تكون آخر من آكل  
 من خوانك .. هذا هو جزاؤك ! « وتشاء وتشاء ، ثم انطرح وسط  
 قطعانه يغطى نوم عميق . وكان يصعد أنفاسه بقوة فتنفذ من بلعومه

---

(١) أوتيس Outis معناها (لا أحد) ولم يستحسن مترجو هومر ترجمتها ،  
 لأنها تعنى ( ذو الأذنين الكبيرتين ) ولم تؤثر ترجمتها كذلك .

شواذب من خمر ، ممتزجة بقضبات من لحم بشرى ؛ وقفزنا إلى  
 جزع الزيتون فوضعنا طرفه المحدد المبرى في الجرح المتأجج حتى تأجج مثله ،  
 وبكلمات قليلة أثرت النخوة في نفوس إخوانى حتى لا نخذلهم قوامهم ، ثم  
 استعنت الآلهة فابتعثت فينا قواها السحرية ، واستجمعنا كل ما مينا من  
 مُنة اليأس ، ووضعنا الطرف المشتعل في عين السيكاوب المقفلة ، وحركنا  
 الجذع وطفقت أنا أقلبه فيها من مكان علي ، كما يفعل السمان الصناع  
 ممتقاه في خشب السنديان ... وانبجس الدم من عين السيكاوب العمياء ،  
 وحفظ إنسانها كأنه عين حثة من دم وعاز . وقصارى : لقد كنا  
 كالحداد الماهر الذى يطفى سلاحا محمى في ماء بارد !! ولقد صرخ  
 السيكاوب<sup>(١)</sup> صرخة ردد أصداءها الكهف . ثم رددتها الغيران  
 والجبال المجاورة ؛ وذعرنا نحن ، فاصقنا بالشفوق والزوايا ؛ وراح الجنى  
 الجبار يخبط في ظلام العمى بعد إذ انتزع الجذع المشتعل من عينه ،  
 وهروا كالجبل نحو الباب فوقف عنده ، وطفق يولول ويهتف ويصيح ،  
 ويدعو جميع إخوانه السيكاوبس كلاً باسمه ، فاجتمعوا إليه من كل فج  
 عنيق ... وقال قائلهم : « ماذا دهاك يا بوليفيم حتى تروعننا هكذا في ظلام  
 الليل وحتى تقض مضاجعنا بهراخك العظيم ؟ هل خفت أن يستاق أحد  
 قطعانك ، أم خشيت أن يقتلك أحد بقوة أو غدر ؟ » وقال بوليفيم وهو  
 يتصدع : آه يا أصدقائى ! إني أموت ! ولقد قتلنى أوتيس ! » فقال

---

(١) يحس أن ملفت نظر القارئ إلى طبيعة السيكاوب وأنه لا يملك إلا

قائلهم : « إن كان أوتيس — الذى هو لا أحد — قد ألحق بك أذى فما صنع بك هذا إلا جوف ؟ تجلد يا صاح ، وادع أبانا يتيون ليساعدك ، يأفك من أعماق اليم » ثم تركوه وانصرفوا لشأنهم ، وضحكت أنا فى سرى رتى لأننى استطعت أن أعمى عليهم بهذا الاسم الملقب المفترى : وما برح يولييم يبكى ويعول ويهزه الألم والأسى ، حتى زحزح الحجر الذى يسد الباب ، وجلس عنده ، ماداً ذراعيه لينعم أحداً منا أن يفلت أو أن يذهب بعض أنعامه ... إنه يحسبنا بلهاء مثله !!. وجلسنا نعمل الفكرة بعد الفكرة ، ونرسم الخطط تلو الخطط لنجائنا ... حتى تاحت لى فكرة حسنة ، أيقنت أنها تفلتنا من هذا السجن السحيق إن كان شىء مستطيعاً أن يطلق سراحنا منه ؛ لقد فكرت وفكرت ، فبدأ لى أن لدى السيكلوب كباشاً كئازاً تستطيع أن تحملنا إذا ربط كل منا تحت بطن واحد منها . لقد كانت الكباش سمينة حقاً ، ذات فراء كثة وقوة كبيرة فقامت من فورى فجذلت من أغصان الصفصاف التى كان السيكلوب الشنيع ينم فوقها ، وجعلت من كل ثلاثة حبلا واحداً ، ثم ربطت كل رجل تحت بطن كبش كبير قوى جعلته بين كبشين لا يحملان أحداً ، بل يكونان وقاية للكبش الذى يحمل رجلا بينهما ... أما أنا فتعلقت بصوف الكبش الأخير ، وبقيت ساكناً صامتاً ، ومكثنا هكذا ننتظر الفجر المقدس الرهيب ، بعيون واكفة وقلوب واجمة ... حتى بزغت أورورا مهرولات الذكران كعادتها اللرعى ، وبقيت الإناث لى تحاب ، وتهادت الكباش بالأفقال المعلقة تحتها وهى تسكاد تنوء بها ، وكان السيكلوب

لا يزال يعول ويشكو بثه إلى غير سميع ، وكان يلمس بيديه ظهور الكباش وهو لا يدري ما تحتها ، حتى إذا رز كبش ، زلزلت زلزالا ، وسمعته يقول له وهو يتحسس : « يا كبش الحبيب مالك استأنيت هكذا وكنت دائما سباقا إلى المرعى على رأس القطيع تقصم السكلا الحلو . سباقا إلى الغدير ذى الخريز تهل من مائه السلسبيل ؟ بل كنت سباقا كذلك إلى ما واك هنا . فى كل مساء ؛ ويحك ويحك يا كبش الحبيب ! لقد أسيت لى ، وحزنت من أجلى ، وشعرت بما دهمى صاحبك من القمس الرجيم أوتيس ، وأتباعه اللؤماء المفلوكين . أوتيس الذى سحرنى بخمره . . . ويل له ؟ إنه لن يُفك من الموت اليوم ! آه لو كان قلبك مثل قلبي ، وآه لو كان لى بصرك الحديد فيداني أين احتبأ أوتيس القمس ! إذن كنت أحطم رأسه فوق هذا الصخر ، أوتيس الوغد . . . الذى اسمه لا أحد ! ! فهو لا يساوى شيئا ؟ » .

ثم أملتته المغفل فانطلق الكبش فى إثر رفاقه ، حتى إذا كنا بعيدين من الكهف ومن صاحبه قفرت من مكفى ، وعدوت فأطلقت سراح رفاقي ، وسقنا نخبة من أحسن النعاج إلى حيث سفينتنا المختبئة فى الجون الهادئ . فى ظلال الحور والسنديان ... وأبحرنا من فورنا موصانا إلى إخواننا فى الجزيرة الأخرى ، الذين هناؤنا بقدر ما ذرفوا الدموع على ضحايا بوليفيم ! ! واعتزمنا الإبحار فاستعد كل فى سفينته ، وأقلعنا لا نلوي على شيء . حتى إذا كنا على مبلغ الصوت من الشامى ، نهضت وجعلت أهتمف بالسكوب بوليفيم هكذا : « بوليفيم ! لقد بؤت بما صنعت يداك ، وكان جزاؤك وفاقا ، أيها النذل الخسيس ! لقد حسبت أنك تغتال رجال

قائد لا سلطان له عليك ، ولا قدرة له على الانتقام منك ، فرحت تغتذى كالوحش بلحم ضيوفك الذين لجأوا إليك وتقيأوا ظلك . فاهناً الآن أيها الهولة بما حل بك ! » . وما كدت أصمت حتى ثار ثأثره وغلث مراجله ، وانتزع صخراً كبيراً من شعاف الجبل ، وقذف به في قوة وعنفوان ناحية الصوت ، فهوى الصخر على مقربة منا ، وكاد يهشم سكان السفينة ؛ وقد انفرج البحر ، وانشطرت أمواجه ، وارتدت السمينة نحو الشاطئ حتى لسكادت أن تفوص في رماله وتتحطم على أواذيه ، لولا أن أمسكت بالسارية الكبرى وجعلت أدفع وأدفع حتى عادت السمينة إلى مكانها في البحر . وابتعدنا قليلاً .. وجاهد رجالى بمجاذيفهم حتى كنا على مسافة هي ضعف المسافة الأولى . وهنا ، حاولت أن أصبح بالسيكوب مرة أخرى ، غير أن إخوانى حالوا بينى وبين ذلك ، وسمعت بعضهم يقول : « ويك أوديسيوس ! لم تهيج الجنى بكلماتك . وقد كاد الحجر الذى قذفه إلينا يودى بنا جميعاً ويحطم سفينتنا على الشاطئ » ؟ أما محمد الألهة التى أنقذتنا من ساعديه الجبارتين ، وهو لوسمع ركزاً من أحدنا لهشمتنا جميعاً قبل أن نفادر غاره ؟ » على أننى ما أصخت لهم ، بل هتفت بالمارد الجبار أقول : « أيها السيكاوب الطاغى ! إذا سألك أحد عن عمالك قتل له أعمانى أوديسيوس ابن ليرتيس الإيتاكي ! » وتأوه المارد حتى كاد يتصدع وقال : « ويلي منك ! لقد صدقت النبوءة ، وتحقق ما قال تلموس يوريميد النبى الذى شب بيننا وطلما تحدث إلينا معشر السيكاوبس عما حباً القضاء فى صحف الغيب لنا ؛ لقد قال لى إبنى سأفقد بصرى على يد

رجل من البشر يدعى أوديسيوس ، فظلات أنتظره ، وكنت أحسبه مخلوقاً طويلاً عظيم الجسم بادی القوة ... فإذا هو أنت أيها القزم — اللاشئ ! — الذى قهرتني أولاً بالخرثم أذهبت بصرى وأطمأت النور من عيني ! أوه ... ولكن . عد إلى يا أوديسيوس وحل على ضيفاً من جديد ، أكرم مثواك .. وأصل من أجلك لأنى ... نيتيون .. الفخو ، نى ، أن يمهّد لك البحر ، ويطامن من تحتك الموج حتى تصل إلى بلادك سالماً ... إنه وحده هو اللطيف نى ، وليست قوة فى الوجود غيره تستطيع أن تشفىنى وترد على بصرى ! » فقلت له : « بنفسى لو استطعت فقذفت بك من حالى إلى قرار جهنم فلا يقدر أحد على رد بصرى إليك — حتى ولا أبوك هذا ! » .

وغيظ السيكاوب وحنق ، ورفع كفيه إلى السماء يصلى لأبيه هكذا : « أبنا نيتيون المحيط بالأرض اسمع دعائى ، يا صاحب الشمر اللزوردى ، إذا كنت حقاً نى ، وإذا كنت حقاً تفخر بينى — وحقى فاحرم هذا القزم المدعو أوديسيوس بن ليرتيس الإيثاكي من العود إلى بلاده ، إلا أن يكون هذا قضاء فى الأزل فأقم العقاب فى طريقه ، وشرده طويلاً فى البحر ، وأغرق سفائنه ، وأقبر فى الأعماق أصحابه ، وأحوجه إلى ذل السؤال وطلب المعونة من الناس ليدوه بمركب يعود عليه ؛ وإذا عاد فليلق الهم والغم مقيمين ببابه ... آمين ! » ولجى نيتيون ، ورفع السيكاوب حجراً أضخم من الأول ، وجعل يهوم به بكلمات يديه ، ثم قذفه قذفة هائلة ، فذهب يرتقى فوقنا ، وسقط وراءنا بمقرعة من السكان ، فانشطر البحر فرقين كل فرق كالطود العظيم ، ثم انحسر الماء فجرت السفينة إلى الشاطئ .

مرة أخرى ، ولكنها هذه المرة أرست على الشاطئ الآخر الذي أرست عنده سفائننا الأخرى ، حيث أقام إخواننا يشهدون المعركة الهائلة ويجزعون ... ثم إننا نزلنا إلى البر ، وفرقنا الأنصبات من نعاج السيكاوب بيننا وكان من نصيب ذلك الكباش القدي الذي مجاني ، فذبخته على رمال الشاطئ قربانا لـجوف المتعالى ... وأسماء ! إن أكبر ظنى أنه لم يقبل قربانى ، لأن أكثر سفائننا أغرقت فيما بعد ... وأكلنا هنيئاً ، وشربنا الخمر المعتقة ، وانتظرنا مد البحر ، ولكنه استأنى علينا ، فمنا حتى نضرت أورورا جبين الشرق بالورد ، ونهضنا ... ونشربا الشرع وأصلحنا القلاع ، وأبحرنا ، بـلوب واجفة ، ونفوس نال منها الهلع ، لأنذين بالفرار .

## أوديسيوس يروى قصته

١ — إبولوس وجبة الرياح الأربع

ب — فى جزيرة الجبابة

٣ — غرام سيرس

« وبلغنا جزيرة الأيوليين حيث يحكم الملك إبولوس بن هيوناس ، حبيب الآلهة . وهى جزيرة تلوح طافية فوق العباب بسورها النحاسى الهائل ، وأواذيتها التى يتكسر فوقها الموج . ولقد زوج الملك أبناءه الستة من بناته الست ، وهو يقيم معهم فى قصره المنيف ، فى فء وارف من حب الملكة ، فى بلهنية ورغد ، وعيش واسع مُخفرج ، ونعمى



طائفة ، ولذائد شتى ... يقضون وقتهم في لهو برىء ومرح ، وبأروون  
إذا أجهم الليل إلى سرر موضونة ، وزراى مبتوثة ... وأرائك من  
حرير .

ولقد لقينا الملك بالبشر والإبناس ، وأقنا فى كنفه شهراً كاملاً ،  
ناعمين طاعمين ؛ ثم سألنى فقصصت عليه قصة ( اليوم ) وكيف سقطت  
فى أيدينا ، وما كان من إبحار أسطول الآخيين بعد ذلك ، وما تم من  
رحلتنا فى ذاك العاص ، عاشين ، ضاربين على غير هدى ... ثم إنى  
ضرعت إليه أن يعيدنى فى خفارته إلى بلادى ، فأجاب سُولى ، وأمدنى  
بكل ما ييسر رحلتى ، ثم تفضل فشئى معى إلى البحر ، حيث قدم إلى  
جعبة مصنوعة من جلد عجل كبير جسدٍ ، خيل إلى أنه ذبح فى سن  
التاسعة ، وهى جعبة من صنع جوف سيد الأولب ، حبس فيها عظيم  
الآلهة رياح العالم أجمع ، وأحكم رباطها بسلك فضى متين ، حتى لا يفلت  
منها نفس واحد إلا بإذن ... وانطلق الملك بعد أن أمر زفيروس - رب  
النسيم الحلو - فلائشراعنا ، وهب بين أيدينا ... وا أسفاه ! لقد كانت  
هباته اللطيفة الرخية عبثاً ، وضاعت فى غملة من رجالى سدى ! فلقد  
جرت بنا العلك آمنة مطمئنة طوال تسعة أيام بلياليها ، ثم بدت لنا  
شيطان إيتا كما خفقت قلوبنا فرحاً ، واستطعت أنا نفسى أن ألمح مواطنى  
الأعزاء يوقدون النار فى شعاف الجبال ... بيد أنى كنت منهوكاً موهوناً  
من كثرة العمل ووعثاء السفر ، وطول السهر والمراقبة ، فداعت عيني  
سنة من الكرى ، لأنى كنت أسهر على القيادة بنفسى طيلة الرحلة ،

ولم أكن آمن أحداً من رجالى على الاضطلاع بها خشية الوتنى ، وخافة التأخير ... وبينما كنت نائماً ، لعب الوسواس فى صدور رجالى ، زاعمين أنى أحل أذخاراً من الذهب والفضة أسبغها على "إبولوس الملك ... قال قائلمهم : « يا للآلهة ! أئداً ما وطئت قدما أودسيوس بلاد قوم حتى تنالكو عليه مرحين معجبين مكبرين ! وهو اليوم يعود من طروادة ومعه من طرفها وسلكها الجحيم الكثير ... أما نحن فوا أسفاه علينا ! لقد شاركناه تلك الرحلة المششومة ، وها نحن نرضى من الغنيمة بالإياب ، ونعود منها أصغار الأيدي ، لا أمامنا ولا وراءنا ! وها هو أيضاً قد فار دوننا رقد ملك الرياح ، إبولوس العظيم ، هلموا يارفاق ! البدار إلى هذه الجعبة ننظر ما احتوت من أصفر وأبيض ، وأعطيات وهبات ... وأهى ! » ، وأقبل بعضهم على بعض ، وامتدت أيديهم إلى الجعبة فخلوا رباطها ... واحمررتاه ! لقد انطلقت الرياح الحبيسة ، وزججرت العواصف الهوج من كل صوب ، وطفقت تكسحننا فى شدة وعنف .. بعيداً ... من إيثاكا ! ولقد قفرت من غفوتى خائفاً مذعوراً ... حتى لحيل لي أن طوفاناً قد غمرنا ! ... وظللت برهة فى ذهول ودهش ، وطفقت الأحزان على قلبى ، ورائت المهموم على نفسى ، وفث اليأس فى عضدى ... ولكنى لم أجد من الصبر بداً ؛ فتحملت الكارثة فى هدوء وصمت ، وعصبت رأسى بثوب شف ، وانبطحت فى قرتى ... وراحت العواصف تدفع الأسطول فى غير هودة ، حتى بلغ شيطان الأبوليين مرة أخرى ... وهنالك بكى صحبى ... ولات حين بكاء ! وهبطنا الشاطئ ، وكان هنما

أن نرتشف من ماء إيوليا العذب رشقات ، ثم جلسنا نعد أكلة محلى  
ونلتهمها ؛ وتوجهت أنا وصديق إلى قصر الملك ثانية ... وقد كان يجلس  
لوليمة كبيرة هو والملسكة الحسناء المصون ، وأبناؤه الغر الميامين ... واشد  
ما بدهه أن يرانا بعد طول النأى ، فخدجنا وقال : « ويك أودسيوس يم  
عدت أدراجك ؟ وأى سلطان مشموم لوى عنانك بعد إذ أرسلناك مزوداً  
بخير زاد لتصل إلى بلادك ، وتلقى آلك ؟ أو أى آل آخرين ؟ ! » ،  
وكان فؤادى ينخلع حين قلت أجيبه : « تبارك الملك ! لقد حاننى رجالى  
اللؤماء ، وخانى معهم طائف من الكرى ! فإذا شاء الملك فليجبر  
ما انصدع منا ، وهو لا يزال صاحب الخول والطول ! » ... وهكذا  
شاءت المقادير أن أقف ضارِعاً إلى هذا الملك مرة أخرى .. وقد تلمت  
أبناؤه صامتين لا ينبسون .. واكفهر وجه الملك وقال : « أيها الرجل  
انطلق . أغرب عن جويرتنا هذه يا أتعس الناس ! إنطلق مو الله إلى  
لأستغفر الآلهة أن أكرمت مثوى رجل مثلك عدو نفسه ، ممقوت من  
الأرباب ، مغصوب عليه من السماء ! » وهكذا طردنى الملك شرطردة ،  
فخصيت على وجهى ، واقفيت أصحائى ، وأبحرنا نذرع اليم المصطحب  
بمجاديفنا ، ونسكب فى هذه الأعماق المصطربة قوانا ، لا أمل لنا فى  
الوصول إلى بلادنا ، ولا رجاء فى الخلاص من هذه البؤوس ! ووصلنا  
مدينة ليستريجونيا بعد نصب ستة أيام بلياليها ... تلك المدينة الموحشة  
التي بناها منلالموس العظيم ... والتي ( تغزو الحشرات مروجها نهاراً ،

فيخرج الرعاة بقطعان اللغيم ذات الغراء السكثة التي تحمي الحيوانات من ذبابة الماشية وتدفع عنها غائلتها ، فإذا جن الليل عادوا بأغنامهم إلى حظائرهم ، وذهبوا بالنعم لترعى في هدأة الليل ، ولتكون بآمن من غوائل الذباب الذي يكون قد غلبه الفعاس<sup>(١)</sup> . . . وصلنا إلى هذه المدينة فألقيناها محصنة بسور عظيم من الحجر الصلد ، يفجدر قليلا قليلا إلى الميناء ، بمضيق صغير لا تعلو فيه موجة ، ولا يتحرك فيه الماء ... وقد أدخل رجالى سفائنهم في هذا البوعاز ، وآثرت أنا أن أظل بسفينتى عند فمه مما يلي البحر ، فأقيت مرساى ، وثبتها في حجر كبير ، ثم وثبت إلى الشاطئ ، وتسمنت ربوة عالية ، وأخذت أجيل ناظرى في الجزيرة ... ولم أقف لإناس أو حيوان على أثر ، وبذت الأرض جرداء بلقعا ؛ بيد أن دخانا كثيفا كان يصاعد من وسطها ؛ فرأيت أن أبش نائنين من رجالى جعلت عليهم ثالثا رئيسا ، ليعلموا لنا من أنباء الجزيرة ، وليتجسسوا أخبار أهلها ... وقد قص هؤلاء آثار العربات التي يستعملها السكان في نقل الأخشاب من الغابة إلى مدينتهم ؛ ولقوا عند مدخل المدينة فتاة عذراء تملأ جرتها من عين ماء هنالك ؛ فما كادوا يسألونها حتى علموا أنها ابنة الملك آنتيپاتاس ملك هذه البلدة ... ومشت بين أيديهم حتى كانوا في قصر الملك ، وهناك لقيتهم امرأة هولة عظيمة الجسم ، كأنها هضبة ، فلم يجسروا أن يمدوا إليها أبصارهم مما غشيم من

---

(١) كلام هومر مما قامش شديد النوض ولذلك انكنا في إبانته على شرح

الفرع وكانت هذه هي الملكة ، التي صاحت ، عند ما لحث رجالى ،  
 بزوجها ، فأقبل يهتز وتزلزل الأرض من تحته ، وما كاد يلمح هؤلاء  
 الغرباء حتى أمسك واحد منهم وخبط به الأرض فخطمه ... كأنما أقبل  
 ليخوض معمة .. ؛ وانطلق الآخرون لا يلوون على شيء ؛ حتى بلغا  
 سمائنا .. ثم زجر الملك بصوت قاصف كالرعد يدعو إليه رعاياه ،  
 فأقبلوا إليه من كل حدب ، ردة جبارين كالأغوال ، لا عدد لهم ،  
 ولا تقع العين على أبشع منهم ... ثم تهاووا إلى الشاطئ حيث أرسى  
 سفننا ، فجعلوا يقذفونها بحجارة من سجيل ، جعلت رجالنا كعصف  
 مأكول ، وجعلت مراكبنا حطاماً كان يهوى إلى الأعماق ؛ بينما هؤلاء  
 الجبابرة ينشلون قتلانا بحراهم ليعودوا بهم إلى بيوتهم فرائس سائفة  
 يملأون بها بطونهم ... وهكذا استمرت هذه المذبحة الدامية . وكنت  
 واقفاً فى مركبى ، وجرازى إلى جانبى ، فأسرعت إلى حبال المرساة  
 فقطعتها به ، وبادر رجالى إلى مجاذيفهم فأعملوا فيها أيديهم ... وبذلك  
 نجونا من هذا الروح برغم الحجارة الهائلة التى كانت تتطاير فوق رؤوسنا  
 وتهاوى عن شمائلنا وعن أيمننا ، فتشيع فى فرائصنا خطر الموت ...  
 وظللنا نكافح الموج ونصارعه ، فرحين بنجاتنا ؛ ومع ذلك ، فقد  
 كانت تعتلج قلوبنا هماً وأسى على إخواننا ... ثم رسونا آخر الأمر عند  
 جزيرة إيايا ، حيث تقيم سيرس ، ربة الغناء والسحر ، ذات الشعر  
 الكهرمانى ، أخت إيتيس الحكيم من أبيها الشمس ، وأما برس ابنة

أوشيانوس<sup>(١)</sup> . وكأنا مشت عناية السماء بين أيدينا فرسوناً في حون  
هادى ساكن في غير جلبة ولا ضجيج ، ثم هبطنا إلى الساحل فتلبثنا  
فيه يومين كاملين نستجم ونستروح مما بنا من أين وجهد ، وكلما فرأنا  
لما في أضاالعنا من شجو وهم وشجن . ثم إني تساحت ربحى وسيفى  
وحنثت خطاى في أسناد الجبل حتى كنت في ذراه الشاهقة ، ووقعت  
ثمة أنظر وأتحسس ، فلهجت في البعد دخاناً يصاعد بين الدوح والزهر  
من قصر سيرس . وبدأ لى أن أتوجه إليه من فورى عسى أن أجد عنده  
خيراً . ولقد ترددت بعد ذلك كثيراً وكدت أعود أدراجى إلى السفينة  
لأرسل نفرأ من رجالى يكشفون لى الطريق إلى القصر ؛ وما كدت  
أخطو خطوات حتى ساقى إلى أحد الآلهة ظبياً غريراً شرد من المرج  
المعشب الحلو ليستقى مما ألح به من ظمأ فأرسلت إليه ربحى فقعس ظهره ،  
وسقط يتخبط في دمه ؛ وقطعت شيئاً من عساليج الصفصاف وحدثت  
منها حبالا ، وأوثقت الغزال من أياطله واحتملته على ظهري ، ومصيت  
قدماً إلى رفاقى متوكئاً في كل خطوة على ربحى إذ لم تعد شيخوختى  
تستقيم لمثل هذا الحمل الكبير ! وهتفت برجالى في مرح وظرف : « هلموا  
يارفاق فلن نقضى قبل أن تحين آجالنا ! هلموا إلى ظبى فنيق وخر  
عتيق ، واطرحوا ما بكم من هم وضيق ... » وأقبلوا فرحين وشمروا عن  
سواعدهم وهم يستهولون من جدل هذا القنص الغريص ، وظلالما يومنا  
هذا نطعم ونشرب ، حتى إذا أرخى الليل سدوله انكفأنا على الشاطىء

---

(١) لم يتعرض شراح هومر لهذه الفقرة ولذا أنبأها كما هي .

تغط في سبات هادىء ... وذرت أورورا ابنة العجر الوردية فهتفت برجالى  
 فهبوا ، ثم جلسا ساعة تتشاور ، وأنا أقول لهم : أيها الراق ! يا إخوان  
 الشدائد! ها نحن أولاء قد لصقنا هذه الأرض ولسنا ندرى أيان نذهب؟ هل  
 نشرق ، أو نغرب ، أو نظل هنا أبدا الدهر؟! ولكن هلموا ننظر لأنفسنا  
 مخلصاً مما نحن فيه : فإني حينما تسنمت ذروة هذا الجبل أجلات الطرف  
 في أرجاء هذه الأرض وعرفت أنها جزيرة تتراعى إلى مدى البصر ؛ ثم  
 إلى آنست دخاناً يعلو في الجو من وسطها ، ينبثق من سروات طوال فيها ،  
 فَرَوَا لأنفسكم أثابكم الله ! — وكأنا سقط في أيديهم ، وكأنا حاقت  
 بهم ذكريات آتية بالناس وقومه المستريحون ، وما اقوا من هول السكاب  
 أكلة اللحم البشري ، فبكوا ساعة من الزمان ، ثم استرجعوا حيث  
 لا يجدى البكاء ... ثم قسمتهم فريقين ، جعلت على أحدهما يوريلاخوس ،  
 قرْن الآلهة ، وجعلت نفسى على الفريق الآخر ، وجلسنا نقترع على من  
 يذهب لارتياذ الجزيرة ، فوضعنا الرقاع في خوذتى ، ثم كانت القرعة على  
 يوريلاخوس ، فمضى ، وتحت إمسته اثنان وعشرون من رفاقنا ، كانوا  
 جميعاً يذرفون الدمع خوفاً وفزعاً مما وجهوا إليه ، وكنا نحن نبادلهم دمعاً  
 بدمع وبكاء ببكاء ... ووجدوا قصر سيرس في بطيحة<sup>(١)</sup> منخفضة ،  
 فماذا رأوا؟! قصر منيف مُمرّد تحديق به تمانيل حية من سباع وذؤبان  
 سحرتها سيرس بعقاقيرها ذات القوى الخارقة الخفية ... ولم تؤذهم تلك  
 الوحوش ، بل كانت تثب على أرجلها الخلفية في دل وتلطف ، ثم تبصيص

بأذنانها كأنها كلاب السادة العظماء حينما تتملقهم في وليمة من أجل لقيات ...  
وتسمعوا ، فإذا سيرس تغنى بصوتها المعجب المطرب وهي تعمل على نولها ،  
مشغولة بنسيج سابري عبقرى عجيب ، ليس يقدر على مثله إلا الآلهة .  
وكان في رجال الفريق أمير عظيم هو عندي أربطهم جأتاً فقال :  
« أسمعون أيها الأصدقاء إلى هذا الغناء الحلو تردده جنبات القصر ؟ إنه  
لا شك غناء ربة الدار التي تعمل على نولها ، ولست أدري أربة خالدة  
هي ، أم من بنات حواء ... وعلى كل هلموا نهتف بها » . وتنادوا ، وأقبلت  
سيرس فهشت لهم وبشت ، وأذنت لهم أن يدخلوا . فدخلوا ، وأسفاه ،  
إلا يوريلوخوس فقد خشى أن تكون ثمة مكيدة أو أحبولة . قادتهم إلى  
بهو كبير صفت فيه عروش فخمة من ذهب ، ما كادوا يستقرون عليها حتى  
أقبل الساقى بخمر وعسل ثم جىء بجبن وطعام آخر ، مخلوط بعقاير سحرية  
تذهب وعى آكلها ، وتنسيهم ما سلف من أمورهم ، بل تساهم دكريات  
أوطانهم ، ثم ضربت كلابصاها السحرية بعد إذ أكلوا ورووا ، واستاقنهم  
إلى حظائرهما حيث مسخوا فكانوا خنازير ، وإب أبقى السحر على  
ألبابهم . أما طعامهم بعد هذا ، فقد كانوا يتناولونه من يدها مباشرة ،  
فكانت تطعمهم جوز البلوط والشاهبلوط والكريز<sup>(١)</sup> الكلاي . وما  
إلى هذا وذلك من أكل الخنازير الخسيسة السائبة .

وأقبل يوريلوخوس ينتفض من الذعر ، وينعقد لسانه فما يكاد  
يبين ، ثم هدأ روعه قليلا فطفق يصعقنا بأنباء ما رأى : « أوديسيوس

---

(١) الكريز : وجمعه الكراز بالضم الأقط ، والمراد هنا فاكهه الكريز .



ياذا أُلِّحِد ! لقد ذهبنا نتحسس كما أمرتنا ، ونزود هذا الوادى الأتْب ،  
فوجدنا قصرًا مشيدًا فوق أكمة عالية ، وسط بطيحة منخفضة ، ذاقبة  
سامقة جلست تحتها امرأة أوربة — لا أدري — وهى لا تفُتأ تعمل على منسج  
بخفة وصنعة ، وترسل ألحانًا حنونًا حلوة ؛ وما كادوا يهتفون بها حتى نهضت  
فلقيتهم بالبشر وفتحت بابها على مصراعيه فدخلوا جميعًا — حاشاى —  
فقد أوجست حيفة ، ووقر فى قلبى أن ثمة شركًا نوتك أن نتردى فيه ؛  
وقد راقمت رفاقى إذ هم جلوس لحظة غير قصيرة ، ثم هالنى ألا أرام فجأة !  
وما كاد ينتهى حتى قفزت إلى سيفى فتسلحت به وأخذت قوسى وسهامى ،  
وأمرته أن ينطلق بين يدى إلى حيث ذهبوا من قبل ، ولكنه ركم أمامى وتعلق  
بساقى وجعل يرجو ويلحف فى الرجاء ألا أذهب ... « فإنك ان تفشل  
فى إعادة رفاقنا فقط ، بل قد تفشل فى أن تنجو بنفسك . فانطلق بمن  
بقى منا ، ويا حبذا لو استطعنا الفرار ! » ولكنى أجبتة أن له أن يبقى .  
هو فياكل ويشرب فى السفينة ، ويكون بنجوة مما فزع منه ، أما أنا ،  
فلم أُر ضرورة لبقائى .

وانطلقت لا أُلوى على شيء ، ولكنى قبل أن أبلغ البطيحة التى  
بها القصر ، لقينى هرمز الحبيب إلى العصا السحرية . وكانت محاليل  
الصبا وبدوات الشبات تندق فى بردتية ، وحمرة الورد تلتهب فى خديه ،  
لـقينى فصاغنى متلطفًا وقال : « أيها التمس أيا ن تضطرب وحدك فى هذه  
الأرض ، وقد حبست سيرس من أرسلت من رجالك فى حظائر هابعد إذ  
سحرتهم إلى خنازير شقية ؟ هل أقبلت لتفجهم ؟ أم جيئت لتحتجزك

معهم إلى الأبد؟ ولكن اصنع إلى ؛ إني سأحبط ما فعلت ، وسأحريك وأحفظك . خذ هذا العقار<sup>(١)</sup> ولا يهمك بعد أن تدخل قصر سيرس فإنه ينقذك من كل خطر ... وهلم أعلمك ما عندها من السحر ، إنها ستمزج لك كأساً من الشراب مما عندها من رجز ، وستصع لك منه في طعام تقدمه لك فكل وارو ولا تبال ، فهذه البقلة العجيبة التي أعطيتك ستحبط كل ما تحيك لك فلا تقدر على مسحك كمن مسخت من رفاقك ... فإذا عاجلتك بعصاها السحرية فاهجم عليها بسيفك غير هيب ، وأرسل إليها شرر الغضب من عينيك فإنها حينذاك تنقاد لك ، وتقودك إلى فراشها ، وتحتال عليك بصنعة الحب وتلطفات الهوى ، فإياك أن تنصاع لها حتى تعطيك موثقها أن تبطل ما أنزلت برفاقتك من سحر وأن تترفق بك فلا تمسك بأذي ، واحذر يا صاح أن تدنس فصل خريك بما ركب في طبعها من شر . » وانحنى رسول الآلهة فانتقط عتبة من الأرض ثم وضعها في يدي وأخذ يكشف لي أسرارها ويقص عليّ قواها الخارقة . وذكر لي أن اسمها ( مولي ) ، وبه يدعونها في السماء وأن الآلهة وحدهم يعرفون كيف يشفون بها رُقي السحر ... وكانت جذورها سوداً حالكة السواد أما زهرتها فكانت بيضاء ناصعة البياض كالابن ... وودعني هرمز ، ثم رف ورف ، وعرج في السماء . وانطلقت أنا أخبط في ظلمات من هواجسي حتى كنت لدى باب ربة السحر التي وجدتها تعمل كما ذكر لي صاحبي علي نولها ... وصحّت صبيحة عالية ، فأقبلت تتهادى

---

(١) واحد العقاقير .

نحوى وفتحت مصاريع أبوابها ، ودعقتى ، فدلقت وراءها ، حتى كنا  
 عند عرش عظيم ممد فضى ، دى درج ، فاستويت عليه ، وذهبت هى  
 فمزجت لى كأساً من الخمر بشىء من عقارها ، وقدمته لى فاحتسبته ، بيد  
 أنى لم أنغير ولم أنحول عن صورتى ، ففصر بئى بعصاها السحرية وهى تقول :  
 « هلم إلى الحظيرة حيث تقرر مع رفقاءك » ولم تكدر تصمت حتى وثبت  
 من مقعدى وامتشقت سيفى ، وهجمت عليها ، وفى عيني جحيمان من نار  
 الغضب ؛ فروعت ربة السحر ، وزلزلت زلزالا عظيما ، وجرت نحوى ،  
 وركعت عند قدمى ، وتعلقت بساقى ، وأخذت تضرع إلى وتقول فى بيان  
 رائع وكلمات باكية : « عمرك الله من أنت ومن أين قدمت وما ديارك ؟  
 تبكلم ! أنت يا من لم تسحرك جرعى الهائلة التى لم يذوقها أحد وظل فى  
 صورته لحظة واحدة ! ولكنك تحمل قلباً لا تجوز عليه نقشات السحر ...  
 هلم .. تعال .. إلى .. إلى "أعرفك أحسن المعرفة" . إنما أنت أوديسيوس  
 الصناع ذو الذكر ، ولقد وصلت إلى هنا من اليوم بدورك فلم يشأ هرمز  
 ذو العصا الذهبية أن يخبرنى بمجيئك ! ولكن اغمد سيفك ، وهلم ننعيم  
 بالعناق فوق فراشى الوثير كزوجين ، وليفرخ روعك وليهدأ مالك ..  
 اطهئن يا أوديسيوس هلم ! » وصمت لحظة ثم انطلقت أجيبها : « سيرس !  
 كيف تتصورين أن يفرخ روعى ويهدأ نالى وقد حبست فى رحاك  
 رفاقى وشركاء رحلتى بعد إذ سحرتهم إلى خنازير أيتها الربة ؛ ثم تخشين  
 إفلاتى فتخادعينى وتبهرجين على بطلاسم الحب ، داعية إياى إلى فراشك  
 لتشوبى صفاء فضيلتى برجس رذيلتك ... لا ... لا ، إنى لن أقاسمك

هذا الفراش حتى تقاسمىنى أغلظ الأقسام ألا تلحقى بى أذى ، وألا تحاولى الإضرار بى » وراحت تحلف وتؤكد الحلف ، وتقسم وتغلظ فى القسم ، ثم إنى انطرحت فى سريرها الفخم الديباجى . وأقبلت أربع من عرائس البحر ، حطرن من اليم وأقبلن من العيون والخرج المجاور ليهنصن بخدمتنا ؛ أما الأولى فقد أصاحت من سريرنا وطرحت عليه مطارف الخرز ؛ وأما الثانية فقد صفت الموائد وربت الكراسى ، وجاءت الثالثة بزق عظيم من خرطيبة ملأت بها الكؤوس الذهبية المنضدة فوق الموائد — أما الرابعة فقد أعدت لى حماماً ساخناً وضمتنى بأحسن الروائح والطيوب ، حتى انتعش جسمى الخائر ، وتأرجت روحى الفاترة ... ثم ألبستنى ثوبين غالين من أندر الديباج ، ومشت بين يدى إلى عرش عظيم مزردان بأحسن التصاوير ، مطعم بالذهب والفضة ، فاستويت عليه ، واضعاً قدمى على درج من لباه ناعم . . . وأقبلت بعد ذلك عروس أخرى فصبت الماء على يدى من إبريق من ذهب ، فى طست من فضة ، وجاءت بمائدة حاملة بأشهى الآكال فوضعتها قدامى ، لىكنى ما مدت إلى شىء من ذلك يدى ، لما كان يساورنى من الهم ، وما يشغل بالى من الانتقام ؛ فلما لحظت ذلك سبرس أقبلت تيمس ، وأخذت تلاطفنى وتقول : « مالك تجلس ساكناً هكذا يا أوديسيوس ، كالذى غشى عليه ، ما تكاد تمتد يدك إلى شىء ، كأن ألف وسواس بخامرك ؟ ألا تزال تحشى مكيدة فتخاف أن تتردى فيها ؟ ! ألا ما أكبر غفلتك يا صاح ، إطمئن ، فلقد أعطيتك موثقى وحلفت لك بأغلظ الأيمان ! » وأجبتها قائلاً : « كيف تمتد يدى

إلى طعام أو شراب ورفاق لا يزالون في إيسار سحرك ؟ أبداً ان ذوق  
شيئاً حتى تردبهم إلى صورهم ، ثم ألتقي بهم » ونهضت تحمل عصاها  
السحرية ، وذهبت من فورها إلى الحظائر حيث أطلقت رفاق ، وكأوا  
لا يزالون في صور الخنازير ، ثم جاءت بترياق فمسحتهم به ، فعادوا إلى  
صورهم البشرية ، وبدوا في أنضر شباب وأصباه ، ثم أقبلوا يحوى  
يلثمون يدي ، ودموع الفرح تبلل ما قبيهم ، وطفقوا يصيحون ويصخبون  
وتردد أصداءهم جنبات القصر ، حتى تأثرت سيرس نفسها مما رأت ،  
وراحت تقول : « يا ابن ليرتيس الصنّاع ، هلم إلى مركبك فانددها فوق  
البر لتسكون بآمن من غوائل البحر ، سم خبيء كنوزك وأذخارن في  
غيران هذه الجبال ، وعد إلى في جميع رفاقك » وطربت لهذه المكرة  
فهزلت إلى الشاطئ حيث لقيت رفاق الآخرين يندبوننا ويذرفون  
دموعهم علينا . وما إن رأوني حتى أهرعوا نحوى يرقصون ويطربون  
ويحيون كهذه البهيم التي تعود في المساء إلى حظائرها فتتلقاها صغارها  
بالثغاء والرقاء والضوضاء . وهكذا تلقاني أولئك الرفاق . وبدأت دموع  
أحزانهم بعبرات المسرة ، وخيل لهم أنهم رأوا في وطنهم النائي المحبوب  
إيثاكا ، حيث ولدوا وحيث نشأوا وترعرعوا ... قال قائلهم : « تالله  
لسكانا رأينا فيك أوطاننا يا أوديسيوس ، وتالله لقد ظفرت قلوبنا حين  
عدت إلينا فعدت أرواحنا إلى أبدانها . حدثنا أيها العزيز كيف هلك  
إخواننا في هذا التيه » . وقلت لهم : « هلموا أولاً لنجرك مركبنا على هذا  
السيف الهادي ، ولنخبيء أذخارنا وسلاحنا في غيران هذه الجبال ،

ولننطلق جميعاً إلى سيرس حيث ترون جميع رماقكم في أمانّة وعز  
 وطعام وشراب ، ونعيم مقيم . وصدعوا بما أمرتهم إلا يوريلوخوس ،  
 فقد سَمَرَ مكانه ، وكأنّه لم يحفل بما أخبرت به ، ثم حرك سمّتيه فقال :  
 « ويح لنا نحن الأستقياء المائسين ! فيم ذهابنا نحن الآخرين إلى قصر  
 سيرس ، وقد تمسخنا جميعاً إلى سباع أو ذؤبان أو خنازير ، ونظل إلى  
 الأبد محرس عرينها مرعمين ؟ لقد ذهب كثيرون منا ضحية هوس  
 أوديسيوس وقلة بصره ، يوم جلسنا السيكلوب من أجل أطاع رئيسنا  
 الطياش<sup>(١)</sup> ! » وأوشكت أن أضرب رأسه بجرّازي ، فيخر إلى الأرض  
 برغم ما يربطني به من آصرة الوطن ووشيجة الغربة ، لولا أن هب  
 رجالى الآخرون يصرخون ويقولون : « أوديسيوس الكريم ! لنتركه  
 هنا ليخرس ملكنا ، أما نحن فراحلون معك إلى قصر سيرس ، ولو كان  
 ملئه الفزع الأكبر ! » وتدفعوا من السفينة على الشاطئ ، وانخرط  
 يوريلوخوس بينهم منصاعاً لنظراتى المتأججة .. أما ما كان من سيرس  
 حينذاك ، فإنها أدخلت رفاقي إلى حمامها ثم ضمختهم بأحسن الطيوب ،  
 وخلعت عليهم أفخر الملابس ؛ ولما وصلنا وجدناهم يطعمون ، فما إن  
 زأونا حتى هبوا يعانقون صحّابهم ويبكون ، ثم جلسوا يستمعون إلى  
 قصة ما حل بإخوانهم ، وهم يصعدون زفرات الحزن ، ترددها قبّاب  
 القصر . ونهضت سيرس فوجهت إلى الخطاب إذ تقول : « ان ليتريس  
 العزيز هون عليك ، وليرفه رجالك عن أنفسهم ولا يستسلموا هكذا

لذوبة الحزن ، ولسترقاء دموعهم جميعاً ... إلى لا أجمل ما تحشموا من أهوال في ذاك البحر المضطرب ، وما لقوا من فواحش في كل أرض ، ما كتب لهم في لوح القضاء ... واسكن ، تعالوا جميعاً . أنعشوا نفوسكم الخالدة بكؤوس الراح ، ولتستشعروا بأسكم الذي كنتم تستشعرونه يوم عادرتم شيطان إيثا كالعزيزة ... إنكم إن لم تتناسوا آلامكم فإنها تفت في عصدم وتوهي من قوتكم وتكون أبدأ حلفاً لكم وإلباً عليكم ، ولا تعودون تشعرون معها بلذة العيش وبهجة الحياة ! » ، ووقعت كلماتها في قلوبنا فأقبلنا على الطعام والدمام ؛ ثم إننا أقمنا عندها عاماً بأكله في أرغد عيش وأحسن حال ، متقلبين في أرفه نعيم ؛ ثم استدار الزمان ، وهتف بنا قانون الأزل ، فدعاني رجالى إلى جلسة خارج القصر فقالوا لى : « تذكر يا مولانا لوطننا الأول ، فإننا نحن إليه ، ونتمنى لو ساقفنا المقادير إلى شطآنه » ، وكأنا نبهوا منى عافلاً ، فتلبثنا يومنا هذا على مائدة ربة السحر في بُلَهنية وعيش محفرج وخمر ، وأقبل الليل فأوى كل إلى فراشه ، وأويت أنا إلى سيرس فداهبتها ولاطفتها ، ثم قلت لها فى رجاء وظرف : « سيرس ياربة ؟ حبدا لووفيت بعهدك فأرسلتنا فوق ههنا البحر رحمة بنا ، لقمضى حاجات الوطن ، ولتقطع شكاوى صحابى التى مزقت نياط قبي . » وفالت سيرس : « أوديسيموس العزيز ، المعروف بأصلة الرأى ورجاحة الفكر ، إنى لن أقسرك على البقاء هنا ، لآنت ، ولا أحداً من رفاقك ، ولكنك قبل أن تفكر فى شد رحالك إلى بلادك ينبغى أن تذهب فى رحلة شاقة بعيدة المدى ...

إلى هيدز<sup>(١)</sup> ... دار يوتو<sup>(٢)</sup> ورسفونيه ... حيث تلقى النبي الصّديق الصالح تيرزياس ، الذى احتفظ وحده فى عالم الموتى بكل أسرار وقواه الغيبية الخارقة ، والذى يشوى فى رحاب مليكة الفناء يقنّباً لها وتسوحيه وتشثيره فيعرف<sup>(٣)</sup> لك عما يهتك ويقفك على ما ينطوى لك من صفى الغيب » وما كادت تنتهى حتى اهلواك الدنيا فى عيني وتدفقت الهموم فى نفسى ، وأجهشت وأجهشت ، ثم استخرطت فى بكاء طويل . وما كدت أصحو من هذه النوبة حتى قلت لها : « أنى لى ياربة أن أذهب إلى هيدز ؟ ومنذا الذى يحدونى إليها ، ولم يستنى إليها أحد من أحياء البشر ؟ » فقالت تجيبنى : يا سليل ليرتبس العظيم ليفرخ روعك ، ولا يحزنك ألا يكون لك إلى هيدز من دليل . بل هلم إلى سفينتك فأصلح قلاعها وانشر شراعها وستهب الصّبا سَجَسَجاً فتُهديكم رويدا ، فإذا جزتم هذا البحر الحيط ، وبلغتم الشاطئ الهز<sup>(٤)</sup> الذى تنمو فوقه أشجار الحور والصمصاف الباسقة ، ثمّة باسم پرسفونيه ، فادفعوا اليه بسفينتكم ثم تهاووا إلى مثنوى يوتو السحيق الذى يبتدىء عند الصخرة المسائلة التى تتكسر فوق أواذيتها أمواه أشيرون<sup>(٥)</sup> وستيكس وكوكيتوس فاتركوا سفينتكم ثمّة ، واحفروا عندها حفرة ذراعاً فى ذراع صبوا فى جهتها الأولى قربانا من ابن وعسل ، وفى الثانية خمرا معتقة

(١) الدار الآخرة (٢) إله الموتى وزوجه

(٣) ينكهن — من العرانة بالسكسر

(٤) الذى ينز الماء مصدر استعمل صفة oozy

(٥) تفاق الشين كالأ مشددة وقد آثرنا الشين فى كل كتبنا لتسهيل النطق .



من أحسن ماتعصرون ، وفي الثالثة ماء قراحا ، فإذا كانت الرابعة فانثروا  
الدقيق فوق الجميع ، واصنعوا ذلك باسم الموتى جميعا ، ثم اندروا لهم أن  
تذبحوا - يوم تعودون إلى إيثاكا سالمين - عاجلاً جسداً من أحسن  
قطعانكم : وانذروا كذلك لثيرزياس كبشا سموريا ليس في أغنامكم  
أسمن منه ولا أقوى جلادا ، فإذا فرغتم من صلاتكم ونذوركم وأدعيتكم  
لجميع الموتى من كل الأمم فاذبحوا في الحال كبشا ونبعجة سمورية ، على أن  
تكون رأسا الضحيتين تلتقاء إربوس وعلى أن تشيحوا بوجوهكم تلتقاء  
الشاطئ ، فإذا صنعتم كل هذا فسرعان ماترون أرواح الموتى تقبل بحوكم  
من كل فج ، فسارعوا إلى ذبائحكم فاسلخواها وألقوا بلحومها في النار مصلين  
ملبين داعين كيما تهدأ نفسا بلوتو وزوجته پرسفونيه ، ولا تسمحوا لأرواح  
الموتى أن تقرب أضحياتكم ، وذودوهم عنها بأسيا فكم حتى تلمحوا  
ثيرزياس فادما فيلقاكم ويحدثكم ويوضح لكم ما غم عليكم من سبيلكم  
في هذا البحر الرجراج المتلاطم بالأمواج « وسكنت ، وانبلج الصبح ،  
فنهضت تصلح من أثوابها وتضفي عليها من شفوفها البيض كالندف ،  
ونثر فوق رأسها تلك الغلالة الرقيقة كالثلج . أما أنا فنهضت كذلك ،  
واكتسيت صدارى وذرارى ثم توجهت إلى رفاقي فأيقظتهم وحثتهم على  
الإبحار من تونا كما رسمت سيرس . وقد هبوا جميعا إلّا قى يافعا لم يكن  
له يدان في هذه الشدائد ، بل كان كل همه في كأس من خمر ينطرح  
بعدها وهو لا يعي شيئا وكان اسمه أليثور ، وكان قد غرق في سبات  
عميق فوق سطح القصر ، وقد أفرغه ما سمع من جلجلة أسلحتنا فهب من

من نومه مخجورا متخاذلا وسماقتة قدماءه إلى حافة السطح فزكنا  
وسقط إلى الأرض ، ودق عُنقه ، فسقت روحه إلى هيدز . وقالت  
لأصحابي لما اكتمل جمعهم . أنظنون أنا مبجرون إلى أوطاننا ! كلا  
يا رفاق ! فأماننا رحلة طويلة شاقة إلى هيدز ، حيث ينبغي أن يلقى  
تيرزياس النبي الصالح ليُعَرِّف لنا ويقفنا على صفحة مما يطوى لنا  
الغيب ، هذا رسمت سيرس ، وإنا نصيحتها لسامعون ! » ، وحفقت  
قلوب إخواني ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ثم جلسوا يشدون شعورهم من  
الحسرة ، ولكنهم صدعوا أخيراً ، بعد إذ أيقنوا أن لا شيء غير هذا  
. ينفعهم . وانقلبوا إلى البحر ، وكانوا لا يزالون يذرون دموعهم ويصعدون  
حسراتهم . وفيما نحن ذاهبون ، كانت سيرس تسوق إلى السمينة كبشاً  
عظيماً ونعجة ممتورية . وإن كنا لم نرها قط ، ومنذ الذي تستطيع عيناه  
أن تريا ربة كريمة رائحة أوجائية إن لم تشأ هي أن تكشف عن  
نفسها ؟ »



## أوديسيوس يروي قصته رحلة أوديسيوس إلى العالم الثاني

« وذهبنا إلى الشاطئ وأزلنا الفلك إلى الماء ، ثم أصلحنا القلاع ونشرنا الشراع ، ووضعنا القرايين على السطح ، وذرفنا من الدموع ما شاءت لنا الهموم والآلام ... وأقلعنا ... وأرسلت سيرس بين أيدينا ريحاً رخاء كانت خير معوان لنا وخير رفيق في سفرتنا الرهيبة هذه ، حتى لتركنا لها مقاليد الفلك ، وأنسَدَخْنَا<sup>(١)</sup> فوق السطح من غير ما عمل . ولم نزل تجرى بنا طول هذا اليوم ، حتى إذا أوشكت الشمس أن توارى بالحجاب ، وقارب الظلام أن يلتقي أردانه على السكون الهادي ، أشرفنا على تخوم الحجر الأعظم ، حيث تنهض مدينة السمريين التي ينعقد من فوقها دَجْنٌ<sup>(٢)</sup> كثيف وظلمات داجية ، فلا تنفذ إليها شعاعة من نور ، ولا يحيطها رسول شمس هذه الدنيا العاملة الدائبة ، التي يسطم في سماواتنا ركبها الفخيم ، فهي أبدأ في ليل متصل مد لهم ، لا تنجأ عنها غواشييه . وهنا ، ألقينا مراسينا ، وأزلنا السكبش والشاة إلى البر ، وانطلقنا فوق سيف البحر إلى حيث أمرتنا سيرس ، وتركنا يوريلاحوس بن برميد عند القربانين ، وعنيت أنا باحتفار الوهدة فجعلتها ذراعاً في ذراع ، ثم شرعت أصب تقدمات الشراب باسم الموتى ، فبدأت بمزيج اللبن والعسل

(١) انسَدَخَ : ام وفرج بين ساقيه .

(٢) السحاب العظم .

الصفى ، وأتبعته بالخر المعتقة ؛ وثلثت بالماء القراح ؛ ثم نثرت على ذلك كله دقيق الشعير ؛ وصليت من أجل الموتى ، ونذرت — إن عدت إلى إيثاكا — أن أضحي لهم بعجل جسد ذى خوار يكون أسمن وأقوى ما فى قطعانى ؛ أذبحه وأحرقه فى نار مجللة بكل ما يشوق الأشباح من أرواح وطيوب . وخصصت الكهن الطيبى ( تيرزياس ) فنذرت أن أضحي له بأحسن كباشى وأعظمها مئة ثم شمרת عن ساعدى ، وذبحت القربانين فتدفق الدم فى الوهدة ... وهنا ... أهرعت الأشباح من كل فج ، وأقبلت مهطعة كأسراب الدبى<sup>(١)</sup> ... يا للآلهة ! ! هنا ، زرافات العذارى جو عن كأس الحمام فى مبيعة الصبا ؛ وهنا ، جوع الشباب الياع كأسوف الزهر غالم عادى الردى ؛ وثمة ، عرائس سادات تسربلن سواد الحزن ، فجأتهن المايا ليلة الزفاف ؛ وهناك ، أطفال كأسام الورد لما تفتح قطعتم أيدى المنون ؛ وعن كشب ، وقفت كواكب الحاربين الذين أطخوا بالماء وجه البسيطة .. والآباء والأمهات والأجداد ... أقبوا يتدافعون نحو الوهدة صائحين صاحبين ، قاذفين فى قلوبنا الرعب ... ثم هتعت برجالى فشرعوا يحرقون القرايين ويصلون لرب هذه الدار — پلوتو — ولزوجه ، ورحت أنا أذود الأشباح الهائمة عن دم الضحايا بسيفى أضرب به ههنا وههنا ، حتى لحث روح رفيقى أليينور<sup>(٢)</sup> الذى تركناه فى أرض سيرس دون أن نقيم له شعائر الموت لما كنا بسبيله من همرم .. لحث روح رفيقى فتصدعت ، ثم ذرفت عبرات وعبرات ، وكلمته قائلا : « أليينور !

(١) الحراد .

(٢) الثمل الذى سقط من السطح هدى عنقه ( الفصل السابق ) .

يا صديقي ! كيف وصلت إلى ظلمات هذه الدار الآخرة في مثل هذه السرعة ولم تحملنا إليها سفينتنا إلا بعد لأي ؟ عمرك الله هل سبحت في الهواء ؟ أم طويت إليها الرحب ماشياً ؟ » واهمرت من عينيه دموع ودموع . ثم قال يجيبني : يا ابن ليرتيس النبيل ، المعروف في العالمين بالحكمة ودقة الفهم ، لقد أودى في السكر فسقطت من سطح سيرس فدق عنقي ، وأسرعت من ثمة على درج الظلمات إلى هيدز .. على أنني أستعطفك بكل عزيز عليك ، بفلوب ، بالفار المقدسة التي تتأجج عن قبسها حياتك ، بولدك الأوحـد تليماك أن تجمع ما تبقى من سلاحى وعقادى إذا عدت إلى سيرس ، وإنك إليها لعائد حين ترجع أذراحك من عالم هيدر ، وأن تحرق جثمانى فى نيران هذا العتاد ، ثم تصلى لى ، وتضرع إلى الآلهة من أجلى حتى أقر هنا ، وتهداً فى تلك الظلمات روحى ، وأن تغرس فوق السكومة التى تشمل رفاقى ، مجداً فى العزيز الذى عملت به فى البحر تحت إمرتك ، وفى ذرى سلطانك وقيادتك ، حتى يذكركنى فى العالم الفانى الذاكرون . ووعدته أى فاعل . ثم لم أزل أذود الأشباح عن الدماء المتدفقة . ولجأة لحث بين أرواح الموتى سبوح أمى ! أمى المحبوبة أنتكليا ابنة الشجاع أوتوليكوس ، التى تركتها يوم يمت شطر طروادة قوية ، غريصه الصبار يانة الشباب . وما وقعت عيى عليها حتى أجهشت وأجهشت ، ثم انهمرت من مقلى أحر العبرات ... ومع ما كان يعتلج به صدرى من الأسى عليها ، فقد ذبتها عن الدماء كذلك ، وبنى من الهم لتلك الفعلة ما أوهنتى وأضوانى . ثم أقبل نبي طيبة وكاهنها الجليل ، يتوكأ على عصاه الذهبية ؛ وما كاد

يحملق فيّ قليلا حتى عرفنى وحاطبنى يقول : « لم غادرت الدنيا الدائمة  
المشرقة أيهذا التعس ، وقدمت لترى هؤلاء الموتى ولتصرف فى ظلمات  
هذا العالم العبوس ؟ ! ولكن نَحْ هذا السيف قليلا حتى أجبرع من تلك  
تلك الدماء ، وإني لمحدثك حديث الصدق عما جئت من أحله » .  
وأعدت سيفي ، وانخى السكاهن فعب من الدماء ما شاء ، ثم قال لى :  
« أوديسيوس ! إنك تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك ، غير أن طريقك  
إليها محفوفة بالمكاره ، ممتلئة بالعقبات ؛ وإن لك فيها أعدوا لدودا يتأثر بك ،  
ذلك هو نپتيون الذى أسخطته بما سمات عين ولده السيكلوب (بوليفيم)  
على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ، فأبك إن كبحت جراح  
شهواتك ، أنت ومن معك ، فأنتك واصل يوماً إلى شطآن تريناشيا ،  
وتكون قد أفلت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت ثمة . فاحذر أن تمس  
قطعان رب الشمس السائمة فى الجريرة بأذى إن كنت جد حريص على  
العودة إلى بلادك سالماً ، مهما اقتحمت بعد ذلك من عُباب وعِقاب .  
فإذا مسها منكم أحد بأذى ، فويل لكم جميعاً ! إن فلـكك تفوص إلى  
الأعماق ، ويفرق رجالك أجمعون ؛ أما أنت فتنجس بعد جهد ، وتلتقطك  
سفينة عابرة وتعود بك بعد شقاء وبلاء ، وعناء أيما عناء ، إلى وطنك  
الذى ينتظرك فيه ألف ويل وويل ! ستجد قصرك المنيف محتلاً بظفمة  
أشرار من عشاق زوجك الوفية لك ، يُريغون حيرك ويذبحون شداك ،  
ويعرون بنلوب بالعطايا والرشى لتمختار من بينهم بعلاً لها . ولكنك  
ستفتقم منهم وتنتصف لما قدموا من سوء ، وستفيد جموعهم ؛ فإذا تم لك

النصر عليهم فانطلق من فورك إلى الشعب الذي لم ير البحرَ أحد من أهله ولم يذق الملح أحد منهم قط ، وليكن معك مجداف عظيم يدلك عليهم فانهم إن رأوه عجبوا من منظره ، وظنوه مذكراً مما يذرى به القمح ؛ فإذا عرفتهم فاغرس المجداف في أرضهم ، وضح للنبتيون رب البحار بعجل جسد وكبس سمين وخنزير كثير<sup>(١)</sup> ، ثم تبطل إليه وأخبت ، وانطلق إلى وطنك وضح بأحسن ما تملك من الشاء والنعم للآلهة ، وصل لكل منها واخشع ، تعش آمناً غاماً ، وتمت بعد حياة هادئة مودة قريرة ناعمة بعد حكم عادل طويل ، وشيخوخة هائلة موفورة ... هذا من أنباء الحق عرفتها لك .

وقلت له : « أنا لا أكذبك يا تيرزياس فيما كشفت لى من أنباء الغيب ؛ ولكن جعلت فداك : إني ألمح شبح أسمى جائئاً بانقرب من الدم دون أن تتعطف بكلمة واحدة على ابنها الحبيب . فن ذا الذى يشعرها أنى — أنا ابنها الأوحد — قريب منها ! » فقال : « لا أرى من ذلك يا بنى ! فإنك إن تركت أيتاً من هذه الأشباح يرشف رشفة من ذاك الدم ، فإنه يتحدث إليك بعد ، وينبئك بما تشاء » . ثم غاب شبح الكاهن فى ظلمات مملكة يوتو ، وسمرت أما مكافى أنتظر شبح أسمى ، التى ما كادت تتذوق الدم حتى عرفتني ، وانطلقت تكلمنى فى ترفق وحنان : أى بنى كيف أتيج لك الضرب فى دياجير هذه الدار الآخرة وأنت لا تزال حياً تدب على رجلحك ؟ ! ألا ما أشق هذا على بنى الموتى من أهل الدار الأولى ! إن ههنا أنهاراً من حميم يدور بعضها على بعض ، وقد تعاني

(١) بالسكسر سمين .

على شطآنها بعباب حمىء ، وبحيوط بها البحر الأعظم الذى لا تشق  
أجباله فلك ، بله قدم سائر عابر ! أواه ! لقد ذرعت البحار شرقاً ومغرباً  
فى رحلتك من اليوم ، أنت ومن معك ، ولما تصل إلى إيقاكا  
العريضة ! » وسكتت قليلا ، فسألها « الظروف القاسية وحدها يا أماه  
هى التى قادتنى الى مملكة يلو تو ، ليعرف لى الكاهن الصالح الطبي  
تير زياس ، ولقد تجشمت الأهوال النقال منذ توجهت مع أجا ممنون للقاء  
أبناء طروادة . وهأنذا منذ ذلك اليوم لم تطأ قدماى أرض وطنى ...  
ولكن ... نبئنى يا أماه أية ضربة أودت بحياتك الغالية ؟ هل سمك  
دمك أحد ؟ أم أصماك سهم من ديانا ؟ .. وحديثنى كذلك عن أى  
السند الشيخ ، وعن ولدى تليماك ، وحديثنى عن ملكى وعنادى ، هل  
غلب عليها أحد من سادات البلاد ، حين يئس الكل من عودتى ؟  
وخبرى عن زوجى ، ألا تزال تعيش مع ولدى محلاصة وفيه لى ، أم  
تزوجت من أحد أمراء هيلاس ؟ ! » وقال الشبح الكريم يجينى :  
حاشا يا بنى ! إنها لا تزال وفيه لك ، مبقية على ذكراك ، مبقية فى قصرى ،  
وإن تسكن تقضى لياليها وأيامها فى حرن ممض عليك ، ودموع جاربة  
من أجلك ، وآلام ما تنتهى لبعذك . أما أملاكك فلا تزال لك ، وما  
يفتأ ولدك بغلها باسمك ، وما يعتأ يغشى الولائم فى أهبة الأمراء ، ورؤاء  
الأمائل العظاء ! ولم يزل أبوك مقيا فى مرارعى ، عزوفاً عن المدينة  
وبهرجها ، وأرائك القصور وزرايتها ، وهو يقضى أيامه يسطلى نار المدفأة  
فى الشتاء ، قابعا على فروته الفقيرة المتواضعة ، غاراً فى أشماله ومِرَقه ، فإذا



جاء الصيف ، أو نجّاه الحريف ، اعتكف في ناحية ، وانطرح على  
 الهشيم المسّاقط من الأشجار ، وراح يعالج من الحزن عليك ، والبكاء  
 بسببك ، ما يوهيه ويضنيه ، طوال تلك السنين السوائف ؛ وهكذا  
 هلكت أنا الأخرى من طول التفجع عليك ، والتصدع من أجلك ،  
 فلا ديانا أصمت فؤادى بسهم ، ولا اعتدى على معتد ... بل الحزن وحده  
 يا أوديسيوس ، والوحشة والصنى ، وطول الوجد ، وذكراك في كل  
 حين ؛ كل أولئك يابنى اختضر عود حياتى ، وعمل إلى ما تى ا « وما  
 كادت تفرغ من حديثها حتى أزرفت<sup>(١)</sup> إليها أود لو ضممتهما إلى  
 صدرى ، بيد أنى فشلت سرّة وأخرى وثالثة ، إذ كانت تنفقل في كل  
 مرة من بين ذراعى كما ينفقل الظل . أو كما يسرى الحلم . ولم أطق على  
 ذلك صبراً فقلت لها : « لما ذا تأبين على عناقك يا أماء وقد نتداوى به  
 ما بنا من شجو ، ولو كنا هنا في مملكة يلو تو ؟ أم يا ترى أرسلت إلى  
 پرسفونيه شعباً يعبث بى ويتضاحك على ؟ » قالت : « أواه يابنى ،  
 يا أنعس بنى الموتى ! أبدأ ما حاولت ربة هيدز أن تعبث بأحد ، ولكنّها  
 طبيعة الموتى هنا ، فهم لا عضل ولا لحم ولا عظم ، ولا ما ذهبت به النار  
 بعد الموت في الدار الأولى .. بل هم أرواح تشبه الظلال أو الأحلام في  
 حفتها وسرعة انفلاتها ... ولكن هلم فعد أدراجك إلى النور ... فلقد  
 جاءك من الحق ما هو حسبك » . ثم همهمت حولي أشباح العذارى  
 والأرواح من بنات هيدز ، سعين من عند پرسفونيه ، فامتشتت سيفى ،

(١) لم نشأ أن نعمل أحداث أوديسيوس مع بات هيدز كما فعل بعض مترجمي هومر. بل أكدنا إثباتها كما هي ، ونحن نعمل القارئ عن اللام لأن الأوزمة أعلى من أن تل -

(٢) حذونا هنا الأسماء مؤقتاً

جوف — كبير آلهة الأولب — من هوى وصباة وجب ، وأنها أنجبت له ولديه العظيمين أمفيون وريتوس منشيء طيبة العظيمة ذات القلاع والتلاع والأبواب السمعة ... ولقيت بعدها ألكمينة ابنة أمفثريون حبيبة جوف ، وأم هرقل الحديدى الجبار ... ولقد ذكرت لى أنها تزوجت من كريون بعد ، وأنجبت له ابنته ميجارا ، زوجة ابن أمفثريون ... ؛ ؛ .. ولقيت الحسناء أليكاست<sup>(١)</sup> أم أديوس الملك التاسع ، الذى تزوجها وهو لا يدرى أنها أمه بعد أن ذبح أباه ، فصبت عليه السماء سياط عذابها ، وذهب على وجهه فى الأرض حيران ؛ أما أمه فقد سبقت روحها إلى هيدز بعد إذ شنقت نفسها فى سقف بيتها ؛ تاركة ولدها لربات العذاب يسمنه الخسف ويحرقه الأوصاب ... ولقيت الغادة الحسنان حلوريس التى هام بها نليوس ونتر تحت قدميها هداياه ، فأسلست له ورزق منها أبناءه الثلاثة نسطور وخروم وبركل ، الميامين ذوى المجد ... ثم كلمتني ليذا روجة تندار ، أم كاستور الصديد وبوللكس الملاكم العتيد ، إنهما ينعمان بنعمة زيوس أنى الآلهة ، هما يتبادلان الموت والحياة ، سنة فسنة<sup>(٢)</sup> ، وفاء منهما ومحبة وإعزازاً ... ؛ ... ثم رأيت إفيمديا الحبيبة التى نفرت بهيام نبتيون التى أنجبت له طفليه الجميلين أوتوس وإفالت اللذين بزا بحماهما كل من دب على وجهه الأرض ، باستثناء أوريون ... يالهما من طفلين ! ! لقد شبا نيران الحرب

---

(١) وردت عنهما أسطورة رائعة سُمّنها قريباً فى الجزء الثانى من كتابه أساطير الحب والجمال عند الاغريق .  
(٢) چوكستا

على آلهة السماء وحاولا رفع أوسا إلى قمة الاولمب فجعلها يايون على أوسا  
ركاما ، وقد أوشكا أن يفلحا لولا أن ذبحهما نريوس وولده أبولوايكونا  
عبرة لغيرهما ... فيا للموت ! هذا المعتدى على سبابهما الغض ، فأذبل  
الحدود وأذوى الورود !

ورأيت بعد ذلك فيدرا ، ولقيت آريادن المفتان وبروسير اللعوب ،  
أما آريادن فقد حملها ثيديوس من كريت إلى مراديس أثينا ... ولكن  
وأسفاه ! إنها ما تمتعت ثمة لاقليلا ولا كثيرا ، فقد أصمتها ديانا الغادرة  
بسهامها ، وشهد فعلتها المنكرة باخوس العظيم ... في ديا  
ورأيت ميلا ... وكليمنيه ... وإريفيل التعاسة التي قبلت أن  
تنال ثمن روح زوجها من الذهب

والآن ! ! وقد أوشك الليل أن يلقي علينا طيلسانه فما أحسنى  
أستطيع أن أحصى زوجات الأبطال العظام وبناتهم اللاتي لقيت في  
هيدز ، فأرجو لو أمر الملك فانطلقت لأستريح في سفينتي ... أو هنا إن  
أذن .. وكلى ثقة فيكم ، وإيمان بالآلهة ، أنكم ستدبرون أمر إبحاري  
إلى وطني حتى الصباح ...

\*\*\*

وسكت أودسيوس ، وصمت الجمع المحتشد في الردهة الملكية فسكأن  
على رؤوسهم الطير من روعة ما حدث ، حتى نهضت أريتا الملكة ،  
ذات الذراعين العاجيتين ، فقالت : « أيها الفياشيون كيف أتم وهذا  
المهاجر النبيل الذي رادته الآلهة بسطة في العقل والجسم ، وأضفت عليه

هذا البهاء وذاك الرواء ؟ إنه ضيفي ، بيد أنكم تشركونني في صيافته  
والاحتفاء به ، خليفكم بهم ألا تسرحوه على عجل كما يجب ، بل حري بكم  
أن تستبقوه أياماً حتى تخلعوا عليه ، وتقدموا له أطراف الهدايا وأعرس الآلهى ،  
وتقيّموا عليه مما حبتكم السماء ، فكللكم غنى جم الغناء ، ترى واسع  
الثراء . وتكلم البطل إحنيسوس ، أكبر أمراء فياشيا وأقدمهم ذكراً  
فقال : « إن مليكتكم ذات المجد والكبرياء يا أصدقاء ، لا تبدى رغبة  
نفس ، بل هي تصدر عن إرادة عالية وأمر سنى ، فخذوا لو أصحتم  
وصدعتم .. على أن كل شيء هو رهين بمشيئة الملك ، فليز إذن رأيته .  
وقال الملك : « إني أوافق على ما رأت الملكة ، زهرة فياشيا وسيدة  
البحار ؛ ليق الضيف إلى غد إذن ، برغم ما يحذوه من الشوق إلى بلاده ،  
حتى أسبغ عليه ، وأدبر أمر عودته التي يُعنى بها الجميع » وكأما صادف  
مقال الملك هوى فى فؤاد أودسيوس فنهض وقال : « ألكينوس ! يا ملك  
فياشيا العظيم ! بودى لو بقيت هنا عاماً بأكمله لتيتم الملك نعمته على ،  
وليدبر أمر عودتي سالماً إلى أرض الوطن .. فما أجمل أن أعود بالعطايا  
والهدايا والنعم ، لأملأ عيون مواطنى ، ولأكسب احترامهم وأنال محبتهم  
بعد طول النأى وفدح البعاد » .

فأجابه الملك : « لله ما أروع ما حدثت يا أودسيوس ! ويكأما  
حدثت بلسان ساحر عليم يهرج القصص ويوشى الأخبار ، ويروى  
ويروى ، فى زكاة وفطنة وحذق وترتيب ! ؟ أبداً ما حملت هذه  
الأرض ألبّ منك ولا ألبقى فى رواية وتحدّث ؛ وأبداً ما تسكبت

الموسيقى والنعم الحلو من لسان كلسانك القرب الحبيب ! ولكن ماذا  
عندك من أخبار الأبطال الإغريق ، الصيد الصنايد ، الذادة المذاويد ؟  
حدث يا أوديسيوس ! قل ، قص علينا أخبارهم ! رأيت أحداً ممن شهد  
معك وقائع طروادة ؟ إن الليل لا يزال في مهبوان يا صاح ، وما بأعيننا  
من سمة ففأوى إلى فراشنا في مثل تلك الساعة ؛ هلم فحدثنا ، فبنا من  
حديثك شغف ، وكلنا إليه شوق ، ولو حدثت حتى مطلع العجر ، إن لم  
ينل منك وصب أو يُعَمِّك ملال .

وقال أوديسيوس : « بورك سيد فياتيا الملك ألكيموس ! لا يزال  
في الوقت متسع للحديث وللنوم معاً ، وإن شئت حدثتك طائفة من  
الأحاديث عن أبطال الإغريق سواء منهم من ثوى تحت أسوار طروادة ومن  
أملت من الموت ثمة فترصده المنايا في أرض وطنه صبيهاً من كف زوجه  
الأنيم الزنيم ! إليك إذن ... وحينما هتفت يرسموني — ربة هيدز —  
بأشباح العذارى وأرواح الحسان فتكيبكن والشنين عني إلى ظلمات  
دار العناء ، بدا لي طيف أجائمنون — ابن أتريوس — ومن حوله كوكبة  
من أشماس الدين قتلوا معه في داره بيد إيجستوس . أهرع إلى الدماء  
فرشف منها رشقات ، ثم نهص فعرفى ، وكأما شاعت فيه رعدة من  
الدهشة والذعر ، وتحدرت دموعه الحرار السخينة فوق حديه ، ثم مد إلى  
ذراعيه يود لو عانقني ، ولكن ... وا أسفاه ! وهل يعانق الشبح إنسياً ؟!  
ونال مني الحزن فبكيت من هذا المنظر الفادح الأليم ، وقلت أكله في  
أسلوب بأس وعبارة بأكية : « ويحك يا ابن أتريوس يا ملك الدنيا العظيم

ماذا جرّك كأس المنيا ؟ خبرني ! هل جرّعتهم ، في قرار اليم مغرقاً بيد  
ببتيون أم فوق ظهر الأرض حين كنت تسوق قطعانك ، أم قتلت وأنت  
تحارب من أجل نبات أخيا إذ هن محاصرات حلف أسوار مدينتهن ؟! »  
فقال يجيني : « أودسيوس الزعيم النبيل ، يا ابن إيريس الحكيم أبدأ  
ما كنت مغرقاً بيد نبتيون ، ولا فوق ظهر الأرض في حومة حرب ربون ،  
بل دبّحتي اللثيم إيجستوس بعد أن در غيلتي مع زوجتي الآثمة ، حين  
ملق<sup>(١)</sup> لي وبالع جهده في الاحتمال لي ، ثم دبّحتي كما يدبح الثور في مدوده  
وكر على رجالي فذبحهم كما تذبح الخنازير لولية في عرس أو في حمل لزعيم  
عظيم . أوه أودسيوس ! لا جرم أنك قد شهدت ألف معركة ومعركة  
جندلت فيها أبطالاً وراء أبطال ، بيد أنها جميعاً لم تك شيئاً في ذلك  
الحديث الرهيب ! لقد هويينا نتخبط في دماننا التي قسرت الأرض ،  
تحت أخاوين<sup>(٢)</sup> حافلة بأطيب الآكال وأشهى الأشربات . ثم ..  
حلجات في أدني الصرخة الرهيبة ، صرخة ابنة بريام ، فكانت ما أروع  
وما أفدح ! لقد انبطحت على الأرض إلى جانب كاسندرا ، قتيلة بيد  
زوجتي كليتمسترا .. ومع ذلك لم أفقد الأمل يا صديقي بل حاولت أن  
أمتشق جرازي ، لكن الخائفة انسحبت كالأمي ، ولم تعبأ بي ، بل لم  
تشأ أن تغمض عيني ، أو تسند ذقني ، في اللحظة التي أوشكت أن أطرق  
فيها أبواب هيدز ؟ ! ويلاه ! وويلي على المرأة التي طاوعتها يداها فأنت  
هذا المذكر ، وارتكبت إنهم قتل زوجها ورفيق صباها ! !

(١) ملق فلاناً وملق له تودد .

(٢) أخاوين وخرن وأخونة ، جمع خوان موائد الطعام

أقد حسبت حين عدت أدراجى أننى سأفيل بالأهل وبالسهل ، من  
أبنائى وأهلى وحاشيتى ، ولكنها ... العاجرة الغادرة ، التى نزت  
بفجورها كل صنوف العجور ، قد سحبت على نفسها أذيال العار والحزى ،  
بل هى قد سحبت أذيال العار والحزى على كل أنثى لم ترالنور بعد ، وعلى  
كل الصالحات الطيبات من بنات جنسها .

وسكت أجاسمون ، فقلت بدورى : « ياسماء ! ! ما أقسى ما قصت  
يد ريوس على بيت أتريوس ، منذ البدء ! كله من الأنثى دائما ! لقد  
قتلنا فى غير رحمة ولا رفق من أجل هيلين<sup>(١)</sup> ؛ وتدبر لك كليتمسترا  
تلك العلة بينما أنت نازح بعيد عن ديارك ! ! »

قال : « من أجل ذلك أوصيك ألا تلين عريكتك لامرأة قط ،  
وإلا تجعلها موضع شرك وعمل ثقتك ، بل إن أسرت لها بشيء ، فخبئ  
عنها أسياء ، هذا وإن تسكن زوجك وفيه خالصة لك ، لا يخشى عليك  
منها رفق ، ولا غدر كهذا الغدر ، لأنها ابنة إيكاريوس وحسب ، ذات  
الحصافة واللب ، لقد غادرناها ولما نزل عروسا يوم غادرناها إلى اليوم ،  
وعلى صدرها الوفى ولدك الحبيب ، الذى شب ليحمل اسمك ، ويعلى فى  
الخاقين ذكرك ، والذى ينتظرك لهفان ليضمك إلى صدره يوم  
تعود إلى إيشاكا .. وإنك إلى إيشاكا لعائد ، وبذا  
قضت الآلهة ... أما أنا فوا أسفًا ، على أورست ، ولدى  
المسكين ، الذى قتلتنى الغادرة قبل أن أتزود منه نظرة ! اسمع يا أوديسيوس ،

---

(١) التى فر بها باريس وكانت سببا فى حروب ماروادة



إصنع إلى ، إني سأنى عليك من كنوز خبرتى وتجاريبي ، عليك بالسر  
 فى أوتك إلى وطنك . واستعن على رحلتك بالكتمان لأنه لاثقة فى  
 امرأة بعد اليوم<sup>(١)</sup> ... ولكن اصدقنى ربك ، أين يأوى ولدى الآن ؟  
 هل يقيم فى بيلوس ؟ أم يشوى فى أرخومينوس ؟ أم هو يستدرى بذري  
 جدته ، أمى الحبيبة ، فى قصرها المنيف بأسبرطة ؟ إنه لا يزال حياً يرزق ،  
 ولم يأو بعد إلى دار الظلال هيدز . واعتذر إليه أنى لا أعلم إذا كان  
 حياً يرزق أو أنه غدا من أشباح هيدز . وظللنا نتحدث شجون الحديث ،  
 ونذرف الدموع على كل ذكرى حتى وافى شبح أخيل البطل ، ابن بليوس  
 العتيد ، وفى إثره سمح ترّبه بتركوس العظيم وبمقرّة منسه طيف  
 أنقيلوخوس يتدهدى مع طيف البطل المغوار أجاكس الذى امتاز ببسطة  
 الجيهم وجبروت المظهر على الجميع ما عدا بيليدس وحده ... وعرفنى شبح  
 العداء الكبير إياسيدس<sup>(٢)</sup> فقال يخاطبني فى خفة وظرف : « أودسيوس  
 يارجل الدهاء والخدع أى تدبير ليست فيه تدايرك الماضيه وحيلك السوائف  
 شيئاً ما ، أنى بك إلى هذه الدار ؟ أضيف أنت ؟ أم هو طيشك وقلة مبالاتك  
 جملاك تضرب فى دياجير هيدز ؟ هيدز الرهيبة بيت الأرواح والظلال  
 والأشباح ؟ » فقلت : « أخيل ! يا ابن بليوس العظيم ، يا أشجع أبناء  
 أخايا قاطبة ، لقد سمعت إلى هنا لألقى السكاهن الطيبي تيرزياس ليعرف  
 كيف أصل إلى شطئان إيثاكا الصخرية ، لأنى عييت بالزوابع والعواصف  
 فى عرض اليم ، فما استطعت أن أصل إلى أخايا أو أن أرسو فى بلادى ...

(١) وهكذا عاد فاستمسك برأيه فى النساء حتى فى بلوب

(٢) قد يكون أخيل .

إني أغبطك يا أخیل من أعماقی ! فلقد عشت فی هباء وعز ، و تَجَلَّكَ  
الناس كأحد آلهتهم ، وها أنت ذا تحكم هنا وتفهی وتأسر على جمیع هؤلاء  
الموتی ، فما أجدرک ألا تأسی لأنك مت هذه الموتة فی الدار الأولى »  
وأجابنی على الفور : « أودسیوس ذا الذکر ، لا تخالّن عزاء یخفف من  
وطأة الموت ! لقد كنت أوثر لو أعیش فی الدنيا كأحقّر الأحرار الأذلاء ،  
وأتبلغ بلقعات قليلات لا تقيم أود الشیخ الفانی ، على أن أقیم هنا مُمْتَلِكا  
فی جمیع هذه الأشباح والتهابیل ! ! ولكن تعال ! هلم فحدثنی عن ولدی  
الحبيب ، هل وصل ما انقطع من حیاتی الحریة ، أم هجر السیف وطلق  
المعصاة ؟ وحدثنی عن أخی پلیوس الکریم ، ألا يزال یتمتع باحترام  
الناس وتبجیلهم وحب المیرمیدون<sup>(١)</sup> وفدائهم ، أم تجرد من الأبهة ونزل  
على حکم الشیب والکبر ، والأیام التي أوھنت عظامه ؟ أو اه یا أبتاه !  
لئس لك الیوم أخیل كان ینشر الرعب فی جنبات طروادة ؟ أو اه لو وسعنی  
أن أعود إلیک لحظة ، إذن لقمسرت الناس على الخضوع لك ، ولأرغمت  
کل جبار عصی على تملیقك وذل العبودیة لك ، بدل الثورة بك ، وقلة  
الاحتفال بشیخوختك » . وقلت أجیبه : « أنا لا علم لی بما كان من أمر  
پلیوس أبیک ، ولكنی ذاكر لك ما تراجى إلی من أخبار ولدك  
نیوپتلموس لأنی حملته على سـفـنائی من سکیروس إلى الجیوش  
الحاشدة من أخایا ؛ ولقد كنّا یجتمع للشورى<sup>(٢)</sup> تحت أسوار الیوم فما  
كان یتكلم إلا لماماً ، وما كان ینطق عن الهوى إذا فعل ، وإذا

(١) جنود أخیل فی حروب طروادة

(٢) یحسن الفاری أن یذكر أن أخیل قتل قبل سقوط طروادة .

استثنينا نسطور . و... وأنا... فما كان أحد ينهض إلى مقامه ، أو يقارن به من جميع الأبطال الإغريق .. وكنا نسكر حول طروادة ونفر ، فما أعرف أن أحداً كان أجراً منه كراً ولا أحقق فسرّاً ... ولقد جندل من أبناء طروادة الصناديد أقراناً وفرساناً حتى ما أستطيع سرد أسمائهم جميعاً ، بيد أنني أذكر فيمن أذكر منهم يوريبيلوس بن تلفوس البطل الذي أغرى (پريام) نساءه بالرشى ليقنعنه بخوض غمار الحرب إلى جانب الطرواديين ، فما زلن به حتى خاضها هو وجنوده السيتيون ... لله ما كان أجل وما كان أروع !! أبدا ما رأيت زعيماً ولا سيد قوم ، باستثناء ممنون ، أبهى منه ولا أصفى جمالا ! وما أنس لا أنس يوم حصان إيبوس الخشبي ، يوم قمت أنتخير الصناديد المذاويذ من أبناء هيلاس ليكونوا معي داخله . وكنت على أن أظل عند بابي السري لأرى في فتحه أو إغلاقه ما أرى ... لا أنس ما كان من هلع أبطالنا وذعرهم وذهاب نفوسهم وتحدردموعهم من هذه المهمة رعباً وفراقاً ؛ أما ولدك ، فيأما كان أشجع ، ويأما كان أربط حاشاً !! إن عبرة واحدة لم تنسرق من عينيه ، بل إنه كان يحثني ويحرص جد الحرص على أن أحثاره ، حتى إذا فعلت تقدم متبخترًا يجر رحله الظلمي ، وينبلي صدره بنار الانتقام يود لو يصها على طروادة وأبنائها جميعاً !! وما إن فُتحت علينا ، وأبنا منها بالغنائم والأسلاب والسبي حتى نظرت إليه قبل أن يبحر فما وجدته يشكو رميَّة ، ولا يئن من جرح ، ولا أثر في جسمه لحدش مما تصنع الحرب ، وما تسجل فعال مارس .

وزُهي أحييل من كثرة ما أثبتت على ولده فراح يتخايل ويدل  
وسط شجر البرواق<sup>(١)</sup> ... وكانت جموع من أشباح الموتى تملأ  
الرحب ، وقد جلس كلٌّ أو هام على وجهه يبكي ويشكو بشه لغير سميع ،  
وقد رأيت بينهم شبح صديق التيلاموني — أجاكس — وكان يحادثني  
في الفينة بعد الفينة ، ولكنه لم يشأ أن يكلمني ! ! آه ! إنه لا يزال ينقم  
على ما سجر بيني وبينه من نزاع على عُدّة أحييل ( بعد مقتله ) ، وما  
كان من طلب ذيتيس<sup>(٢)</sup> ألا يلبس دروع ولدها سوى ، ثم ما كان من  
تأييد مينرفا للأم الرؤوم فيما طلبت . لقد كان انتصار آلى ، كم كنت أوثر  
ألا يكون ، لأنه كان فيما يبدو سبب مقتل أجاكس المغوار ، الذي لم  
يكن فيما من هو أشجع منه إلا أخيل نفسه .. ولقد وجهت إليه أليين  
الخطاب لأفل من سورة غضبه . فقلت له : « أيها العزيز أجاكس ،  
يا ابن تيلامون المجيد ، أما تستطيع أن تغضى ، وأنت في الدار الآخرة ،  
عما شجر بيننا بسبب هذه العدة المشنومة ؟ اعنتها الآلهة من عدة كتبت  
فوقها صحيفة موتك ، نحسرنّا فيك أشجع فرساننا وأعظم مقاتليننا ! إنا  
ما نفتأ نبكيك ونشكورُزُأنا فيك ، ونعد فقدك كلفقدنا أخيل نفسه !  
ولكن لا تثرِب على أحد قط ، فجوف ، كبير الآلهة ، الذي ما ينفك  
يصب اعنته على جيوش آخايا ، هو الذي قضى عليك بالموت . أيها  
البطل هلم نحوى كيما نسمع إلى الكلم الطيب الذي أجهد أن أترضاك به ؛

(١) شجر كان يزرعه اليونانيون على قبور موتاهم وقد ذكره الفيروزبادي

(٢) أم أخيل وهي إحدى مراتس الماء .

اتخمد جذوة الغضب على في نفسك ، ولنحسم ما بيننا من حصاد ! «  
 بيد أنه ما حرك شفتيه ، بل لوى عنانه وانخرط في جماهير الأسباح الهائمة  
 وترك الرغبة الملحة المشتعلة في صدرى شوقاً إلى تكليمه تنطفئ .  
 رويداً ... فقلبت نظري في الأرواح القريبة عسى أن أعرف منها أحداً  
 فاتحدت إليه ، فلمحت بينها مينوس سليل جوف الأكبر ، وكان يجلس  
 على عرش ممرد للقضاء بين الموتى ، وفي يمينه صولجانه الذهبي الثمين ،  
 ومن حوله زفت جموع سكان هيدز ، فمنهم الواقف ومنهم الجالس ،  
 ومنهم المنتصب يشرح للقاضى شكواه ، ويثنه بلواه ، بينما قد أهطعت  
 الرؤوس والمحبست النفوس ، وتكأ كأت الموتى عند البوابات الكبيرة  
 الهائلة تنتظر دورها ... ثم راعنى أن أرى بين تلك الجموع أوريون  
 الجبار يسوق قطعانه التى ذبحها بيديه فى الدار الأولى ، وهو يرعاها على  
 أوراق البرواق . ورأيت فيمن رأيت تيتوس الجبار ، سليل هذه  
 الغبراء ، وقد كان منبطحاً على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أفدنة ؛  
 وعلى كل من جنبه أفعوان هائل أرقم يتغذى بمصغ من كبده الكبير  
 الدامى ، وينغب من أحشائه الغلاظ ، جزاء بما حاول أن يستذل  
 لانونا اللعوب الطروب ، عشيقة جوف سيد أولمپ ، التى فرت من  
 وجهه فى بطائح بيتو إلى فراديس نانوبيوس . ثم رأيت تانتالوس فى  
 ضعف من العذاب ! رأيت يتخبط فى عين حمئة من حميم ، وقد غاص  
 فيها إلى ذقنه ، والموج يضرب وجهه ويسفغه ، وهو مع ذاك يلهث من  
 الظمأ ، لا يجد ما يبل به غلته ، أو يطفىء جواده وصداه ! فهو إن حنى .

رأسه غمرته الحُلم ، وإذا رفع جسمه كزّت الأرض على قدميه بأسررها  
فهو في عذاب مقيم ... والله أشجار الفاكهة دانية قطوفها فوق رأسه ،  
من رمان حلو وتفاح عطري ، وتين معسول وزيتون ، كلما اشتهى أن  
يقطف ثمرة وكاد ، هبت الرياح عاتيةً فذهبت الغصون عاليةً في  
السحاب !! . ثم رأيت سيسفوس ذا الأنياب يضئ ويشقى ويتعذب ؛  
يدفع أمامه حجراً جاموداً عظيماً فيجعله في رأس جبل ، حتى إذا انتهى  
إليه عاضت الأرض من تحته بقوة حفية فكانت بئراً عميقة ، يهوى  
الحجر من عليّ ، فيعود السكين إلى نصيبه عوداً ... على بدء ، ويتحدر  
عرقه على جسمه العظيم ، ويتبخر من رأسه كأما ينقذف من بركان ...  
ثم شهدت هرقل الحديدي القوى الجبار ... شبحة فقط ، لأنه هو قد  
منح بركة الآلهة وحلودها ، فهو أبداً يحضر ولأئها في شعاف الأولمب ...  
شهدته يحتصن ابنةً جوف الجميلة المفتان ، هيب ، ذات التقديم  
الناصعتين ، والنعلين الذهبيتين ؛ رأيته وأشباح الموقى ترف من حوله  
صافات كالطير ، ثم يقبض ... وراعى أن أراه عابساً كالحاكم كقطعة  
من الظلام ، وقد حلق عينيّه في الأرض وفي يديه قوسه وسهامه يوشك  
أن يرميها ، وعلى وسطه حزامه الرائع المموه بالذهب ، وقد نقش عليه  
صور مئآت من الدببة والذئابان والسباع ، ينقذ الشرر من عيونها ،  
دائبةً في عواء وزئير وتقاتل ونهش ، صنعةٌ معجزةٌ لم يقدر على مثلها  
أحد من قبل ولا من بعد ... وما كاد يتبينني حتى عرفني ، وظل يقلب  
في عينيّه السادرتين ، ثم قال لي : « آه يا ابن ليرتيس النبيل ذا الجِد

ما أتعسك !! ما أظنك إلا معنياً ببعض الحارفات التي كمت أسف  
 بها في حياتكم الدنيا .. ها أنت ذا ترى هنا ، في ظلمات هيدز ، عبداً  
 رقيقاً لإله أحقر مى شأناً وأقل قدراً ، لأننى وأنا ابن جوف الأعظم ، قد  
 كتب على أن أشقى هنا لأصل آلام الحياة ولأواءها .. أتصدق أنه  
 يأسرنى أحياناً أن أسوق كلمه ، مع ما فى هذا الأمر من سخرية  
 وتحقير ؟ ولكنى لن أنسى أنى جذبته من مملكته هيدز إلى نور الحياة  
 الدنيا بمساعدة أحمى هرمز ، وبمعونة مينرفا ذات العينين الزر حديتين «  
 ثم هام على وجهه في ظلمات مملكة بلوتو ... ثم تلبثت أنا مكانى راجياً  
 أن ألقى غير من لقيت من أرواح الأبطال الذين عرقهم في الدار الأولى ،  
 أولئك العظماء ذوي العزة والمجد ... وكم وددت أن أرى بيريثوس  
 وثيديوس سليلي الآلهة ... بيد أن جموع الموتى الحاشدة التي أقبلت  
 تصرخ قدفت الرعب في قلبي وخفت أكثر أن ترسل پرسفونيه ملكة  
 هيدز ، رأس الجرحون من ظلمات هيدز فتفعل بي الأفاعيل ... فأثرت  
 أن أسرع إلى مركبى ، وأمرت الملاحين فأقلعوا ، وجلسوا على الظهر ،  
 وحملنا تيار سريع عبر البحر المحيط بعد أن أعملنا المجاذيف وقتاً غير طويل



## نم قصه اوديس

### ١ - السيرينات المغنيات

### ٢ - سكيللا الهولة

« والآن ، وقد احتملنا العباب ذو الشبج ، وذرعنا اليم المتراحي ، وعمتنا نضرب في موج كالجبال ، فقد وصلنا بعد لأى إلى جزيرة إيايا المرجانية حيث ترتع أورورا ابنة الفجر الوردية وتلعب ، وحيث مطلع الشمس وراء البحر المضطرب .. وأقمنا مراسيدنا ، وتلبثنا فوق رمال الشاطئ رقب انبلاج الفجر ، حتى إذا لاحت تباشيره أرسلت طائفة من رجالى إلى قصر سيرس فأحضر احثان إلينور (الدى خر من السطح فذق عنقه ) ثم إننا بكيناه أحر البكاء ، وجعنا له من الحطب والخشب ما وسعنا ، وطرحناه وسط الكومة التى صنعناها من هذا الوقود ، وطرحنا معه سلاحه ، وأقمنا إلى جانبه مجداه العظيم ؛ ثم أدينا له الشعائر الجنائزية التى أرويفها بأزكى دموعنا ، وأشعلنا الميران بعد إذ أقننا نصباً جليلاً ، تحية وذكري . ولم نعلم بعود تناسيرس ؛ بيد أنها مع ذاك أقبلت فى رهب من وصيقاتها الحسان الأتراب يتهادين نحونا ، حاملات دنائنا من أكرم الخمر ... ووقفت بيننا العروس الهيفاء ثم قالت : « ويحكم أيها الأشقياء كيف حلاً لكم أن تموتوا مرتين بينما يموت



جميع الناس مرة واحدة ؟ واسكن تعالوا ، هلموا إلى طعامكم ، ونحسوا  
من هذه الحمر لتقصوا يومكم فوق رمال الشاطئ في شراب وآكال ،  
فإنكم ضاربون في ظلمات ذلك البحر فجّر غت . وإني منبثتكم عما يروكم  
في طريقكم عسى ألا تصل بكم . ويا ما أكثر ما تتجشمون من أهوال في  
البر والبحر ! ولينا دعوة الربة المضياف ، فأقبلنا على طعام شهى وشراب  
رَوِي طيلة يومنا ، حتى إذا توارت ذُكاه بالحجاب ، وشملنا ظلام الليل ،  
تطرح رجالى فوق الرمال الفاتمة ، ثم انتحيت أنا وسيرس فاحية ،  
وجلست قبالتها ، وراحت هى تحدثنى وتقول : « أما وقد أوشكت  
متاعبك أن تنتهى ، فاصغ إلى ؛ إفقه ما أقوله لك وتدبره ، فهو وحى  
يوحى إليك من السماء ينفعك إذا جد بك الجد ، وأزفت حولك الآزفة ...  
ستصل أول ما تصل في رحلتك عبر هذا البحر إلى جزيرة السيرينات  
الشاديات اللاتى يسحرن بغنائهن القلوب ، ويخلبن بمجرسهن الألباب ،  
ويطبين<sup>(١)</sup> كل من أوصله سوء حظه إلى جزيرتهن بحلو تطريهن وجميل  
شدوهن حتى ليلصق بأرضهن وينسى آله وأوطانه ، ولا يخطر فى باله أن  
يعود إلى بلاده لهنأ بقاء زوجه الحبيبة وأولاده الأعزاء ، بل يجمد  
مكانه من الشاطئ حيث يكون بسمع من السيرينات ، وتكون عن  
يمينه وعن شماله رفات الضحايا الكثيرين الذين عرجوا من قبل ليشنفوا  
آذانهم بغناء أولئك العذارى فحمدوا مثله ، وذهلوا عن أنفسهم حتى  
ذووا ، وذبلوا وضووا ، وحاق بهم الفناء ، بينما يخطر السيرينات بين شجر

(١) لطى القوم ملأنا حالوه وقتلوه .

البوراق متهاديات فوق السندس الحلو الجميل .. فأوصيك أن تُفرغ  
 في آذان رجالك من سائل الشمع قبيل أن تبلغ أرضهم ، فإنهم بذلك  
 لا يسمعون صدوهن ولا يسجرون بغنائهن . أما أنت ، فلك أن تنصت  
 إلى ذاك الغناء إن شئت ؛ بيد أنه ينبغي أن يشد رجالك وثاقلك في قلع  
 سفينتك شداً قوياً محكما ، فيربطوا ذراعيك وساقيك بأمراس وأحبال ،  
 حتى لا يسبيك ما يُششف أذنيك من غناء وشدو فلا ترضى إلا أن تنوى  
 بأرض السيرينات ؛ فإذا اشتد بك الوجد من سحر ما تسمع وطلبت إلى  
 رجالك أن يخلوا عنك لزم أن يزيدوا في رباطك ويحكموا وثاقلك أضعاف  
 ما فعلوا بك من قبل ... فإذا مُجِزْتُم تلك الجزيرة وغابت مناظرها عن  
 أبصاركم ، فلرجالك أن يطلقوا سراحك .. على أنني لا أدرى أى السبل  
 ينبغي أن تسلكوا بعد هذا ، فهناك طريقان أحلاهما مر ، وأيسرهما  
 عناء وضرر ، وإني واصفة لك كليهما ، وأدع لذكائك أن يختار لك ...  
 إنسكم بالغون في سبيلكم إلى صخور هائلة نائمة في البحر ، تنكسر فوقها  
 أواذيه ، وترتطم بجلاميدها أمواجه ، وتدافعه على أحيادها أمفِترت  
 ( زوجة نبتيون ) الجبار . وقد أطلق الآلهة على هذه الصخور اسم  
 ( إبراتيك ) وهي قِلال موحشة لا يستطيع مخلوق أن يقترب منها ، ولا  
 يحسر الطير أن يهبط فيها ، بل طير أبينا چوف نفسه الذي يحمل إليه  
 غذاء الإلهي للقدس ، لم يجازف مرة فخط فيها يستجم من سفر ؛ لما  
 يعلم من أنها مهلكة زَلَقَةٌ . ولم ترس عندها سفينة قط إلا ارتطمت فوق  
 نتونها وهوت إلى القاع بما حملت ، أو ابتلعها العواصف الهوج فغابت

حيث لا يدري أحد . ولا يعرف أحد سمية جازت مهالك هذه الصخور  
إلا السمية ( أرجو ) التي حاطتها جيو<sup>(١)</sup> برهايتها رحمة بجاسون وحمائنا  
من لدن سيدة الأوب ، حين أفلعت من جزيرة إيايا ؛ وقوام تلك  
الصخور هضبتان شامختان شاهقتان ، تمثل إحداهما صنما هولة ضخما  
يضرب في السماء رَوْقَيْهِ وتتراكم فوقه منذ الأزل ثقال السحاب التي  
لا يذبحها حريف ولا صيف ، لأن الشمس لم تنشر عليها أتعنتها قط ...  
ولو أن أحداً من العالمين له عشرون يداً وعشرون رجلاً ما استطاع أن  
يرقى عليها أبداً ، لأنها ملساء ناعمة كأما صقلتها يدا متال صناع .. وإن  
في سندو الغري السكهاً سحيقاً نقر ثمة باسم إريوس<sup>(٢)</sup> ، وإني لأحذرك  
أن تقترب منه حين تجوز به يا أوديسيوس ، بل كن منجوة منه ، بعيداً  
بقدر ما تستطيع ، أو على الأمل على مرمى سهم مراش من سمينتك إلى  
وصيده ؛ ذلك لأنه مأوى سكيللا الخفيفة التي تدوَّى بصوتها وعوائها ،  
ويُفرق الناس والآلهة من وحها المسكلم القبيح ؛ وحسبك أن تعلم أن  
لها اثنتي عشرة قدماً كلها أمامية ، وأن لها ستة أعناق طوال ينتهي كل  
منها برأس كبير فظيع ، سلاح ثلاثة صفوف من أنياب حداد أصلها نابت  
وحشوها سم زعاف وهي ترض في غور كهفها السحيق ، بينما أروؤسها  
بارزة من فوهة الكهف تبحث في الماء عن الدلافن وكلاب البحر  
ودواب الماء وجميع حيوان مملكة امفريت ... وليس يجسر بحار أن يفخر بأنه  
نجا مرة من شرها فهي تنقص كالصاعقة على السفينة العائرة ، وتلتقم

---

(١) هي حيرا روج ريوس كبير الآلهة .

(٢) إله الطلاء الذي تروح من أمه ( ليله ) .

بأفواهما الستة الجائعة ستة من بحارتها مرة واحدة تقصصهم قضا ... وتلقاء هذه الهضبة ، هضبة أخرى على مرمى سهم يا أوديسيوس ، وقد نمت فوقها تيمة برية كبيرة ذات أفنان وعساليح حانيات فوق الماء ، وتحته عين خاريديس الحثة التي يغض فيها ماء البحر كله ثم تعود فتمجبه ثلاث مرات في اليوم . ويك أوديسيوس ! حذوا حذرکم ! فوالله إنكم إن دوتم منها فإنها تبتلعكم ، ولا يستطيع نسيون نفسه بعد ذلك أن ينجيكم وإني أرى أن تدوا من الصخرة الأولى فتلتقم سكيللا ستة منكم ، وهو خير لكم من أن تفرقوا جميعاً » وسكتت سيرس ، وقلت أسألها : « بحق الآلهة عليك ياربة أن تخبرى : أما أستطيع أن أنقذ رجالى المساكين من سكيللا إذا نجونا من خاريديس ؟ » فقالت تجيبني : « أيها القوس ، أما تفتأ نحن إلى مجازفات الحرب وخوض غمار الوغى ؟ إيه لا سلطان للآلهة نفسها على سكيللا ، وهى ليست محبوقاً مما يجور عليه الفناء ، بل هى غول سرمدى شديد المراس ، تسكس شديد الشراسة ، لا يغالب أحداً إلا غلبه ؛ فأطلق سفينتك للريح ، ولذ منها بالمرار . وإياك أن تفسكر فى التسليح لها ، فهى لا بد ملتقمة ستة من رجالكم ، وإذا حاولت مدافعتها فإنك منهم ! ! فإذا بعدت فاضرع إلى كرايس ، أم هذه الهولة التى هى إلى الأبد طاعون للبشر ، أن تردكيد ابنتها عنكم فلا تتبعكم فى سبيلكم ولا تلتقم منكم أكثر مما فعلت ... وإنكم بانعون ( تريناشيا ) بعد هذا حيث ترعى الربتان الحسنوان : لميتيا وفيتوزا ابنتا هيريون من عروس الماء نيرا ، قطعان أبيهما السبعة التى يشعل كل

منها خمسين شاة ذوات صوف ناصع كالثلج ... وكل هذه الشاة يرى  
ثمة باسم رب الشمس العظيم . فإذا كنتم حقاً تتشوفون لبلادكم ،  
وتتجرقون شوقاً إليها ، فاحذروا أن تصيبوا تلك القطعان بسوء ، فإنكم  
إن فعلتم غرقت بكم سفينةكم وذهب رجالك أبديداً . أما أنت ، فتنجوا  
بعد لأي وبعد نضال وأهوال ، فتصل إلى بلادك ملوماً محسوراً ! »

وتنفس الصبح الندى الرخي فذهبت تتبخر وتجبر أذيالها إلى  
قصرها اللئيف ، وذهبت أنا إلى الشاطئ فأيقظت رجالى ، وأمرتهم فجروا  
السفينة حتى استوت في الماء ، ورفعت مراسيها ، ثم جلس كل إلى مقعده ،  
وأعمالوا أيديهم في مجاذيفهم فتدافعت الفلك في البحر ، وما هي إلا لحظة  
حتى أرسلت سيرس ، الربة المقدسة ، نسيارُحاءً كان خير رفيق لنا ،  
إذ كهانا عماء التجديف ، فتطرحوا في المركب ، واشتدت الريح في غير  
عصف فأسرعت بنا درّاً كما ... ثم كلف رجالى وفي قلابى وجيب فقات :  
« أيها الأصدقاء تعالوا أحدثكم عما تنبأت به سيرس لنا في رحلتنا هذه ،  
فإياه سيان إن أفلتنا من العذاب أو تردينا فيه ؛ بل أردت أن أطلعكم  
على ما حبأنه المقادير لما لتأخذوا حذرکم ، وتبرموا أمرکم ، ويكون كل  
على نفسه وكَيْلا . لقد حذرتنى أن يستمع أحدكم إلى غناء السيرينات  
الشاديات وحلو تطريهين ، وأجازت لى وحدى أن أصغى إليهن ؛ بيد أنها  
أوصتنى أن أخبركم أن تشدوا وثاقاً بأمتن الأمراس في سارية السفينة  
ولا تطلقوا سراحى حتى نبعد عن جزيرتهن . وكلما رجوتكم أن تخلوا عنى  
شددتم وثاقى أكثر فأكثر ( هذا إن أردتم أن نكون بنجوة من الهلاك .

في تلك الأرض الملعونة ) . وهكذا نهت غافلهم بتحذيري . ثم إننا انطلقنا في اليم ، وأخذنا بقرب من جزيرة السيرينات ، وعرفنا ذلك لما هدأت الرياح خفاة ، ونام الموج ، وخفت أنفاس الطبيعة ، وشمل الركود كل شيء حولنا ، كأنما مسحت يد مقدسة علوية كل هذا الوجود الرب . ونشط الملاحون إلى مجاذيفهم فالتع تحتها بساط الماء ، ثم نشطت أنا إلى قِدر من الشمع فعالجته بسكين ، ثم قومته راحتي وتركته كي يلين قليلا في أشعة الشمس ، ثم جعلت منه في آذان رجالي واحداً فواحداً . واستسلمت لهم بعد هذا فشدوا وثاق في شراع السفينة شداً محكما ، وجلس كل إلى مجداه ، وانسرت النلك في الماء تشقه وتجرحر فيه .. وصرنا على مدى ما يبلغ الصوت من الجزيرة إلى آذاننا فأصغيت وأصغيت ، وإذا السيرينات الشاديات يتغنن هكذا :

« أودسيوس أيها الزعيم ! يا من لهج بذكره كل لسان »

« ألق في جزيرتنا مراسيك يا فخر اليونان »

« تلمت عندنا أيها العزيز وشف أذنيك بأغانينا »

« فما من أحد جاز بجزيرتنا حتى عرج يترود من هذا الغناء »

« ثم يقلع أسعد ما يكون ، وأفطن ما يكون »

« ذلك ونحن نعلم من أنباء ما أصابك كل شيء »

« ما خضت من معمعان طروادة ، وما أصابك الآلهة من مصيبة ،

وما اتى قومك في كل مكان »

« تعال تعال ... هلم نحدثك فعندنا علم كل شيء » .

وهكذا شرع العدارى يسكنن إربانهن الجميل في قلبى ، وكأما كن  
ينعنن فيه السحر فيصغى ويصغى وتلح عليه الرغبة في الإصغاء ، ورحلت  
أنا أضرع إلى قومي أن ينفكوا قيودي ويطلقوا سراحي ويخلوا بينى وبين  
السيرينات المطربات ، فلم يسمعوا لإشاراتي ولم يستجيبوا لتوسلاتى ، بل هبَّ  
يوريلوخوس وپرميديس فصاعفوا أءلالى وشدوا على حبالى . ثم بعدنا ...  
وظللنا نبعد ونبعد ، حتى إذا كنا حيث لا يصل إلينا من شدو السيرينات  
شى ، نهض رجالى فأرأوا ما كنت قد جعلته في آذانهم من الشمع ،  
ثم عمدوا إلى فأطلقوا سراحي ... وما كادوا يفعلون حتى أبصرت في ظلام  
البعد موجاً كالجلجال كأنه ظلمات بعضها فوق بعض ، ودخانا كثيفاً ينعقد  
في الجو ، ثم إذا بى أسمع رعداً قاصفاً يعم الآذان ! وقد ذهل رجالى عن  
أنفسهم ، وطارت المجاديف من أيديهم فلم تعد تجديهم نفعاً ، ووقفت  
السفينة كأنها الأرجوحة على رأس الموج ؛ وذهبت أنا أستجمعهم رحلاف رجلا:  
« أيها الرفاق ! ها نحن تلقى أولى عقباتنا ، وهى ليست على كل حال أشد  
هولاً من مصيبتنا يوم حبسنا السكلوب في كهفه السحيق ، وكيف احتلت  
لعرارنا من وجهه ؛ وسيأتى يوم نذكر تلك الشدة المماثلة بمثل العنبرة التى  
نذكر بها الشدائد السوالف ... هلموا إذن فاثبتوا في أماكنكم ، واصمدوا  
لهذا اللج المصطخب ، واضربوا فيه في جلد وصبر ، عسى أن يكلائكم  
چوف ربكم فينجيكم منه . وأت أيها الرمان أصغ إلى ، إنك تقبض  
على ناصية الحال فتعشاش أن تقترب من هذا الدخان وتلك الأمواج الثائرة  
إبتعد ما استطعت عنها ، وحذ سبيل هذه الصخرة ، ذلك أدنى ألا تقذف

بنا في حمأة الخطر .. » وظللت أنفخ فيهم روح الصبر حتى فاءوا إلى أمرهم فاستقنوا في مجاهدة الأمواج استقتالا ... وتسليحت أنا بكل ما استطعت من عدة ، وجعلت في يدي رحين طويلين ، ووقفت أرقب سكيلا الهولة من بعد ، ولم أجسر أن أذكر كلمة عنها لرفاقى حتى لا تفرغ أفئدتهم فرقا فبهروا من عملهم ويكتظوا في بطن السفينة مخافة أن يمسهم منها أذى .. وشرعنا نعبّر البوغاز ، . . ولشد ما أفزعنى أن أرى سكيلا ترمقا وتعلمظ ، وقد انتصبت كاللوت على الشاطئ القريب ، ثم أرى في الوقت نفسه خاربديس على الشاطئ الآخر تمسحرج في حلقةما الرحب الفظيع عباب الماء ثم تمججه ، فكأنما تقذف من جوفها ماء فائرا يعلو في الجو كالبحر ، ثم ينهمر وبله في كل فج ، وتعود فيفيض في البحر من بلعوها ، ثم تقذفه ، وهكذا ذواليك .. يا للروع ، ويا للفرع الأكبر ! تالله لقد كنا ننظر ما تبدى خاربديس وما تعيد في جزع وفي هلع ، بينما كانت سكيلا تتوثب وتتوثب ثم ترسل رؤسها السقة فتلتقم ستة من رجالنا كانوا وأأسفاه أشجعهم جميعا ، وكان قلبي يتمزق حين راخوا يهتفون بي وينادونى باسمي وأنا كالذى أسقط في يديه ، ما أستطيع شيئا فأصنعه ، بل أنظر إلى أذرعهم وأرجلهم تتقلب في الهواء وهم يصيحون ويعولون ، وأنا ساكن ذاهل أقلب كفى ولا أفعل شيئا آخر ! واحزنه ! ! ما كان أشبه سكيلا المتوحشة بصائد السمك الذى أطعم سناره وأرسلها من فوق صخرة تداعب السمكة المسكينة ، حتى إذا حان الحين جذبها إلى عل تترج هنا وهناك . هكذا كانت هذه اللعينة التى جذبت إلى كهفها أشجع



رجالها وزاحت تقفات بهم بين الصراخ والبكاء ، وبين التوجع والأنين ،  
وكلهم يمد إلى ذراعيه مستنجداً مستغيثاً في قنوط ويأس !! أبداً ما وقعت  
عيناي في جميع مخاطراتي ، على منظر أبعث للأسى ، وأمض للنفس ،  
وأجرح للمؤاد ، من ذلك المنظر الرهيب !

وما كدنا نفلت من سكيلا وخاربديس بعد تلك المفاجعة حتى  
اقتر بنا من أرض الشمس ، حيث ترعى قطعان هيريون<sup>(١)</sup> الجميلة  
الكثيرة ذات الفراء الناصعة ... ولقد كنت أسمع ثغاءها ورغاءها إذ أنا  
على ظهر سميني في عرض البحر. وسرعان ما ذكرت ما قاله لي الكاهن الطيب  
الأعمى ، تيرزياس في هيدز ، عن هذه القطعان ، ثم ما أندرني به سيرس  
سيدة إاييا من وجوب الابتعاد عن هذه الجزيرة التي كانت منذ الأبد  
غواية البشر ، حتى قت في رجالي فجعلت أحذرهم وأقول : « أيها الرفاق  
اسمعوا : هذه هي جزيرة الشمس المائلة التي حذرنا تيرزياس الكاهن  
الطيب من الرسوبها أو الاقتراب منها . وكذلك حذرني منها سيرس  
ربة إاييا ، فإن كان ما لقينا من أهوال ليس شيئاً إلى الهول الذي يحيق  
بنا إذا حللنا بها . فاسمعوا نصحي وسبروا بنا نذرع هذا البحر نسلم من شر  
مستطير ، وبلاء لا يبحرنا منه بحير » وكانوا يصغون إلى في حيرة وذ هول ،  
وما كدت أفرغ حتى انتصب يوريلوخوس يرد على في جفوة وضيق :  
« أوديسيوس ، أيها القاسي الطاغية ، أما أوهنت كل تلك الشدائد  
جلدك ؟ أمحلق أنت من حديد ما ترق وما تلين ؟ أنا أبي على رجالك

---

(١) في بعض المصادر أن الشمس غير هيريون ، وفي بعضها أنها هو ، وفي  
بعضها أنه أحد سواس عربها .

الموهنين المكرددين أن يرسوا هذه الجزيرة الفيحاء المعشمة ليرعوا مما بها من آلاء ، وليطعموا من خيرها الكثير ؟ أتصرفنا عنها بنزقك وقلة بصرك نفحط طول الليل في هذا البحر الأجاج حبط عشواء مع ما تكون الريح عليه حينئذ من شدة وعنف ؟ خيرا أيها الأحق ماذا نصنع إذا عصمت بنا سكباء من الجنوب تحطم فلكنا ولا ينجينا من بطشها أحد حتى الآلهة ؟ أليس الأفضل لنا أن نرسو في هذه الجزيرة فنقضي بها أيامنا ، حتى إذا انفلق الإصباح أقلعنا منها على هدى ؟ ! » .

وحيد للملاحون ما قال ، فدار في حلدى أن لا بد مما ليس منه بد ، وأن لا بد من وقوع القارعة الكبرى بنا ، فقلت في كلمات يائسات : « لا ضير يا يوريلوخوس ! وليس بي من بأس أن أحصع لما ترى الجماعة ؟ واسكن تعالوا جميعاً فأعطوني موثقم ألا تذبحوا شاة ولا ينجزروا نعمة مما هنا من هذه القطعان ، مهما ألح عليكم السَّعْبُ ، وأضواكم الجوع ... بل يكون حسبكم ما حلمتم من آكالٍ من عند سيرس » .

وأقسموا أغلظ الأقسام أن يفعلوا ، ثم يمشوا بالملك في جون هادىء ترتفع في وسطه نافورة رائحة ؛ فأرسوا ثمّ وتدققوا الشاطئ ، وراحوا يعدون وجبة المساء ؛ بيد أنهم سرعان ما نسوا مسغبتهم حين تذكروا إخوانهم الذين غالتهم سكيللا ، وراحت تتغذى بهم أمام كهفها السحيق فأخذوا ييكونهم ويذرفون عليهم دموعهم حتى غلهم الدعاس ، فناموا ... وفي الهزيع الثالث من الليل ؛ حين عبرت النجوم فكانت في كبد السماء ، ساق جوف رب السحاب الثقيل ريحا جابت البر والبحر ،

وغمرتهما بماء مهمر ، ثم عقد في الكون ظلمات فوق ظلمات يتدجى بعضها في بعض .. ثم أشرقت أورورا الوردية ، فنهضنا من مراقبنا ، وسحبنا الفلك إلى غار كان لبعض عرائس البحر يرقصن به أو يستروحن فيه ؛ وما كاد شملنا يجتمع ثمة حتى نهضت في رجالي أقول : « أيها الرفاق إننا ما ينقصنا غذاء ، وما بنا من حاجة إلى أكل ، فنعنا من ذلك الشيء الكثير ، فإياكم أن تمسوا هذه القطعان بأذى ؛ وحسبكم أن تعلموا أنها ملك خالص لربة الشمس التي تراكم أينما كنتم » وهكذا أيقظت في نفوسهم النخوة . ثم إنا لبثنا في هذه الجزيرة شهراً ما نريم عنها وما كان لنا إلى غيرها متحول ؛ ذلك لأن الدبور<sup>(١)</sup> ظلت تهب من الجنوب في صرامة وشدة ، فإذا هدأت ، لم تهدأ إلا لتهب ريح شرقية أشد منها عنفاً . لم يمض قطعان الجزيرة السائمة بأذى ما دام لم ينفذ ما كان معهم من طعام . فلما تناقصت ميرتهم راحوا يتلمسون صيد البر والبحر ، أما أنا فكنت أجوس خلال الجزيرة عسى أن ألقى إلهاً أصرع إليه فيجعل لنا من أسرنا مخرجاً .. وبينما أنا أحوب الجزيرة إذا بي أبعد كثيراً عن رفاقي ، فبدأ لي أن أسكن إلى منعطف دافئ هادئ على سيف البحر ، فأغسل<sup>(٢)</sup> يدي مما علق بهما من قدر ، ثم جلست أصلي للآلهة ، وأدعو واحداً بعد واحد أن تهيب لنا من شدتنا صديقاً ، واسكنها جميعاً — وأأسفاه — أصمت أذنانها عن دعايي ، ثم أرسلت على طائفاً من الكرى ... فنمت نوماً عميقاً ... بينما كان يوريلوخوس التعس يوسوس إلى رفاقه فيقول : « أيها

(١) ريح الجنوب ضد المصدا

(٢) كان غسل اليدين كالوصوء عندنا شراً لا تصح الصلاة اليونانية بدون .

الأعلاء ! أما أحوكم في البلاء فاسمعوا وعوا . ليس أستمع من الموت إلى النفس ، ولكن الموت جوعاً هو أشنع ألوان المنايا التي يرتجف منها الإنسان ... هلموا . . لنذبح من هذا الشاء والنعم ، ولنضح للآلهة أضخم ثيران الشمس ، ولنذر أن نبني للرب المبارك هيبريون هيكلًا عظيمًا حالما يصل سالمين إلى إيثاكا ، ولنذر أيساً أن نجعل في الهيكل من الطرف والتحف ما يرضى الإله ويكفر عن سيئاتنا . أما إذا آثر أن يفرق فليكننا وتضافرت معه جميع الآلهة على ذلك ، لأننا ألحقنا أذى بعدد من قطعانه ، فإني أول من يجاهر بقبول الموت مره واحدة في أعماق هذا اليم ، على أن أموت هذا الموت البطيء جوعاً ! » ويزين لهم ما قال ، فاستاقوا أسمن ما في القطعان التي كانت ترعى العشب قريباً منهم ، ثم أطعموها أنفس أوراق الشجيرات الباسقة إذ فرغ كل ما لديهم من الشعير ، ثم صلوا للآلهة ، وجزروا الحيوانات البائسة ثم سلعوها ، وفصلوا الأنفاذ والشحم ، وقذروا بها إلى النار تقدمه للآلهة وقربانا .. ولم يكن معهم خمر ليقموا بها الشعائر القدسية ، فقذفوا في النار بدلاً منها ماء قراحاً ... وجلسوا بعد هذا يعدون شواءهم من الحوايا<sup>(١)</sup> والسكبد وما إلى ذلك مما في جوف البهي ؛ حتى إذا طعموا ملء بطونهم انطرحوا في مراقدهم بينما استيقظت فجأة من سباتي ونهضت لأنطلق في طريقي صوبهم . وما كدت أشرف عليهم حتى ملأ خياشيمي قتار<sup>(٢)</sup> ما فعلوا ، فوجت وجوماً شديداً ؛ ثم أجهشت ، ثم استخرطت في بكاء طويل وضرعت إلى الآلهة وطلت أقول . « أهكذا

(١) الامماء

(٢) ربح الشواء .

يا أرباب السماء تاقون على ذلك الطائف من الكرى فيفعل أصحابي .  
 ما فعلوا إذ أنا أغط في نوم عميق ؟ » . وطارت لمقيا بالخبر المشؤم إلى  
 إله الشمس فثار ثائره وطفق يصخب ويهتف بالآلهة ويقول : « يا خوف  
 العلي ، وأنت يا آلهة السموات ! إناري لما فعل السفهاء من رجال أوديسيوس .  
 لقد احتراؤ فجزروا من نهمي وتأنى التي هي بهجتي وأنسى والتي أرقمها  
 أبداً من علياء السماء ؛ فإن لم تلتقمي لي فوعزتي لأهبطن بشمسي إلى  
 إلى هيلز فأنير آفاقها وأصفي أضوائى على الأشباح ثمة ( وأدع هذا العالم  
 المشرق الجميل يضرب في دياجير ما مثلها دياجير » . وأحابه رب السحاب  
 الثقال فقال : « يا إله الشمس على هينتك ؛ بل ظل مشرقاً على بنى  
 الموتى الدائبين في تلك الأرض ، وإلى مسخر صواعقي على سفينتهم في  
 ملح العصر فتذهب بها وبهم أباديد » ... أما من أخبرني هذا فقد حدث  
 به هزم رسول الآلهة . ثم وقعت فبهم أنهرهم وأنى عليهم ، ولكن ...  
 وأسفاه ! أى اتهار وأى نعى وقد سبق السيف العذل ؟ ! ثم حدثت  
 المعجزة ! ! وبدأت السماء تشهد آياتها فقد تحركت الجلود الملقاة على الأرض  
 وزحمت بحونا ثم سمعنا مُضِغ اللحم الغريض سواء ما ظل منها دون أن  
 يمس وماعلق منها بالسفائيد ، وقد أرسل ثغاء وخواراً كأنها لا تزال على قيد  
 الحياة . . . وهكذا ظل رفاقي يجزرون كل ثور حنيد من ماشية إله الشمس  
 ويغتذون بحواياها طوال ستة أيام ، حتى إذا كان السابع أمر خوف  
 العاصفة مهدأت ، والبحر فتطامن ، فأهرعنا إلى الفلك فأنزلناها في اليم ،  
 ونشرنا الشراع ، وأقلعنا حيث لاندري ماذا يراد بنا ! ! ثم غابت الأرض

عن الأنظار ، ولم يكن إلا البحر من ورائنا وأمامنا وعن شمالنا وأيتانا ...  
ثم السماء من فوقنا ... ثم شرع زفيروس<sup>(١)</sup> يهب ويهب ، ويقلب  
الاج من حولنا ، ثم اشتد واشتد ، وصار ريحا عاصفاً هوجاء ، كسرت  
قلاعنا وحطمت سكاننا ، وذهبت بقلب الربان المسكين فلم يعد له صبر  
ولا جلد ... ثم سلط علينا جوف صواعقه فقصمنا ، وحطم سفينتنا فترحت  
أول الأمر ، ثم عاصت إلى الأعماق ، وطفونا على سطح البحر الغاضب  
بلا أدنى أمل في أى شيء ، بله العودة إلى بلادنا ... ولقد كنت أقرب حطام  
الفلك يطفو معنا ويعوص ، حتى عنّ لي أن أعلق بالهرب القريب منى ،  
فطويت عليه قطعة من الشراع الممزق وجعلته لي ثماماً لصقت به ، بينما  
نامت الشمال لسوء حظى ، وأخذت الجنوب تهب في غفوان وبأس ،  
وتدفعني بقسوة وقوة حتى خيل لي أنها ستنتهى بي إلى عين خاربيديس  
الحمئة ... يا للهول ! لقد مضى على ليل أياما ليل ... حتى إذا أشرقت ذكاء ،  
رأيتنى وبيا للأسف عند صخرة سكيلا ، وعلى مسافة من عين خاربيديس .  
ولحسن حظى كانت اللعينة قد ابتلعت كل مياه الشاطئ ... ثم دفعتني  
موجة من الأعماق فاستطعت أن أعلق بأحد أغصان التينة الهائلة النامية  
فوق صخرتها ، فبقيت لاصقاً به كالخفاش لا يمكننى أن أهبط أو أن  
أتسلق اعظم ما كانت الأغصان تبتعد من الأرض وتمتد من حولي ، ولأنها  
كانت تعرش من فوق خاربيديس ، حتى كنت أرتعد من فزع وهلع عند ما  
كنت أبصر تحتي فأرى العين الحمئة الملعونة تبتلع الموجة إثر الموجة ؛ ثم

رأيت الهرب وقطعة الشراع التي كنت عالماً بهما ينفذان بحوها ويكونان  
تحتي فطرت ولو أن هذا جاء متأخراً حتى ربيع قلبي وهنت قواي ؛  
وغمرني شعور الذي انفرجت أزمته ، وكشفت عنه غمته ، فهويت إلى الماء ،  
وتعلقت بهما بقبضتين مستعميتين .. ويلاه عليّ !! أواه ! لو لحتني سكيلا  
الهائلة طافياً هنالك ؛ إذن ما استطاع إنقاذي رب الأرباب نفسه من  
مخالها وأبيابها !! ثم بقيت هكذا تسعة أيام بلياليها . يصرعني البحر  
وأصرعه ، ويناضلني الموج وأناضله ، حتى رثت الآلهة الخالي فساقني في  
العاشر إلى أوجيجيا ، جزيرة عروس الماء كليسو ، فرسوت ثمة في ليلة  
ليلاء ، مظلمة طغياء ... وقد نالني من كرم العروس وجميل معروفها ما ردد  
إلى قواي ، وأنا بنى عما لقيت من شقوة وأرزاء ...  
واسكن لم هذا ؟ لقد سمعتم قصتي مع كليسو من قبل ، إذ رويتها  
الملاك ولزوجه أمس ، وإني لأكره الحديث المعاد .



## أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

وفرغ أوديسيوس من حديثه ، وجلس القوم في الردهة ذات الظلل مسبهين مشدوهين من روعة ما حدث ، ومن غريب ما روى ، حتى تكلم الملك فقال : « أوديسيوس ، يا أيها العزيز ! صفا بالك وطاب حالك واستذريت من ذرى هذه القبة السماء بركن ركين ، فلن ينالك أدى بعد اليوم ، ولن تقدر عليك الرياح الهوج في رحلتك الآمنة إلى بلادك ، وإن يكن مثلك لا يبالي الحدثنان ، ولا يأبه لصروف الزمان ، بعد إد رضع لبانها ، وتقلب طويلا في أحصائها .. وإبه والله ليس أحب إلينا من أن تقيم آخر الدهر عندنا ففتتحسى معنا من أكرم هذه الخمر ، وتشنف أذنك بما يتغنى مطربا الحبيب الإلهي ؛ وإلا ، فذاك صندوقك العزيز وفيه أذخار الهدايا وأعز اللهى ، من مطارف الذيباج ، ومكنون الذهب الوهاج ... ولكن على رسلك ، هلموا يا معاشر الفياشين فليحضر كل منكم للنازح الكريم طرفة من أبر الطرف ، وتحفة من أحل التحف ، ولتكن ركيزة من الذهب وأصيصا صغيرا للزهر ؛ وليساهم الشعب في هذا ، ذلك أدنى ألا تطيقوا ثمنها <sup>(١)</sup> » .

وصادفت مقالة الملك هوى في قلوب السادة زعماء الفياشين ؛ ثم نهضوا ففترقوا إلى منازلهم يلتهمسون الراحة ، وينعمون بطيب المنام ؛

---

(١) في الأصل : إنه سيكلف الشعب بعض الضرائب اسداد الثمن ولا بدري كيف يسيم ملك أن يقول ذلك



ونضرت أورورا ابنة الفجر جبين المشرق بأفواف الورد ذهب الزعماء  
العظام من مراقدهم ، وبادروا إلى السفينة بهداياهم التي وصف الملك .  
وقد كان ألكينوس نفسه ينتظرهم ثمة ؛ وكان يتناول كل هدية بيديه  
فيضعها موضعها الأمين تحت مقاعد الجدمين حتى تكون بمجوة من ضرر  
يصيبها ، أو أذى يلحق بها ، حين يكون الملاحون مشغولين فيما هم بسبيله  
من عمل البحر ومصارعة الموج ... حتى إذا أسلموا تذكاراتهم عادوا مع  
الملك إلى قصره المنيف لوليمة الوداع العاحرة وقد قرب إلى جوف الكبير  
المحال ، رب الأرباب ورب السحاب الثقيل ، بشور جسد عظيم ؛ وأعد  
من نخذه سواء شهي أقبل عليه القوم يأكلون ويروغون<sup>(١)</sup> ، بينما  
يسكب في آذانهم غناء ديمودوكوس مطربهم الخلق الحبيب . وكان  
أوديسيوس يرنو بطرفه المشتاق إلى الشمس يود من أعماقه لو عجلت إلى  
خدرها ، وكان يصجره منها جريانها الوثيد ، فهو دائماً يرقب مغيبها بعيني  
الزارع الشقي الجوعان الذي أجهده طول النصب في حرث حقله ، معلق  
بصره بالشمس يتمنى لو هبطت فجأة في المغرب ليلوى أعنة بهائم إلى  
كوحه ، وليتبلغ هناك بلقيات ! وما كادت تتوارى بالحجاب حتى وجه  
الخطاب لزعماء الفياشيين في شخص الملك ، فقال : « مولاي الملك الجليل  
ألكينوس ! يا نخر شيرا وعماد الفياشيين ! تمنيت لو أدبت الصلاة الخيرية  
يا مولاي وتفصلت فأذنت لي في وداعكم ، ما دمت قد أعددتكم لي الهدايا  
واللهي ، والأبطال الصناديد من رجالكم الملاحين ... وإني لأضرع

إلى الآلهة أن ترعاني في رحلتى فى اليم ، وأن أصل إلى بلادى فألقى فيها  
آلى وعشيرتى سالمين ، كما أسأل أرباب الأولب أن ترعاكم وأن تقر  
أعينكم جميعاً بذويكم ، وأن تفىء عليكم من نعمائها ، وتحفظ بلادكم من  
عاديّات الزمان وملهمات الحدّثان « وسر الجميع من مقالته فهتفوا له ، ورجوا  
الملك أن يأذن له فى السفر ، فالتفت ألكينوس إلى مشيره وقال : « هلم  
يا بُنْتُونُ فأدق الزق واحمل الخمر إلى جميع أضيافنا ليريقوها خالصة لوجه  
سيد الأولب ، كي نتأذن لأوديسيوس بالرحيل إلى دياره » ولجى المشير ،  
وأخذ كل كأسه ، ولم ينتظر أوديسيوس حتى يصل الندمان إلى المملكة  
المسجلة الوقور ، بل هب مسرعاً وقدم إليها كأسه الهائلة ، وقال : « وداعاً  
يا مولاتى المملكة أحر الوداع ! وداعاً إلى آخر العمر ! وليكن عمراً موفوراً  
مُخْفَرَجاً تقرين فيه بمولاي الملك والسادة النجب أبنائك المحبوبين  
وتسعبك » وحيّاً وبيّاً ، ثم أهرع إلى المرفأ ومشير الملك يسعى بين يديه ،  
وثلاث من وصيفات المملكة يتهادين فى إثره ؛ أما أولاهن فكانت تحمل  
الثوب الديباجى الموشى ؛ وأما الثانية فكانت تحمل الصندوق الثمين  
ذا الأذخار ؛ وحملت الثالثة مثونة حافلة من أتسعى الآ كال وأطيب  
الشراب ... حتى إذا كن عند السفينة ، سلحن ما حملن للملاحين الشجعان  
وانثنين من حيث أقبلن ... واشتغل بعض البحارة بإعداد فراش وثير  
فى قرة خلعية من أجل أوديسيوس ... الذى آوى إلى منامته واستغرق  
ثمة فى سبات لذيذ ، بينما كان الملاحون دائبين فى فك الحبال ورفع  
المرساة من صخور الشاطئ ، حتى إذا انتهوا توزعوا إلى مجاديفهم وأعملوا

وبها أيديهم ، فهمت العلك واحتواها الماء ، وأقمت تشق الأمواج ،  
وتأخذ سبيلها في البحر سرباً ... هذا بينما كان النائم البريء قد امتسك  
لطاقف من الكرى يشبه ظائف المنون .

وعمرك الله هل رأيت أربعاً من صافات الجياد قنبارى في حلبة ،  
وقد أذن المؤذن فاندفعت تنهب الرحب ، وأرسلت في الهواء أعرافها ؟  
أمد كانت السفينة تتواثب على أعراف الموج مثلها ، والعباب الزاخر  
يصطخب من ورائها ، واللجة من بعد اللجة تجبّس وتضطرب تحتها ،  
كأنما تتحدى اليم في طمانينة وثبات ، أو تسابق في الجوابواشق  
البرزة لا وكيف لا ، وقد حملت رجالاً لا كالرجال ، وبطلاً بـ الأبطال ،  
وحكماً تركاً<sup>(١)</sup> للآلهة في المسكرات وعظيم العمال ، وقرناً ليس كمثله  
قرن في يوم كريمة أو نزال ؛ لم يغف من قبل هذه الغفوة الذائعة التي  
باعدت بينه وبين ما نلحشم من آلام وأحزان وأتجان ...

وتلألأت في الأفق الشرقى نجمة الدجر الصادق ، حينما كانت العلك  
قبالة الأرض الموعودة ... إيتاكا ... بعد إذ أتمت رحلتها الحافظة في  
جنح الليل ... وهناك في شاطئ المدينة ، أنشئ صرناً أمين ماسم  
فورسير رب الأعماق يُدخل إليه بين حازى أمواج ممتدين على مدى  
الجنون الجميل ، بين ذراعى الميناء ، فما تستطيع ربح أن تعبت بما فيه من  
سفين وقد بسقت أشجار الزيتون على الشاطئ وامتدت امتداداً هائلاً  
إلى كهف حريز تأوى إليه طائفة من عرائس البحار يقال لها القياد .

(١) الترب بالكسر اللدة أو المشبه .

وثمة ، أى فى هذا الكهف للقدس ، صفت أباريق من حجر وحرار كثيرة ، يأتى النحل فيودع فيها شهده ؛ وقامت فيه أيضاً عمد من حجر يقال إن عرائس الماء تنسج عليها أنوابها العجيبة . وفيها أيضاً عيون من ماء زلال تسقى ساكنيه . ويؤدى إلى الكهف طريقان عظيمان ، أحل أحدهما للناس يضربون فيه ما يشاءون ؛ أما الآخر فلا تطؤه إلا قدم إله كريم ، ويعرف بطريق الجنوب المقدس .

ويم البحارة بفلكهم شطر الميناء ، ثم أرسوا فيه ، وجنحت السفينة بنصف حيزومها على رماله ... وحلوا أوديسيوس الزعيم دون أن يوقفوه ، ووسدوه على فراش<sup>(١)</sup> وطأوه على الشاطئ ، ثم حملوا كل متاعه وأذخاره فجعلوها إلى جانبه خلف زيتونة ضخمة تحجبها عن أنظار المارة ، حتى لا يعبث بها عيار إذ هو مستغرق فى يومه العميق ... وركبوا العلك بعد هذا وعادوا أدراجهم إلى شيرا ... وأحس نبتيون الجبار رب البحار وعدو أديسيوس الأكبر بما فعل الفياتيون فثار نائره وقال يعتب على زيوس : « أيها الإله الأعظم الأبدى ، أبداً ما أحسبني أنال نصيبى من التقديس والتبجيل بين الآلهة منذ اليوم ، مادام شعب فياشيا لم يأتهاوا أن يحقرونى أو يبالوا بى ، فقد كنت عوات على ابتلاء أوديسيوس بأروع صنوف البلايا قبل أن تطأ قدمه أرض بلاده ، ولم يكن فى تصميمى أن أحول بينه وبين العودة إليها لأنك كنت قد وعدت بتمهيد السبيل لهذه العودة ، ولكنهم حملوه على فلصكهم غاراً فى أحلى المنام ، ثم حملوه إلى

الشاطيء الإيتاكي بما معه من العطايا والأذخار ، وطُرف الدجس ،  
وتحف النصار ، ومطارف الديباج ، وما حمل من كنوز لم يكن يحمل  
شيئاً منها حتى لو عاد بنصيبه من أسلاب طروادة ! وا أسماه ! وا أسفاه ! »  
وقال يجيبه رب السحاب الثقال : « ماذا تقول يا مزلزل الشيطان والخلجان  
يا ذا المللكوت والجبروت ، يا أيها العظيم نبتيون ؟ ! لا عليك يا أخى !  
لا عليك ، فإنه إن تحمرك الألهة ولن تستخف بك ! فإذا استخف بك  
ملاً ضعيف من نبي الموتى — عبادنا الشر — فما يصيرك ؟ أنيس في  
يديك ألف فرصة للبطش بهم والانتقام منهم ؟ أربع عليك يابتيون ،  
وصل ملاذك ، فأنك لست عبداً لأحد » قال نبتيون : « جوف يارب  
السحاب إنه ليس أحب إلى من أن أبطش بهم كما أشرت ، واسكنى  
لا أخشى إلا تحديك لى دائماً بغير حق ، وإنى أرجو أن أعصف  
بسفينتهم فى دأمائى اللجى حتى لا يحملوا ضارباً فى البر والبحر مثل  
أوديسيوس مرة أخرى ، وإنى مقتف آثارهم الآن ، فضارب فلـكهم  
اللعين ، فساحره فى الحال إلى طود عظيم ينهض بروقيه أمام مدينتهم حتى  
ليحجبها عن كل سارب فى البحر فلا يراها أحد أبداً ! » فقال جوف  
يجيبه : « هلم يا أخى فاصنع ما بذاك ، وافعل فعلتك التي رسمت ،  
وليسكن ذلك حينما يقتربون من مدينتهم حتى يرى أهل شيرا ما يحل  
بسفينتهم لتسكون لهم آية ! » . وانطلق مزلزل الأعماق فى أثر الفياشين  
حتى إذا كانوا فاب قوسين من الشاطيء أرسل يده تحت فلـكهم  
فضر بها ضربة هائلة أرسلتها فى الهواء وهوت بها إلى اللج ، ثم تركت

مكانها جملاً عالياً أشم ، ولوى عنانه إلى أرجاء ماسكه الرحب .

ووقف الفياشيون — ملوك البحار — على شاطئ البحر مسبوهم  
دهشين يسأل بعضهم بعضاً : من ذا الذى أرسى هذا الجبل الهائل مكان  
سفينةهم تلقاء المدينة حتى ليحجبها عن أنظار السفن العائرة في اليم ؟  
والتمت الملك وكان واقفاً بينهم فقال : « يا الآلهة ! لقد ذكرت نبوءة  
قصها على والدى فيما غير من الزمان ... فلقد ذكر لي أن شعبنا المجيد  
بأذن له من نبتيون أن يحمل الناس من كل فج ، من ضل سبيله منهم  
إلى بلادهم مهما تناءت . وقد ذكر أيضاً أن سفينة من سفننا بعد إذ ترد  
من رحلة لها إلى بلد رجل غريب نازح ، ستغرق في اليم ويسبق مكانها  
جبل عظيم شامق يحجب شيرا عن البحر .. وها قد تحققت النبوءة ،  
فهلوا بقرب الإله البحار نبتيون باثني عشر مجلاً جسداً تكون أعظم  
عجولنا وأعلاها قيمة ، عسى أن يرثى لنا فيكشف عنا هذه الغمة ولا  
يحول بين البحر وبين مدينتنا بهذا الطود الكبير الراسي » وتوزع زعماء  
الفياشيين ، وبادروا إلى عجولهم فجزروها باسم نبتيون ، وتكبيكبو حول  
مذبحه فصلوا له ، وسبعوا بذكره ... أما أوديسيوس فقد هب من نومه  
وهو لا يدرى أين هو ؛ ومع أنه كان ينام ألد النوم فوق شاطئ بلاده ،  
فإنه لم يعرفها لطول ما شطت به النوى ولأن مينرفا الكريمة ، سلبية  
جوث العظيم ، كانت قد أقت حوله ظلالاً تحجبه عن أعين المارة مخافة  
أن يعرفه أحد منهم قبل أن تلقه من حكمتها ما هو ضرورى له في حالته  
هذه ... كأنما أرادت ألا يستبينه أحد من مواطنيه ولا من أصدقائه

وذويه حتى يبطش البطشة الكبرى بأمشاق الفساق الذين استباحوا  
 عرضه واستحلوا بعير الحق زاده وخيره ، وعمرؤا كالشياطين داره . لذلك  
 موته مینرفا كل شيء في عيني أوديسيوس ، فالطرق مستقيمة مستطيلة والواحي  
 رحية مترامية ، والجبال ذاهبة في السماء ، والدوح باسق يطاول الجوزاء ، وكل شيء  
 ليس مما عهد البطل في بلاده ... ووقف يقلب عينيه في المشاهد المحدقة به ،  
 ثم تهد من أعماقه ، وبسط كفيه إلى السماء ، وضرب بهما في برم على  
 فخذه ، وأنشأ يقول : « ويلاه على وأف ويل ! أي شعب من الشعوب  
 يقيم بهذه الأرض ياترى ؟ أجلاف ظلمة هم ، أم أطهار أخيار يحبون  
 الآلهة ؟ ليت تتعري أين أخيه هذه الكنوز والأحراز ؟ ويحي ! بل أيان  
 أذهب أنا ؟ لعمري لقد كنت أوترأ أنال شيئاً منها من هؤلاء العياشين  
 على أن أكون قد حلت بأرض ذى نخوة وذى نخوة من ملوك الأرض  
 غير السكينوس هذا ، مكان يرسلني أمناً سالماً إلى بلادى ! ماذا أصنع  
 يا ربى ؟ أترك هذه الثروة الطائلة هنا ؟ أأدعها فريسة حلالاً لغيرى من  
 الناس ، وأهيم في هذه البطحاء على وجهى ؟ وأأسفاه ! أهكذا يغربى  
 ديلقونى في شاطئ غير شاطئ بلادى ، وقد وعدوا أن يهبطوا بى صرماً  
 إيثاكا الأمين ؟ اللهم يا خوف العظيم ، يا من إليه يجأر أبناء السبيل  
 والمهاجرون والمساكين ؛ أنتقم لى يارب الأرباب من هؤلاء الخونة المبطلين !  
 ولكن ... يجدر بى قبل كل شيء أن أحصى أذخارى لأرى هل سلنى  
 منها هؤلاء الأصوص شيئاً ؟ » ثم راح يحصر كنوزه ، فما وجد شيئاً  
 منها ناقصاً أو غير موجود ، وزاد ذلك في أشجانه ، فأخذ يندب حظه ،

ويبكي على ما أتى من زمانه ، وينشج نتيجاً مؤلماً لهذه الهجرة الظالمة عن أوطانه، وجعل يروح وبقدر على سيف البحر المضطرب، وحيداً مَعْنَى، ويرسل دموعه وزفراته حتى بدت له آحر الأمر مينرفا في صورة راع صغير غص الأهاب عجيب الثياب جميل الحياء ، كأناء اللوك ، ملتفعا حول عنقه ومن فوق صدره بشفيف<sup>(١)</sup> صميق طوى حولها طيتين وفي قدميه نعلان متواضعتان ، وفي قبضته حرة ناعمة لامعة . وكانت مفاجأة سارة فوجيء بها أوديسيوس نخطا خطوات عاجلة إلى الشاب وراح يسأله : « مرحباً أيها الغرائق الجليل ! لقد كنت أول إنسى ألقاها هنا ، فبحق هذا عليك أن تحميني وتحمى أذخارى هذه ، وألا تلحق بأيذا أدى إلى أتوسل إليك كما لو كنت أتوسل إلى أحد الآلهة أن تصدقني فيما أسألك عنه : أية بلاد هذه ؟ وأي قوم يعيشون فيها ؟ أي جزيرة آهلة ، أم حدور من بلاد مترامية ؟ أخبرني بأرباك أيها الفتى . »

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين تجيبه : « أيها الغريب اللاجيء كم أنت ساذج ! كيف تسأل عن هذه البلاد كأنك لست من أهلها ؟ إنها بلاد ذات ذكر في المشارق والمغارب ، ومنها وإليها تصدر الركبان إلى كل فج ، ثم هي ليست يهماء مجهولة ، بل هي جنة مأهولة ، زاخرة بالخيرات موفرة البركات ، ففيها أنضر سهول القمح ، وأبهج عرائش السكروم ، وأخصب المراعى الخضرة الحافلة بقطعان الدّم والشاء ؛ تسقى من ماء معين ، وأنهار وعيون ... هذه يا رجل إيثاكا ... إيثاكا



المباركة ، التي استطالت شهرتها ، واستطار ذكرها حتى ملأ الحاقين ،  
وجاوز طروادة ذات المجد ، التي لا تبعد شطآنها من أخايا » .

وتشاع البشر في نفس أوديسيوس لما سمع الراعي الجليل يؤكد في  
لمحة فاطمة أن هذه البلاد هي إيثاكا الموعودة ، وهز السرور أعطافه لما  
رأى من زهو الشاب وافتخاره بها . بيد أنه مع ذاك راح يتجاهل ،  
ويؤدى عدم معرفته لهذه البلاد ، ويحاول أن يندفع العنق عن نفسه ،  
وما يندفع إلا نفسه هو .. قال : « أجل .. لقد سمعت عن إيثاكا في  
أقصى البحار ... والناس يعرفونها حتى في كريت التي وصلت منها اليوم  
بعتادى هذا ، تاركاً فيها أبنائى وذوى رحى ، فاراً بنمسي من الفعلة  
الهائلة التي فعلت .. يا ويح لى ! ! لقد قتلت العداء المعروف أرسيلو بن  
أيدومين العظيم الذى لم يكن يباريه في سرعة عدوه أحد . لقد حدثته  
نفسه أن يسلبنى ما غنمت من كنوز طروادة وأسلابها وما حصلت عليها  
إلا بعد قتال شديد ولظى جرب ، وركوب أهوال في ذلك اليم ... وذاك  
لأنى أبنت أن أقاتل تحت لوائه ، أولواء سيده ومولاه ، بل قدت فيلقاً  
من الجند فظفرت وانتصرت ، مكبرت عليه هذا ، وحفظها لى ، وأخمر  
في نفسه الغدر ، فلما عدنا أدراجنا إلى أرض الوطن ، حاول أن يسرقنى  
كنوزى ، فأقصده<sup>(١)</sup> رحى فأرديته ، وكان معه زميل له شرير فذبجته ،  
واستعنت عليهما بدجى الليل ودُجَمَتَه ؛ ثم هربت تحت أستار الظلام  
بأحرازي إلى الشاطئ ، حيث حملتى سفينة بياشية رجوت ملاحيتها أن  
يبحروا لى إلى شاطئ بيليا ، أو إلى مرفأ إيليس ... لسكنهم وأسفاه

اضطروا إلى الإرساء هنا لأن ريحاً عاصفاً قسرتهم على ذلك ، فوصلنا هنا  
برغمنا في جنح الليل البهيم ، ونقينا عناء عظيماً في النزول بالمرؤء الأيمن ؛  
ومع شدة حاجتهم إلى الطعام ، فإنهم لم يستأنوا ، بل تركوني وحدي ،  
وأبحروا على عجل ، بعد إذ تمت على الشاطئ من الإعياء ، وبعد إذ حملوا  
إلى هنا متاعى ... وهم الآن في طريقهم إلى سيدونيا ... وهأنذا وحدي  
هنا ، لا أعرف أيان أذهب ، ولا أين أمضي !! » .

وسكت أوديسيوس ... ولكن الراعى الشاب الجميل أخذ ينحول  
في فتون وسحر إلى صورة حلاية أخرى .. لقد أصبح امرأة حسناء  
هيما ... وها هي ذى ... تلك المرأة الحسنة الهيفاء ... تبدو في صورة  
مينرفا — ربة الحكمة — التي اقتربت من البطل في تبسم وظرف ،  
وأخذت تعبت بلحيته الكثثة الشماء في دلال وسخرية ، وراحت  
بدورها تجيبه : « مرخى أوديسيوس ... مرخى مرخى !! ما أحسب  
أن أحداً — أحداً من الآلهة — يفوقك في مكرك وراعة حيلتك  
يا ابن ليرتيس !! أما أن تقلع عن سراوغانك التي حذقتها مذكنت يافعاً  
ومن توتية الأحاديث الملققة التي حذقتها واشتهرت بها في العالمين ؟ !  
ولكن ... تعال ... ليدع كلانا ما يحاول أن يزوق به كلامه ، مكلاًنا  
بارع في ذلك صناع ... أنت بعصاحتك . ودقة فهمك وطريف حيلتك  
بين الناس ؛ وأنا بحكمتي وقوة تديري بين الآلهة ... وما أحسبك تجهل  
مينرفا ابنة جوف الأكبر ، التي كانت رائدك ورفيقك في كل ما حاق  
بك من مكروه ... فقد كنت أقذف الشجاعة في قلبك في مواقف شدتك .

كما كنت أثير الحمية في أفئدة الفياشين الذين وصلوا بك إلى هنا ، وهأنذا طويت إليك فدا فد الرحب لأخلو ساعة بك ، ولأن لي حديث نصح معك ، بودى أن أمحضك إياه ... وقبل هذا ينبغي أن تحبب كنوزك التي أسبغت عليك بمشورتى ... ثم إلى محدثتك عما يتحيفك من أرزاء ، وما يدبر لك من كوارث تحت سقف بيتك ، ونصيحتي أن تحتمل ما يصيبك أول الأمر بقلب جليد وصبر ثابت وطيد ، واحذر أن يعلم أحد ، رجلا كان أو امرأة — بوصولك إلى إيشاكا وحيدا شريداً لاحتول لك ، كما وصلت ، بل اصمت كلما حاول أحد أن يتعرفك ، واحتمل الأذى كلما امتدت به يد إليك » . وقال أوديسيوس ، وقد أسقط في يده : « لله درك يا ربة ! ما أبرعك في تغشية العيون وتضليل الأبصار ، والتشكيل في أى صورة شئت ! بيد أنك برغم ذلك حليلة رحيمة كعهدى بك دائماً ؛ ألا كم نصرت أبطال أخايا المداويد ، وأظفرتهم بأعدائهم في ميدان طروادة ... ولكنى لن أنسى منذ أقبلع أسطولنا من مياه تلك المدينة ، بعد سقوطها في أيدينا أنك لم تظهرى لنا قط ، ولم تبادرى صرة إلى إنقاذى من إحدى الرزايا التي كانت تحيق بى والتي كنت أحتملها بقلب حديد ، وصبر شديد ، حتى رثت الآلهة لخالى فجعلت لى منها خرجاً وأنقذتنى إلى بر فياشيا ، حيث أثرت فى صدرى النخوة ، وأوليتنى الشجاعة ؛ وكنت دائماً دليلى ورائدى .. ولكن ... أصدقينى بأبيك يا ابنة چوف ، هل وصلت حقاً إلى إيشاكا ؟ أم أنا فى صقع سحيق عنها وإنما أنت تسخرين منى وتعبثن بى ؟ أصدقينى بأبيك يا ربة ، هل هذه

بلادى العزيزة إيثاكا ؟ هل هى حقاً ؟ « وفالت ذات العينين الزبرجديتين  
 تحييه : « دائماً حَذِرْ يا أوديسوس ، وإلى الأبد يملأ الوسواس صدرك ،  
 رغم ما أوتيت من حكمة وتديان ورجاحة فكر وسلامة جنان ا بيد أنك  
 معذور يا صاح ، إذأى رجل يتشوف لرؤية زوجه وأبدائه ولا يتحرق  
 شوقاً للقيام ، بعد هذا النوى الطويل ، والبعد الممض ، والأنهوال الجسام  
 الجثة ؟ غير أنه أفصل لك ألا تعلم شيئاً ولا تسأل عن شىء حتى تلمس  
 بنفسك مقدار ما تكنه لك من الحب ، تلك الزوجة الوفية المخلصه التى  
 ذهب شبابها عليك حسرات ، والتى ذرفت دموعها من أجلك آناء الليل  
 وأطراف النهار طوال تلك السنين الباكية الخزينة الموحشة . إني  
 لم أتركك يا أوديسيوس كما تظن ، بل كنت أعلم أنك راجع دون ما ريب  
 إلى بلادك ، وإن فقدت كل رجالك ورفاق سفرك الطويل الشق .  
 غير أننى أسفقت أن أثير حنق نبتيون ، عمى وشقيق أبى ، الذى يحز الأسى في  
 قلبه من فعلتك التى فعلت بعين ابنه السيكلوب ... ولكن هلم ... إني  
 سأقطع شكك باليقين ، وسأدلك على علائم تؤكد لك أنك فى إيثاكا ...  
 فهذه هى ميناء فورسير حكيم البحار ، وهامى الزيتون السكبرى عند رأس  
 المرفأ وعلى مقربة منها ذلك الكهف المقدس الإلهى الذى تأوى إليه  
 عرائس البحر المعروفة باسم النياذ ، وقد طالما كنت تجزر القرايين والأصاحى  
 باسمهن عند وصيده ، وهالك جبل نيريتوس وأولئك غاباته الشجراء ... »  
 ثم رفعت ربة الحكمة الغشاوة عن عينيهِ فعرف دياره ولم ينكر شيئاً منها ،  
 وهكذا شاءت العناية أن يشهد البطل المكدود بلاده الحبيبة مرة أخرى ،

وهكذا خراً أديسيوس جاثياً يقدل ترى الأرض المقدسة ، ثم رفع يديه يصلى  
لعرائس الماء كسابق دأبه : « يا عرائس البحر ، يا بنات جوف الأعظم ، لقد  
قنطت قمل هذا من أن أراكن ، فهأنذا أعود إليكن بألف ندر وألف  
تحية وسلام ... وآسكن القرايب النوالى إذا مدت أختيكن — مينرفا  
الحكيمة — فى أيامى وباركت رجولة ولدى ومعد أحلامى » .

وقالت ابنة جوف تؤيده : « تشجع يا أديسيوس لا طائل لهذه  
الوساوس التى تعذبك ! هلم ! البدار ، البدار ! لنجى هذه الكنوز فى  
أغوار ذلك السكف السحيق لتكون فى مأمن من عبث عابث ، ثم هلم  
أدبر الأمر معك » وانطلقت الربة فى ظلمات السكف تتكشفه بينما حمل  
أديسيوس أخضاره فوضعها حيث أشارت مينرفا ، ثم حملت بيديها  
الجبارتين صخراً عظيماً فأحكمت به غلق المدخل الرهيب . وجلسا عند  
أصل زيتونة باسقة ، وشرعا يرسمان الخطط ويحكمان التدبير لهلاك العشاق  
الفساق المعاميد ، فقالت مينرفا : « أديسيوس ، يا ابن ليرتيس المجيد ،  
هلم لأعمل فكرك الآن فى الوسيلة التى تبديد بها أهدائك الذين لا يستحيون ،  
أولئك العشاق الذين استبدوا بأسرتك طوال أعوام ثلاثة ، واستباحوا  
حماك ، وتكالبوا حول زوجتك كل هذه السنين يغرونها بالوهود ،  
وبزخرفون لها الأمانى ، ويعملون لها كلمة الفسق ، وهى ما تزداد إليك  
إلا تحرقاً ، وما ترقأ دموعها من أجلك ، فتحتال لهم ، وتعد هذا وتوشى  
لنى لذلك ، معلة نفسها بعودتك لمسحهم جميعاً ! » واستعبر أديسيوس  
قليلاً وقال : « أوره ! كأن القضاء الذى أسكت نامة أجامنون يكاد

يحيق بي أنا الآخر في صميم داري ! ولكن .. وى ! أضرع إليك أيتها  
الربة أن تشيري على وتنصحي لي وتلقيني كيف أثار من هؤلاء الطغاة ؛  
وأتوسل إليك أن تقذفي في قلبي الشجاعة كما قذفتها فيه تحت أسوار طروادة ،  
فإني بعونك أدوخ المئين من أهدائي ، وما دامت يدك فوق يدي ، فإني  
مستأصل شأفتهم جميعاً » قالت مينزقا : « اطمئن يا أوديسيوس ، فسأكون  
معك وإن لم يمتد إلى طرفك حتى تغتالم أجمعين ، وحتى تطيح رؤوس  
أكثرهم على أرض قصرِكَ ... ولكن تعال ، ألق بالك إلى ، إني سأغير  
من هورتك ، وأحور من شكلك حتى لا يعرفك منهم أحد ؛ فهاتان  
الوفرتان <sup>(١)</sup> تستطيلان حتى تغطيا كتفك وحتى تتصلا باللمة <sup>(٢)</sup> ، وسأدترك  
بدثار مرقع رث يشير التعمز في نفوسهم فلا يمدون أبصارهم إليك ،  
وسأحدث أوراما حول عينيك تزيد في تفكيرك ، حتى ليحسب من  
يرى إليك من أعدائك أنك وأهلك بعض المساكين الذين لا يفتأون  
يضربون في الأرض ... على أنه ينبغي أن تلقى راعيك الأمين ( إيبومايوس )  
الرجل الوفي الذي لا يزال يخلص لك ، ويبقى لابتك ، ويؤثر بأصني وده  
زوجك ... فاذهب إذن إلى جُبيل كوراكس المطل على نبع أريثوزا ،  
تجد قطعانك ترعى العشب الخلوثة ، وتسقى من السلسبيل الجاور ؛ وتجد  
راعيك الشيخ يتشوف إلى رؤيتك ، نخيه واجلس إليه ، واسأله عن  
كل ما ترى أن تعرف من أنباء بيتك وأهلك وعقارك ، وتلبث معه حتى  
أعود إليك بابنك من أسبرطة ... إبتك تليماك الذي ذهب يذرع الرحب

١ - (٢ - ١) الورة ما بلغ شحمة الأذن من الشعر واللمة ما ألم بالنتكب منه .

سائلاً عنك ، متحسداً أحبارك حيث حل ضعيفاً كريماً على الملك منلوس ،  
 الذى أرسله إلى ليسديمون ليرى هل لا يزال أبوه حياً يرقق ؟ » قال  
 أوديسوس : « وأسماء عليك يا ولدى !! ولم أيتها الربة الحبيطة بكل شيء  
 لم تخبر به أننى حى أرقق وأننى لا بد عائد إليه ، فكنت كفيته بلاء  
 الرحلة فى تيه البحر ، بينما هؤلاء الكلاب يستنزفون ثروته وماله ؟ »  
 فقالت تجيبه : « لا تأس على ولدك هكذا يا أوديسوس ؛ لقد أرسلته أنا  
 ثمة ينشد الشرف وينشر ذكره بين الناس ... إنه لا يلقى عنقاً هناك ،  
 بل هو ينعم بالرعاية فى قصر أنريديس ! واعلم أن فريقاً من عشاق بنلوب  
 يترصون به ، ويترصده فى طريقه ابتغاء أن يقتلوه قبل أن يبلغ أرض  
 الوطن .. ولكن لا .. خاب فألمهم ... إنهم لن يمسه بأذى حتى  
 تكون الأرض قد رويت من دمائهم ، وغيبوا جميعاً فى بطونها ؛ أولئك  
 السفلة الذين يستحلون زادك وعتادك الآن » . ثم مسسته بعصاها السحرية  
 مدت عليه بدوات الكبر ؛ فهذا جلده قد تغضن ، وهاتان وفرتاه ولته  
 قد استطالت حتى بلغ شعرها قدميه ، وهما هى ذى تضفى عليه الدثار المرقع  
 الرت ، وهما هى ذى تحدث الأورام حول عينيه وتزوده بمزق قذرة  
 علق بها التراب والسخام<sup>(١)</sup> وهما هى تضفى عليه بعد ذلك جلد ظبي قديم  
 غليظ وتدفع إليه بمكازة طويلة يتوكأ عليها ، وتمده بمزود<sup>(٢)</sup> تدلت منه  
 أوشية قبيحة ، وأحيط بسيور من جلد عتيق ...  
 وافترقا ... فهو إلى حيث يلقى راعيه ... وهى إلى حيث تلقى تليماك  
 فى مملكة ليسديمون .

(١) الفحم أو ما يعرف بالعامية بالهباب .

(٢) خرج .

## سبع السرى

وسلك سبيله فى طريق وعمر مخفوف بالأشجار الباسقة إلى ماري  
صديقه الراعى الشيخ الأمين ، فوجده جالساً وحده فى مدخل الحظيرة  
الشاسعة القائمة وسط المرج المعشوشب النضير . ولقد سورها يومايوس ،  
إذ سيده غائب فى أقصى الأرض ، بسور عظيم ضخيم من حجارة قوية  
نحتها من محجر قريب ، وجعل على السور فروعاً من قتاد وشوك وحذوفاً  
من سنديان ، حتى صارت أمتنع من عقاب الجو . . كل ذلك دون أن  
يساعده أحد ... ثم قسمها اثني عشر زباً<sup>(١)</sup> جعل فى كل منها خمسين  
خنزيرة كفازاً ... أما دُكران الحمازير فقد تركها سائبة فى الخارج  
ليرسل منها إلى العشاق المعاميد ما يأكلون منه وما يرينون . . وقد بقى  
منها بعد تلك الأعوام الطوال ستون وثلاثمائة . وربضت لدى الباب كلاب  
أربعة كسباع البرية ، تلحظ الحظيرة بأعين كالجر ؛ وجلس الراعى يعمل  
لنفسه نعالاً من جلد ثور مذبوغ ، بينما انطلق خدمه ومعاونوه الأربعة  
يعملون ويدأبون هنا وهناك . وكان رابعهم على وشك أن يترك الحظائر  
إلى المدينة ، حاملاً لحم خنزير حنيذ يذهب به برغمه إلى العشاق الفساق .  
ولحت الكلاب أودسيوس فأهرعت إليه ، وظلت تعوى وتنبج ، وترغى  
وتزبد ، وأوشكت أن تفتك به ، لولا أن يهب يومايوس فكسر شررتها

---

(١) الرب : الرربة للغم .



بما رماها به من الحجارة ، ولولا أن ترك أوديسيوس عكاره يسقط  
من يده لأن الكلاب لا يغيظها إلا أن يُمسك لها أحد عكازاً ... قال  
الراعى : « أيها اللاجئ العجوز سلمت ! خطوة واحدة ، وكانت هذه  
الكلاب قد مزقتك إرباً ، وكانت قد لحقت بى سبة لاتنيد! ألا كم ترسل  
على الآلهة من كروب ! وكم ترمينى به من آلام ! أنا ، هذا العجوز  
الهالك ، الذى أمضى الحزن ، وشفنى الأسى من أجل سيدى ومولائى !  
هأنذا أؤمن قطعانه وأرعاها لينعم بها غيره ، بينما هو نازح غريب يحب  
الآفاق ويشتهى كسرة يتبلغ بها ، إن كان لا يزال حياً يرقق ! أوه !  
تعال أيها الصديق ، هلم فاتبعنى إلى دارى أطعمك ما تيسر ، وأسقك  
كفأيتك من الخمر ، وتخبرنى بعدها من أنت ، ومن أين أقبلت وماذا  
وراءك ! » وانطلقا ، وقدم إليه الراعى الكريم حَشِيئَتَه التى كان يجلس  
عليها ، والتى اتخذها من جلد عنز حشاه بالقش ؛ فشكره أوديسيوس ، ودعا  
له بما يحب وبكل ما تصبو إليه نفسه . فقال الراعى يجيبه : « أيها الصديق  
ليس أمقت إلى من أن أذود لاجئاً إلى دارى وإن يكن أرث منك حالا ،  
لأن أبناء السبيل جميعاً هم ضيوف زيوس رب الأرباب وأنا مع ذاك  
أعذر إليك إذا لحظت أن زادى قليل وأن حالى رقيقة ، فلقد مضى زمن  
العز والعيش الواسع الخفرج وأصبحنا نعاني القل والفاقة والعيش الفكد  
تحت إمرة هؤلاء الرؤساء الأصاغر . آه يا مولائى يا زين الحياة ومؤدب  
الناس أين أنت وأين أيامك وخيرك الوفرة؟ امتهدامت ، وليعتك ظالت فعشنا  
فى كنفك ... وليت هيلين وكل من فى بيت هيلين مداؤك ... هيلين

التي قتلت سادات هيلاس<sup>(١)</sup> رَمَنَ أبجروا مع أجاممنون لينيلوه النصر في  
ميدان طروادة ! ». ثم للم دثاره وذهب إلى الزرب الأول فجاء بخنزيرتين  
سمينتين فذبحهما وسـلخ جلديهما ، وجعلهما إزباً لإزباً ؛ ثم أشعل  
ناراً عظيمة فسوّى على جرها السفاميد المثقلة باللحم ، وجاء بالشواء فوضعه  
أمام أوديسيوس ، ثم نثر عليه من الدقيق ، وأحضر زق الحنجر ، وجلس  
قبالته وقال : « هلم يا صيفي العزيز فكل وارو ... لا تؤاخذني إذا رأيت  
الشواء لا سميناً ولا حنيذاً ، فكل سمين وحنيد يذبح أولاً فأولاً ويرسل  
إلى العشاق السفلة الذين لا يرعون في الآلهة إلاّ ولا ذمة ، ولا يخافون  
سماء ولا بشرأ ... يا لله من هؤلاء الفجرة ... ألا يلمون شعبهم ويشيرون  
بغيلهم ورجلهم على بلد قاص فيثوبوا بأسلاب الغزو وسخط الآلهة ؟ أم  
ترام أوحى إليهم بموت مولاهم فهم هنا قائمون ما يريمون ، ولزاده آكلون  
ومن خمره شاربون ، حتى فرغت الجرار ، وخوّت الدار ، وضوّل الزرع  
وجف الضرع !! أبدأ ما ملك أحد مثل ما ملك مولاي ! لقد كانت ثروته  
تعادل ما يملك عشرة أو عشرون أميراً ؛ ولا أزال أذكر مما ماسكت يده  
اثني عشر قطيعاً من الأنعام كانت ترعى العشب في مروج الشاطئ<sup>(٢)</sup> .  
المقابل ، وكثيراً من قطعان الأغنام وأرغال<sup>(٣)</sup> الخنازير وأسراب الماعز ،  
عليها أجراء وخدم ورعاة لا يحصون ، ورجال مخلصون يزرعون في حقوله  
الشاسعة ويحصدون ، ورجال يحلبون من قطعانه كل كناز للذبح ...

(١) اليونان وتسمى أخايا أيضاً .

(٢) لعله شاطئ آسيا .

(٣) جمع رغيل ويجمع على رغال أو أراعيل وهو في الأصل للغيل والبقر .

أما أنا .. فقد عهد إلى هذه الأرجال التي ترى ، أطعمها وأعني بها ،  
و ... وأسماه ؛ وأرسل إلى العشاق كل يوم بخيارها .

وصمت الراعي بينما كان أودسيوس يصغى ويلتهم طعامه ويسكر  
ألف فكرة ، ويدبر ألف تدبير لسحق هؤلاء العشاق المغاليك . حتى  
إذا انتهى ، قدم إليه يومايوس كأسه دهافا ، فقبلها وشرب ما فيها وقال :  
« ترى ما ذا كان اسم سيدك أيها الصديق ؟ لا بد أنه كان مشهوراً  
ذا ذكر ، لما وصفت من واسع ثرائه وسمو جاهه وبسطة ملكه . لقد  
قلت إنه ذهب إلى طروادة مع أجائمنون ، فهل تتفضل فتذكر لى اسمه  
عسى أن أقص عليك من أنبائه ؟ لقد ذهبت أما الآخرة ، وسافرت في  
بلاد شتى ، ومحال ألا أعرف العظماء الذين جاهدوا مع أجائمنون . »  
فأجابه الراعي : « وأسماه أيها الأخ العجوز ! أبداً لا تنطلي الأنبياء  
الملفقة عن مولاي على زوجه أو ولده ؛ فكم من جواب آفاق مثلك ،  
محتاج إلى لقيات أو سروال ، قد لقي الزوجة المسكينة فلنق لها قصصاً  
مكذوباً عن رجلها ثم دلت الأيام على كذبه وزحرفه ، والزوجة في كل  
ما تسمع تذرف الدموع وتصعد الآهات كأحسن ما تصنع زوجة وفية  
من أجل زوجها الذي قضى في بلد بعيد . وأكبر ظنى أنك تطمع في  
كساء تخلعه عليك هذه الزوجة المفثودة الرئوم ، فأربع عليك ، فالرجل  
قد قضى ، وليس بعيداً أن تكون كلاب البرية وسباعها قد اغتذت به  
أو أنه قد غرق فأكله السمك ، ولغظت عظامه على سيف البحر  
اتذروها الرياح ، تاركاً وراءه قلوباً تأسى عليه ، أحزنها عليه قلبي .

تالله ما وردت أن أرى أبوى اللذين غادرتهما منذ أحقاب كما أتشوف  
اليوم إلى رؤية هذا الرجل .. آه يا أوديسيوس ! أين أنت .. إنك مهما  
تطت النوى وشحطت الدار فلن أبرح أذكرك وأصبح باسمك وأورك  
بما أحسنت إلى وعنيت بشأى ، يا من فراقك عندى آلم لى من فراق  
أعز إخوتى وأشقائى ! »

وحدجه أوديسيوس وقال : « أيها الصديق لم تياس من عودة  
مولاك هكذا ؟ ولم يخامرك الشك فى أن رجوعه محتوم لا ريب فيه ؟  
إذن فأنا أقسم لك قسما لا أحدث فيه أنه عائد لا محالة ، ومعاذ الآلهة أن  
أقسم وأؤكد الإيمان لأنال القميص الذى ذكرت أو الدثار الذى أنا فى  
تسدة الحاجة إليه ، بل ليبقى القميص والدثار حتى يتحقق قسمى ونهر  
يمينى فأتسلهما منك ، فإني أمقت الكاذب الخائن فى يمينه كما أمقت  
أبواب الجحيم ، والله على ما أقول وكيل ... إطمئن إذن يا صاح ، وثق  
أن أوديسيوس لا يبد عائد هذه السنة إلى إيثاكا بل ربما عاد هذا الشهر ،  
وإن يفضى شهر آخر حتى يكون قد ثار لعرضه من أعدائه وبطش بهم  
جميعا ... أولئك الفجرة الأشرار الذين جسروا على استباحة حماه ،  
وإهانة روجه ، وعدم المبالاة بولده ! » وسخر الراعى وقال : « أهكذا  
تقسم وتؤكد القسم يا صاح ؟ أبداً إن تنال الرهان أبداً ، فقد أودى  
أوديسيوس ولن يعود بعد ... هلم هلم ، نحس كأسك الروية ودع هذا  
الحديث فإنه يحزننى ويثير شجونى ... خل قسمك ، وليقدم أوديسيوس  
فى خيالك أو فى الحقيقة ، فأنا وزوجه وأبوه وولده ... كلنا نشتهي ذلك

ونتمناه على الآلهة .. يا ويح لك يا تليماك الحبيب ! لقد كست أرقص  
طرباً كلما رأيتك تنبت كما نبت أنوك ، وتشب على العضايل التي شب  
عليها ! أين أنت ؟ لقد ذهبت إلى ملك ييولوس تتجسس أخبار أبيك ،  
وهام العشاق يترصدونك ويترصدون بك ليغتالوك في الطريق . ألا  
طالت أحلامهم ، وحمالك جوف الأعظم من مكرم ، وحفظك ابنت  
أرسسياس يا أعز الناس ... ؛ ولكن تعال أيها الضيف الكريم ...  
قل لي بربك واصدقني في كل ما تقول : من أنت ، ومن أين أقبلت ،  
وفيم قدمت ؟ وما بلدك ؟ وأين يقيم أنوك ؟ وأي سفينة حملتك إلى  
شاطئنا ؟ فلعمري إنك لن تدهى أنك وصلت إلينا سائراً على قدميك !! »  
فقال أوديسيوس بحجبه : « سأقص عليك من أنباء التي لا يأتها الباطل  
مالوايت عندك عاماً بين هذه الخمر وذاك الطعام ، بينما يكذب الآخرون من  
أجلنا ويجهدون ، ما فرغت من قصها عليك ... هي أنباء باكية وآلام  
متصلة ، شئت السماء أن أقاسيها ، وأن أجرع غصصها . إذن فأنا ابن  
كاستور هيلاسيد أحد سراة كريت ، من سرّيته الحبوبة التي كان يعزها  
كزوج . ولم يكن أي يفرق بيني وبين إخوتي من زوجة ، بل كان  
يوليننا حبه على السواء ، وكان الناس يبجلونه كأحد آلهتهم لثرائه الواسع ،  
وحسبه الضخم ، ولأعماله الناجحة ؛ فلما مات اقتسم أبناؤه كل ما ترك ،  
وكان نصيبى منزلاً متواضعاً ، ومالاً كثيراً ، وزوجة غنية ذات مال  
وجمال . ولم يحاول إخوتي أن يذعنوني أو يأكلوا تراني ، لما كنت عليه  
من كريم الحصال وحيد الفعّال ، وجمال المنظر ووسامة المظهر — لا كـ

ترانى الآن — واسعا على ما فات من نضارة الشباب ! تالله لن نستطيع ،  
 ولن يستطيع أحد ، أن يحبسكم شقيتكم بكم بكم ، وكم من الآلام  
 والصنك وأوضار الحياة تحملت ؟ فلقد كنت لا أهرب الردى ، وكنت  
 دائما أحوض أخبار المعامع فى حى مارس ومينرفا فأشك قلوب الأعادى  
 وأههر القادة والزعماء بجلائل الأعمال ... ولم يكن من دأى أن أتغلغل  
 نفسى بأكلاف البيوت ومشاكل الحياة المعيشية الدنيا ، التى هى بالأحداث  
 والغلمان أولى ، بل كنت مشغولاً أبداً بركوب البحار وخوض غمار الوغى ،  
 وملاعبة الأسنة ، وما إلى ذلك مما جعلته السماء غراماً وفرحاً لى ، وضراماً  
 وفرحاً فى فؤاد سواى — والناس كما تعلم فيما يعيشون مذهب .. ولست  
 أرسل القول على عواهنه ، فلقد قدت إلى طروادة تسعة جيوش ظمّرت  
 بميالقها قبل هذه الحرب الضروس الأخيرة بينها وبين هيلاس .. ولقد  
 حزت الثراء الجمل والغنى الوافر من جراء هذه الحروب ، فأصبحت بين  
 شعب كريت المفضل المبجل ... ثم كانت الحرب الأخيرة التى قتل بسببها  
 مئات من السادة الصناديد من رجال الإغريق ، فاختروني أنا وصاحبى  
 إيدومين قائد للأساطيل ... ثم حاربنا حول طروادة تسع سنين حافلات  
 مُثقلات ، وفى العاشرة سقطت المدينة فى أيدينا ، وعدنا أدراجنا نطوى  
 اليم لا ندرى ماذا خبأت لنا المقادير ؛ ومن ثم بدأ جهوف يرسل صيِّباً من  
 الرزايا فوق رأسى ، حتى إذا وصلت إلى كريت سالماً لم ألبث طويلاً  
 هناك ، ولم أمتع النفس بالأهل والوطن إلا شهراً واحداً ؛ ثم أقلمت فى  
 نخبة من رفاقي بأسطولنا إلى مصر بعد أن أولت لهم وقربت القرابين .

وقد أرسلت العناية لنا ريحاً جرت بسفناً رخاء ، كأنما أبحرنا مع تيار نهر  
لا جبار ولا عنيد ، ولم يحدث لأى من جوارينا سوء حتى بلغنا سبطان  
مصر فى اليوم الخامس ، واتخذت سفناً سبيلها فى النيل عجباً ... ثم حدث  
ما لم أود أن يحدث ، إذ سطار رجالى بعد خُلفٍ فى الرأى وشجار بينهم  
عنيف على حقول الفلاحين فاستاقوا أنعامهم وسبوا نساءهم ، واسترقوا  
أطفالهم ثم ذبحوا رجالهم .. بيد أنهم لم يسلموا مع ذلك من شر المصريين !  
إذ استيقظت المدينة على صراخ الجرحى وأنين القتلى ونصويت النساء فقبل  
أهلها كالجراد ، بين فارس وراجل ، وكل يحمل السيف البقار أو الرمح  
السهمى ، فأعملوا فينا ضرباً وتقيلاً واستنقذوا السبي كله ، وشفوا حرد  
صدورهم منا .. أما أنا ... فيا ليتنى قتلت فيمن قتل واسترحت من هذه  
الدنيا التى جرعتنى ضعف هذه الآلام بعد ! لقد كنت أشهد رجالى  
يهوون إلى الأرض ، وأعلم أن جوف قد أنزل هذا البلاء بهم جزاء لهم  
وفاقاً ؛ فلما رأيت أننى لا محالة شارب بالكأس التى شرب بها رفاقي ،  
ألقيت سيفي ، وجريت أعزل من السلاح إلى حيث الملك الكريم ،  
فركمت بين يديه ، وقبلت الأرض إجلالاً له ، وبكيت ما شاء جوف أن  
أبسكى ، ثم سألته العفو والمغفرة ، فرق لى ، ورثى لحالى ، وأمر بى فأخذنى  
فى جملة خدمه وخوله إلى المدينة . وقد رام رجاله أن يقصدونى برماحهم لولا  
أن صدم مخافة من الله الذى آمن اللائذين به ، المستذرين بظله . ثم لبثت  
فى أهل مصر سبع سنين هانئاً سعيداً محبوباً من الجميع . وحدث فى السنة  
الثامنة أن قدم إلى المدينة رجل فينطق جواب آفاق ، ما زال فى حتى

أَفْنَعْنِي بِالْعَرَارِ مَعَهُ إِلَى بِلَادِهِ ، وَأَغْرَانِي بِأَنْ لَهُ ضِيَاعًا وَأُمْلَاكَ وَمَالًا ، فَفَعَلَتْ ،  
وَلَبِثْتُ مَعَهُ حَوْلًا بِأَكْمَلِهِ ، ثُمَّ حَدَّثَ أَنْ كَلِمِي بَعْدَ هَذَا الْخَوْلِ فِي رَحْلِهِ  
لَا أَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ ، كَانَتْ أَكْبَرُ الظَّنِّ لِلْسُطُو وَالْقَرْصَنَةِ ، أَوْ عَلَى الْأَقْلِ  
لِأُبَاعٍ فِي بِلَدٍ قَصِيٍّ بِبَيْعِ الرَّقِيقِ ، فَيَنْتَمِعُ شَمْسِي ... وَرَحَلْنَا .. وَلَكِنْ  
عَاصِفَةٌ جَبَّارَةٌ هَبَّتْ عَلَيْنَا وَتَلَاعَبَتْ بِنَا ؛ وَعَبَسَتْ السَّمَاءُ ، وَكَالِحَ الدَّأْمَاءُ <sup>(١)</sup>  
وَتَمَرَّدَ مَنْ تَحْتَنَا الْمَاءُ ، ثُمَّ أَرْسَلَ جَوْفُ صَوَاعِقِهِ عَلَى السَّمِينَةِ فَفَقَصَهَا ...  
وَعَرِقَ الْمَلَا حُونَ جَمِيعًا ! ... وَأَكْرَمَنِي اللَّهُ الْعَلِيُّ الْإِلَهِ الْإِلَافِ مَبْعَثَ إِلَى بَقْلَعِ  
السَّمِينَةِ الْأَكْبَرِ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ ، وَلَبِثْتُ الصَّبَا تَقْدَفُ فِي سَحْرِ الْجَنُوبِ أَيَّامًا  
تَسْعَةً ، وَفِي ظِلَامِ اللَّيْلَةِ الْعَاشِرَةِ ، دَفَعْتَنِي عَلَى شَطْئَانِ تَسْبَرُوتِيَا حَيْثُ  
أَكْرَمَ مَشَايَ مَلِكُهَا الْعَظِيمُ الْبَطْلُ فَيَدُونُ ، وَعَنَى بِشَأْنِي . وَذَلِكَ أَنْ  
وَلَدَهُ رَأَى طَرِيحًا عَلَى الشَّاطِئِ ، أَكَادَ أَمُوتَ مِنَ الْبَرْدِ وَالْجُوعِ ، فَحَمَلَنِي  
إِلَى قِصْرِ الْمَلِكِ حَيْثُ رَدَّتْ إِلَى الْحَيَاةِ وَأَعْطَيْتْ دَنَارًا وَصَدَارًا ، وَخَصَصَتْ  
لِي غُرْفَةً فَمِجْحَةً ذَاتَ أَرَانِكِ ... وَهَنَّاكَ سَمِعْتَ عَنْ مَوْلَاكَ النَّازِحِ ،  
الْبَطْلِ أَوْدِيسِيُوسَ ، وَرَأَيْتَهُ بِعَيْنِي رَأْسِي وَقَدْ ذَكَرَ لِي عَنْ فَضْلِ الْمَلِكِ  
وَإِكْرَامِهِ مِثْلَهُ ، مَا بَرَهَنْتُ عَلَيْهِ أَعْمَالُهُ ؛ ثُمَّ أَرَانِي أَوْدِيسِيُوسَ كَنُوزِهِ  
مِنَ الذَّهَبِ وَالنَّحَاسِ وَطَرَفِ الْحَدِيدِ الَّتِي جَمَعَهَا فِي أَسْفَارِهِ ، وَالتَّتِي تَكْفِي  
لِلنَّفَقَةِ عَلَى أَسْرَتِهِ عَشْرَةَ أَحْقَابٍ ... وَكَانَ الْمَلِكُ يَحْفَظُهَا لَهُ فِي غُرْفِ  
كَثِيرَةٍ فِي قِصْرِهِ <sup>مُتَوَسِّطٍ</sup> إِعْزَازًا لَهُ وَتَكْرِيمًا ؛ وَذَكَرَ لِي أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى دَدُونَا  
النَّائِمَةِ بَيْنَ أَحْضَانِ الْحُورِ وَالسَّنْدِيَانِ لِيَسْتَوْحِيَ كَاهِنَ چَوْفِ الْأَكْبَرِ عَمَّا إِذَا



كان حيراً له أن يذهب إلى بلاده متنكراً ، أوفى صورته الصريحة الحقيقية بعد هذا الغياب الطويل عن أهله . وقد أكد لى الملك أن المركب الذى سيجمل أوديسيوس إلى بلاده — إيثاكا — معد فى المرفأ ولولا أنى أبحرت قبله لشهدته بعينى يركب الفلك ، ذلك أن فلكا آخر للملاحين من جزيرة دلشيوم كان راسياً فى الميناء ، فأمرهم الملك أن يحملونى معهم ويذهبوا بى بأقصى ما يمكنهم من السرعة إلى الملك أكاستوس . ولكنهم — وأسماء تآلبوا على فى عرض البحر ، وتآمروا بى ونزعوا صدارى ، ونضدوا ثمارى ثم انتهزوا فرصة المد فأرسلوا بى إلى شاطئ إيثاكا ، بعد أن ألبسنى تلك البرة القبيحة التى ترى . ولكى لا أقاوم أدنى مقاومة ربطوا ذراعى وساقى وشدوا وثاقى فى السارية فلم أبدأ حراكا . بيد أن الآلهة رأفت بى وحلت وثاقى فقفزت بنفسى فى الماء وسبحت إلى الشاطئ حيث وجدتهم يعدون عشاءهم ويلتهمونه سراعاً .. وقد اختبأت فى الأدغال الكشيفة فلم يرونى ... وهالهم ألا يجدونى حيث شددوا وثاقى ، فذهبوا يبحثون عى حتى إذا لم يقوموا لى على أثر ، أقاموا عمولين ، وبجائى الله منهم ، وساقنى إلى الرجل الصالح الطيب الذى وصل حياتى وأكرم مشواى ... »

فقبسم يومايوس وقال : « تأله لقد أثرت فى فؤادى مقاتلتك أيها الضيف الكريم ، وأشجائى ما لقيت من أهوال ! ولكنك كما يبدو لى لم تكن جاداً فيما رويت من أنباء أوديسيوس فلم أيها الأخ عليك من سيما النبل ومخايل الفضل ما عليك ، تلفق مثل هذه الترهات المضحكات ؟ أما والله إنه إن يكن قد نجا من الموت فى ساحة طرواده مما ألب عليه من سخط

الآلهة أجمعين ، فأكبر ظني أنه قد غدا جزر السباع وكل نسر قشعر ...  
 وأسفاه عليه ! ألا ليته قتل في سبيل بلاده في حرب عوان يحمى في غاها  
 بيضة الوطن ! إذن لبكاه جميع الإغريق ، ولاجتمعت هيلاس كلها تتنافس  
 في صنع لبنات قبره ، وتخليد ذكره ، ولأورث ولده الحمد والخلود ! هأنذا  
 يا صاح ثاوي هذا المكان ، لاصق بذلك البيت العتيق ، يقد على في كل  
 آنة غرباء مثلك ، يروون لي القصص ، ويلفون الأحاديث عن مولاي ،  
 فبعضهم يبكيه ويتحسر عليه ، وبعضهم يوشى الأكاذيب لينغم بعض  
 الرفد وينال بعض المطاء ، حين أقدمه للملكة الحزينة الكاسفة ،  
 بنلوب ! وامرئ ما انطلت على يوماً أحاديثهم ، ولاخذت مرة بما روقوا  
 وزوقوا ! ! أفتحسبني أصدق ما رخرفت أنت الآخر عن أوبة مولاي  
 مثقلاً بأحمال الذهب من كريت ، واهماً أنني بهذا أنالغ في إكرامك ،  
 وأحرص على التلطف بك ؟ لم تصنع هذا أيها الرفيق بعد أن ترفت بك  
 الآلهة ، وهدتك إلى شاطئنا ؟ أما والله إنى إنما أكرمتك حباً يحوف  
 ورهبة من بطشه ولما جاش في صدرى من الشفقة عليك والثناء لك ،  
 والتألم من أجلك . » وقال أوديسيوس يحبيه : « لشد ما أوتيت قلباً أفعته  
 الوسوس ، ونفسا ساورتها الشكوك أيها الشيخ ! هبها أبناء ملفقة ، فما  
 يمينى التى أقسمتها لك إذن ؟ تعال ! هلم نتقاسم يميناً تكون آلهة الأولمب  
 عليها شهداء ، إنه إن أب مولاك إلى بيتك هذا في أقرب ما تظن من  
 الزمان ، فيكون لى عليك صدرار ودثار أصلح بهما شأنى حين أعود أدرأجى  
 إلى دالسيوم ... فإن لم يؤب كما عاهدتك فتجتمع أنت ورجالك وعمالك

وتقذفوا بي من رأس قلة عالية سامقة يخشى أحقر الآفاقيين أن يترع عليها  
وأجابه راعي الخنازير: جميل والله أيها الغريب اللاجئ! تسكون ضيفي،  
وتؤاكلني وأؤاكلك على ما تُدتي، وتطمئن إلي، وتأتمني، ثم أؤدِّفُ  
بك من حالي؟ جميل والله هذا أو تضع صلواتي ونسكي لدى جُوف العلي!  
مه! هلم هلم، المشاء يا صاح! لقد آن وقت العشاء... البدار قبل أن يدهمنا  
عمالنا فيزحوا المائدة ولا تجد لك مكاناً بينهم»

وهكذا تشق الحديث بين الرجلين؛ ثم وصلت رجال الخنازير  
وأهرعت إلى حظائرهما حيث ارتفع قُبَاعُهُمَا<sup>(١)</sup> وعلت ضوضاؤهما... وهتف  
الراعي بأحد غلمانه فأمره أن يحضر واحداً من أسمنها لعشاء الضيف ولعشاء  
الرعاة... «... أفما نستحق واحداً منهم؟ عما تلتم بطون غيرنا الذين  
ينعمون بباركنا ونصبنا؟»

وجيء بخنزير جسد، وأججت النيران واتقد الجمر، وصلى يومايوس  
للآلهة، ودعا لمولاه بالخير! وتمنى له العود أحمد العود، ثم أهرى بشاطوره  
على عنق الحيوان فخر يتلبط في دمه؛ وسامخوه بعد ذلك، وهم به يومايوس  
فقطعه، ووضع إرب اللحم على صبيغ الشحم، ونثر من الدقيق على كل  
ذلك، ووضع الجميع في الجمر، وكلما نصح شيء وضعه الغلمان على المائدة،  
حتى إذا فرغوا تولى الراعي المعجوز توزيع الأنصبة، فجعل لابن مايا<sup>(٢)</sup>  
سبعة أسهم، ولعرائس الماء سهماً واحداً؛ وجعل لكل من عماله نصيبه  
بعد أن أحف أوديسيوس بأجزل الأنصبة جميعاً، ثم كان يده بعد ذلك

(١) القاع بالضم صوت الخنازير،

(٢) هرمز.

بإمدادات حبة ١١ مما أطلق لسانه له بالشكر وعليه بائثناء ... ورد عليه  
 الراعى فى أدب وافر : « إن الله هو مانح كل شىء يعز من يشاء ويذل  
 من يشاء ، ويعطى ويسلب ، له الملك ، لا شريك له » . ثم أدوا صلاتهم  
 الخيرية فهراقوا المدامة للآلهة ، وكذلك صنع أوديسيوس ؛ وهم ميسولوس  
 مولى يومايوس وخادمه الذى اشتراه بماله — فوزع الخبز ، ولبت يخدم  
 ويسقى ، ويحىء ويروح ، حتى إذا فرغوا نظف المائدة وأعاد كل شىء  
 إلى مكانه ؛ وانصرف القوم إلى مضاجعهم ليناموا ليلة ليلاء بمطرة شديدة  
 القر ، عظيمة البرد ؛ ونام أوديسيوس قريباً من مضيقه ، ولم يكن عليه  
 من الغطاء ما يقيه هول القرس<sup>(١)</sup> فلفق هذا الحديث للراعى الشيخ ولن  
 نام معه من عماله : « لله ما تصنع خرمك بالألباب يا قوم ! لقد أوشكت أهذى  
 وانتفض وأملأ شدى بالضحك ... ولولا هذا القر لقت فرقصت ، ولكنى  
 محدثكم حديثاً من أحاديث الشباب فيه هذيان وفيه ثثرة ، وفيه من حيا  
 سلافكم ما فيه . ألا ما أحلى أيام الشباب وما أروعها لو رجعت ! ! إن لها  
 لصدى فى نفسى يتردد ، وإنى ما عشت لن أنسى تلك الليلة القارسة  
 الشاتية التى قضيتها فى صدر الشباب وريمان الصبي مع صديق أوديسيوس  
 ومنلوس فى كهن تحت أسوار طروادة ، فى مستنقع آسن ذى قصب ،  
 مرقب من عدونا فرصة تظفرنا به وتنصرنا عليه ، مقنعين فى الحديد  
 والزرء ، صيابرين لما يصفعنا به بوريس<sup>(٢)</sup> من ريح عانية وبرد ،  
 ويسفمنا به من قر وبرد ، حتى انعقد الصقيع على دروعنا ، وكدت أما

(١) القرس البرد الشديد جداً .

(٢) ريح الشمال أو الصبا .

أجعد ويجمد الدم في عروقي ؛ لأنى والأسفاه استهنت أول الأسربما أنذرت  
به الحال من هذا المآل ، فخرجت في عدتي وسلاحي ، ولم ألبس معطلي  
ولم ألتفع رباطي<sup>(١)</sup> ، بينما قد احترز رفاقي فتدثروا بكل ثقل ... وخفت  
أن أصبر لهذا البرد فتكون القاضية ، فهتفت بأخي أوديسيوس : « أدركني  
يا ابن ليرتس النبيل فقد أشفيت على الهلاك من ذلك الزمهرير ! أدركني  
بأربابك فإنى قد استخففت بالفصل الذى نحن فيه فلم أحضر معى معطفاً  
ويكاد يقتلنى البرد ويهرؤنى الصقيع » . وأسكتنى أوديسيوس خشية  
أن يسمعنأ أحد فلا نفلت من الموت ، وقال لرفاقه : « أيها الإخوان !  
رايت رؤياو بودى لو يذهب أحد إلى أجامتون فيطلب لنا مَدداً فلقد بعدنا  
عن الأساطيل ، ولسنا بخير لما ترون من قتلنا ! » ، وانبرى لها أندريمون ،  
غفلع معطفه وأطلق ساقيه للريح ... وأشار أوديسيوس الخبيث إلى ،  
علبست المعطف واستدفأت به ، وحمدت الآلهة « أفليس فيكم أيها  
الأجاويد رجل رشيد ، فينزل لى عن معطفه أتقى به هذا البرد الشديد  
وأنا فى مثل سنى وأنتم فى ميعة شبابكم ؟ ألا تفعلون ! لتكن لكم هذه  
اليدهلى تفضلا أو تأدبا ! » وقال يومايوس يجيبه : « لا عليك يا ضيفنا  
العزيز ... إنك ابن تشكو برداً ولا تقصيراً عندنا ... وليس لى كل منا  
إلا دناره وصداره ومعطفه ، وليس لدينا منها كثير نباهى به ، ولسوف  
يعود تليماك بن سيدنا ومولانا فيمخاع عليك من الملابس ما يسرك ويهيجك ؛  
ولسكن رويداً فسأ كفيك عادة القر برغم هذا ... وبرغم ما غمرت فى

(١) الربطة تشبه الكوفية .

حديثك ولمزت ١١١ . ثم نهض فجمع شيئاً كثيراً من فراء الغنم وجعله  
للماعز فجعله ركناً بالقرب من المدفأ ، ثم جعل عليها ظهارة<sup>(١)</sup> من الصوف ،  
فصلحت بذلك أن تكون لأوديسيوس وسادة وثيرة ليس بها من بأس ،  
فام فيها فاستراح ، والتحف بفراء آخر ، وبات ليلته والابتهاج يفغر نفسه  
لما رأى من حرص راعيه على ذكره ، وحنينه للقيام ، وعنايته بقطعانه ...  
أما الراعي العجوز الشيخ ، فكأنما أثرت فيه مقالة أوديسيوس فهو  
فألقى عليه سلاحه ، وأضفى على كامله دروعه ، بعد أن خلع معطفه ،  
وأنزله بجلده عنز ؛ ثم أجلس بازيه الباشق على كتفه الضعيف ، وحمل  
حربته التي يذود بها الناس والسباع عن رعاله ، وانطلق في العراء ،  
حيث جلس على صخرة مشرفة على السهل ، وذلك ليحرس القطيع النائم ..  
غير عابئ بقرص الرياح ولا وحشة الليلة الليلية ...

(١) ظهارة الفراش ونمطه ما يفرش عليه كالملاء .

## عودة تليماك

ثم رفت مينرفا رفنتين أونحوهما ، سكانت في وادي ليسديمون  
الخصيب حيث حل تليماك ضيفاً كريماً على الملك ميناوس ، وحيث  
وجدته يتقلب على مراش السهد والأرق ، لا يستطيع أن يغمض عينيه  
من هول ما يفكر في أبيه ... بينا نام ابن الملك نسطور ملء عينيه نوماً  
هادئاً عميقاً على سرير مقابل لسرير القتي المحزون .

ووقفت الربة عند رأس تليماك وأنشأت تقول له : « إلام تظل هنا في  
مهاجرك بأقصى الأرض نائياً عن وطنك يا تليماخوس ؟ أو هكذا  
رضيت أن يأكل العشاق الفساق تراثك ويذهبوا بنعماء السماء عليك ،  
ثم لا تلبث أن تتوب إليهم من تطوافك بالآفاق بقبضة من هواء ، وخيبة  
من رجاء ! هلم هلم ! سل الملك أن يأذن لك في السفر من فورك فقد ألح  
جدك وأخوالك على أمك أن تتزوج من الأمير يوريم ، لما اتفق عليه  
من مهر ضخيم ، وتقدمات وافرة ، أضعاف ما وعد الآخرون ... هذا فضلاً  
عما يوشك أن يسلب من القتي العزيزة عليك من بيتك ، التي تنقص من  
هنا لتزيد فيما هناك ، فإنه ليس أحب من هذا إلى فؤاد المرأة ، وهي  
سرعان ما تنسى أطفالها من زوج شبابها ورفيق صباها من أجل زوجها  
الثاني الذي تود لو تهبه كل شيء . فالبدار البدار إذن ، وعد أدرأجك  
إلى بلادك لتحفظ تراث أبيك بنفعك حين تكون لك روجة صالحة

وذراير أنجاب ببركة السماء ورعاية الآلهة ... ثم خذ حذرَكَ يا تليماك ، فلقد  
اختبأ زعيم العشاق في ثلة من رجاله بين ساموس وإيثاكا يتر بصون بك  
ويترصدونك لينتالوك قبل أن تصل إلى شاطئ الوطن ... وإب فالهم  
لخائب ، وإن يفعلوه حتى يهال تراب الموت عليهم جميعاً ... ألا فارحل  
يا بني في ظلام الليل ، واجنب سيفتك أن تسلك سبيل ساموس ، وابد  
ما استطعت عن الجزائر القريبة منها ، وسيرعاك بعض الآلهة ، ويسخرلك  
ريحا رخاء تسارع بك إلى بلادك فإذا بلغت أول الشاطئ الإيثاكي  
فانزل إلى البر ، ولتسلك الفلك سبيلها من دونك ، ولتذهب أنت إلى  
يومايوس راعي قطعانك الذي يحبك فأرسله إلى أمك كي تقر عينها  
بأوبتك « وما كادت تفرغ حتى زفت<sup>(١)</sup> إلى الأولب . وهب تليماك  
فأيقظ رفيقه من نومه قائلاً : « هلم ييزاستروس ! هلم فأسرج الخيسل  
ولنرحل من فورنا ! » وقال له ابن نسطور يجيبه : « هلم إلى أين يا صاحبي ؟  
كيف نخبط في هذا الليل الدامس ؟ ألا نصبر حتى تشرق ذكاء ، وحتى  
يلفك الملك فيخلع عليك ويحسن وداعك ، لتظل ذكراء الحسنة مائلة  
إلى الأبد في روعك ؟ »

وانبلج الصبح ، فهض منلوس الملك من حصن هيلين الدافي ،  
رجم شطر الغرفة التي نام فيها تليماك ورفيقه . وما كاد تليماك يدهج في غبشة  
القجر صورة الملك حتى هب مسرعاً ، وأضفى عليه طيلسانه الفاخر ، وأترز  
فوقه بمئزر آخر ، ثم دلف نحو الباب فلقى الملك ثمة وقال له : « بورك الملك

(١) زف الطائر أسرع في طيرانه ورأسه .



وتعالى جده ! تالله لقد آن لى أن أعود إلى إيشاكا ، وبودى لو أذن للملك بذلك »  
 فقال الملك : « إنا لا نستطيع أن نخرجك إذا كانت رعيتك أن تشد  
 رحلك يا تليماخوس ؛ وإنه ليس أشق علينا أن يقيم ضيف لدينا برغمه ،  
 أو أن نَعِجَلَه على الرحيل من عندنا ... بيد أنه يحسن أن تنتظر قليلا  
 حتى نهيئ لك أنغر الهدايا وأعرن الإلهى ، وحتى نعدّها لك فى عربتك ؛  
 وسأمر ندأماى فيعدون لنا فطوراً يابق بوداع ضيف كريم عزيز مثلك ،  
 لا بد له من إكلة حافلة تصبر لسفر طويل يزعمه . فلو أن سفرك هذا  
 كان خلال هيلاس ، وكنت من أجله ستجتاز أرجوس شرقاً لغرب ،  
 إذن اسافرت معك ، ولجزت لك مدائن شتى ، ولأهرع إلينا حال الإقاليم  
 يقدمون إلينا الهدايا والتحف ، من صحائف الذهب وركائز الإبريز وكل  
 كأس ثمينة ، ومن كل دابة مطهّمة وحواد كريم » وأجاب تليماك فى  
 أسلوب الفطين الحذر : « مولاي أتريدس ، منلوس العظيم ! تالله إنه  
 لآثر إلى أن أرحل لساعتي ، فلقد تركت ورائى بيتاً لم أدعه فى صيانة  
 أحد ، وحطاماً است آمن عليه أحداً . وأخشى يا مولاي أن أفضى فى  
 رحلتى هذه وراء أبى ، فلا أكون قد أبقيت على نفسى ، ولا رعيت تراثه  
 الذى تركه لى » وأمر الملك خدمه فهبوا الخوان ، وزودوه عما بقى من  
 عشاء أمس ، بعد أن أضرم رئيسهم إيتون ناراً أسخن عليها ما ينبغى أن  
 يكون منها حاراً ... وتوجه الملك إلى غرفته ، فلقى فيها زوجه وولده ؛  
 فتناول كأساً من الذهب الخالص ، ودفع لولده بدلها من الفضة ؛ أما

الملكة فهضبت إلى خزانها فأحضرت ساجاً<sup>(١)</sup> عملت فيه يدها الصناع  
 فزخرفته وزركشته حتى بدا كسواء التمتع فيها نجوم ... وعاد ثلاثهم إلى  
 حيث ينتظرهم تليام وكله الملك فقال : « ذاك تذكاري إليك يا ابن  
 أودسيوس بودى لو تقبلته ؛ وهو كأس عجيبه من صنع فلـسان أهداها  
 إليّ البطل مديم ملك سيدون حين حلت عليه ضيفاً ؛ هذا وأنا أدعو  
 لك أن يكلاك جوف في رحلتك بعين الرعاية ، وأن يكتب لك السلامة  
 والتوفيق » ثم قدم إليه الكأس العظيمة وكذلك فعل ابنه ؛ أما هيلين  
 فقدمت إليه الساج ، وتبسمت عن فم ألد من أقحواة ، وقالت له : « وأنا  
 أيضاً أدعوك يا بنى ، وأقدم إليك سدوساً<sup>(٢)</sup> من أنفـس الديباج حبذا  
 لو جعلته قتيبةً تذخره لك أمه حتى تقدمه بدورك لعروسك ليلة زفافها  
 إليك » وكان لكلماتها في نفسه نشوة ، فأخذ الطيلسان وناوله ابن نسطور ،  
 الذى عنى به ووضعه بمكانه من العربة . ثم يموا المائدة الكبرى ، وصبت  
 الماء على أيديهم جارية ذات حسن وأناقة وظرف ، وأخذوا بعد ذلك فى  
 فطورهم ، بينما وقف ابن الملك يدهق الكؤوس ويشرب الخمر ، حتى إذا  
 فرغوا نهض تليام ورفيقه فسما وودعا ، وركبا العربة الفخمة المثقلة بأثمن  
 الهدايا ؛ وتناول الملك كأساً من الخمر وسار حتى دنا من الخيل ؛ فصحبها  
 صلاة للآلهة من أجل الراحين وقال : « لكما الصحة والصفاء أيها الشبان  
 اليافعان . تحيأتى إلى نسطور أخى الذى كان يرعانى كأحد أبنائه تحت  
 أسوار طروادة » فأجابه تليام : « لا غرو أيها الملك ، فسنعصى عليه آية

---

(١) الساج الطيلسان .

(٢) هو الساج أيضاً .

كرمك وعظيم سخاؤك ... وأرجو لو وصلت إلى إيثاكا فقلت أبي  
أودسيوس ثمة ! إذن لقصصت عليه هو الآخر ما غمرتنا به من حفاوة  
وكرم وعطف ! » وما كاد ينتهى من كلمته حتى بدا عن يمينه نسر عظيم  
يحمل في مخالبه إوزة كبيرة بيضاء ، وقد حلق في الهواء ، وجرى حوله  
الخدم والحشم من أهل المدينة ، بيد أن النسرافهم جميعاً ... وقد زعج  
الملاّ الواقف لتوديع تلياك ، وبدا الملح في وجهه بيزاستراتوس ، فسأل  
الملك فقال : « ليتفضل الملك فيحدثنا عن هذه العلامة إذا كانت من  
أجلنا أو من أجل مولانا » ولكن الملك لم يجر جواباً لفرط دهشه . فلما  
لحظت حيرته هيلين زوجته ، تكلمت فقالت : « أيها الملاّ اسمعوا وعوا ،  
عائى أحدثكم كما علمتنى الآلهة ... تأله إن هذه لآية ، فكما غلب ذاك  
النسر أولئك الناس ، وذهب بتلك الإوزة البيضاء ، فهى له ، فكذلك  
يعود أودسيوس من تجواله وطويل ترحاله إلى إيثاكا ، فيبطش بأعدائه  
الذين استباحوا عرضه وعشقوا زوجه ، ويخلو له وجهه بنلوب » وانتفض  
تلياك من شدة ما أثرت فيه كلمات الملكة فقال : « الأحبذا أن يتم هذا !  
اللهم يا جوف المتعال حقق النبوءة أعبدك ، واكتب لأبى السلامة أخبت  
لك ، واكتب لى أن أعود إلى بلادى فألقاه ثمة تكن لك صلاة دائمة  
وذكر متصل يا إله السموات ! » ثم حيا الملك ، وألب الجياد فانطلقت  
تنهب الرحب ...

ولم يزالا على سفر طوال يومهما ، حتى بلغا قصر ديوكليس مع مغيب  
الشمس ، فضيفهما وباتا ليلتهما عنده ؛ وما كادت أورورا تنضر جبين

الشرق بالورد حتى هبا مسرعين ، وودعا مضيفهما الكريم ، وواصلتا  
رحلتهما ... وكان ابن نسطور قد أخذ بأعنة الخيل فجعلها تنساب حتى  
لكأنتها تسابق الريح ... ولما بلغا أبواب بيلوس قال تليماك  
لصاحبه وهو يحذره : « أنت عذيرى يا أعز الأصدقاء إذا سألتك أم  
تصل بى إلى السفينة من غير أن تفوجه إلى بيتكم للقاء أبيك ، فقد يكبر  
على أن أرفض نُزُلَه ، وأستأنى بذلك عنده ، فى وقت أنا فى أشد الحاجة  
إلى العودة إلى الوطن ... على أننى سأحفظ لك فى أعماقى ذكرى خالدة  
لا تمحى ، زادتها هذه الرحلة الحزينة جلالا ، وعقد أواصرها ما بين أبوين  
من الود ، وما بيننا من اتفاق السن ، وصفو المودة وجميل الإخاء » وتردد  
ابن نسطور أول الأمر ، بيد أنه لم يستطع إلا أن يلجى رجيتة تليماك ، فثنى  
أعنة الخيل إلى الشاطئ حيث كانت تنتظره الفلك ، فنقل فيها مقاعه ،  
ثم ودعه صديقه وعقرت القرايين باسم مينرفا ، وصلى لها الجميع وسبحوا  
سبحاً طويلاً ... وإتهم لكذلك ، إذا شاب طويل مفتول العضل يتقدم  
إلى تليماك ، فيخبره أنه قاتل آبق<sup>(١)</sup> ، وأنه يلوذ به ، وأن اسمه تيوكليمين ،  
وأنه يرجوه فى أن يسافر معه . فمش له وبش ، وأخذ سلاحه فألقاه فى  
السفينة ، وأذن له فى الركوب ، وجلس الرجل مع تليماك عند مؤخر  
السفينة ، فى حين كان الملاحون يهيمئون القلاع ، وينشرون الشراع ، ثم  
أقلعت الفلك ، وأرسلت مينرفا بين يديها سحسجاً تدفعها فى رفق ، وتطوى  
تحتها الماء فى حذب . وكانت الشمس تتوارى بالحجاب ، وكان الليل

---

(١) نصرت صفحاً عن قصة هذا الرجل امدحا عن الموضوع .

يلقى سدوله فوق الكون . . وماهى إلا عشية حتى مرّت السفينة بهيريا ،  
ثم باء بليس ، وجوف فى كل ذلك يحرسها ويرعاها  
هذا ما كان من أمر تليماخوس القى . . أما ما كان من أمر  
أودسيوس وراعيه ، فقد كانا يلتمان فى هذا الوقت طعامهما ، وما كادا  
يفرغان من ذلك حتى أحب أودسيوس أن يرى لنفسه إذا كان الراعى  
قد ضاق به ذرعا فينطلق من لدنه ، أو هو كريم ذو نخوة وبخية فيبقى  
عنده ، فنهض يقول : « أيها الراعى يومايوس .. وأتم أيها الأصدقاء  
الرعاة اسمعوا وعوا .. تالله إنى لأخشى أن أرهقكم بضياقي أو أثقل  
عليكم بلبثى عندكم طويلا ، فرجائى إذا انقلب الإصباح أن يقودنى أحداكم  
إلى المدينة لأستجدى وأتكف ، فلن أعدم فيهم من يتفضل على ببانة  
أو كسرة أو جرعة ماء .. ولسوف أيم شطر ينلوب ، وعسى أن أستطيع  
لقاءها لأبلغها أنباء أودسيوس ، فإذا لم أستطع فلن أعدم عملا فى خدمة  
العشاق ، لأننى والله الحمد ولى من أولياء هرمز رسول السماء ونصير  
الضعفاء ، ولن أضيق بتكسير الخشب ، أو إضرار الحطب ، أو حمل  
الكس والطاس ، أو القيام على الشواء ... أو ما إلى هذا وذاك من عمل  
الفقراء البائسين » واهتز يومايوس إشفاقا وقال : « أيها الرجل ماذا  
تقول ؟ أنجازف بنفسك فتلقى بها إلى التهلكة وسط هؤلاء الناس ؟ من  
أنت أيها الفقير حتى تحسبك تقدم الخمر لهم أو تخدمهم ، ولم خدم شباب  
غُرانيق ، وندامى كالكواكب نضرة وجمالا ... وحشتم يابسون أحسن  
الوشى وأنخر الحرير والديباج ... لتبق معنا أيها الشيخ فلن نصيق بك ،

وحين يعود سيدي تليماك فإنه يكسوك ويسبغ عليك ، ويبعثك مكرماً معززاً أنى شئت . وشاع البشر في أعطاف أوديسيوس فقال : « شكراً لك يا يومايوس ألف شكر ، وجزاك الله غنى أجزل الخير ، بما كفيتني شر السؤال وذل الاستجداء ، وليس شراً منهما على نفس أبية قاست الأهوال ولا تزال تقاسى ... بيد أن لى مسألة عندك بودى لو جلوتها لى : ألا يزال والد أوديسيوس حياً يرزق ؟ وهل لا تزال أمه بخير ؟ أم أنهما اليوم من أهل الدار الآخرة ؟ لقد غادرها أوديسيوس يوشك أن يطرقا باب هيدز ، فهل عندك من أخبارهما شيء ؟ » . قال الراعى : « ومالى لا أصدق أيها الشيخ ؟ إن إيرتيس — أبا مولاي — لا يزال على قيد الحياة ... لكنها حياة شاقة أنقضت ظهره ، وأنقدت صبره ، وهو ما يفتأ يضرع للآلهة أن تخلصه منها بالموت ... إنه قد فقد أحسن آماله حين فقد حامى شبته الذائد عن شيخوخته ، ولده أوديسيوس ، وقد جهل له الشقاء موته ، وحياته هو من بعده ، فهو ما يني يبكيه ، وما ينفك يساقط نفسه حسرات عليه . . . أما أمه فقد قضت من أسى وحزن وطول بكاء ، قضاء ما قضى مثله صديق ولا عدو إلا نى حزين عليها يا صاح ، بل أنا أفتقدها كأعز من أمى لأنها نشأتني صغيراً ، ورعتني كبيراً ، وكانت تحبني كمحبة ابنتها ستيמיينا التى تزوجت أحسن زيجة فى ساموس من كفاء مهرها أحسن مهر وأعلاه ... أبدأ لا أنسى أنهم ألبسوني أحسن اللباس ، وأعطوني نعلين جديدتين ، فرحاً بزواجها ، ثم أرسلوني إلى الحقل ، ولكنهم لم ينقصوا من محبتي ... لقد عاشت

مولاني بعد أوديسيوس معيشة شقية كلها آلام ، وكنت أواسيها وأعزبها ،  
ولكنها ما انتفعت قط بعزاء ، ولا استروحت إلى سلوة ، حتى ماتت وهأنذا  
أبكىها كلها ذكرتها ، وقل أن أنساها ، على أني أحمد السماء على ما أولتني  
من خير ، وأسبغت علي من نعم ، هي حسبي وحسب الضيف الذي  
يفشاني ... على أني أعذر مولاتي وسيدتي بنلوب إذا لم أر منها عطفاً  
هلي ، لأنها في شغل بحالها وسط هؤلاء الأوغاد العاميد ... وهي بالرغم  
من ذلك تولى خدمها المقربين منها نصائح غالية تمفعنا جميعاً ... ثم هي  
لا تنسى أن تنفخ الكثيرين منهم ما يفرحون به من آلاء وأعطيات ،  
غير ما يأكلون وما يشربون . وكأما أراد أوديسيوس أن يتهكم عليه  
ويسخر به فسأله عن بلذه ووالديه ، وعن القوم الذين أخذوه عنوة ، وفي  
أى سفينة جاءوا به ، وبكم باعوه لأهل أوديسيوس ، فقال الرجل : « أيها  
الصديق أعزني أذنيك ، وارشف خمرك ، أقص عليك قصتي ، فالليل  
طويل ، وفي جنبه يحلو السم ، وليس أشهى من أن يروى ذو أشجان ،  
وأتم أيها الإخوان ، من كان منكم في حاجة إلى النوم ليصحو مبكراً  
فليذهب ولينعم بالكرى ... ثم أحسبك سمعت أو عرفت جزيرة سيريا  
التي عند أورتيجيا ... إنها جزيرة صغيرة ، لكنها غنية بأغنامها وماشيتها  
وقحها وأعصابها ، كما اشتهرت بهوائها العليل ، ومناخها الجميل ، وصفوها  
وطيب رباها ... لذلك لا تعرف أبدان أصحابها الأوصاب ، بل يُعمرون  
حتى يأتهم أبولو<sup>(١)</sup> فيصميمهم بسهامه ، وتعجل أرواحهم إلى هيدز ،

( ١ ) تضيف من النسخ دانا — وهذه أول مرة نرى فيها أبولو يقوم  
بوظيفة عزرائيل في الأدب اليوناني ، لأنها وظيفة هرمس ( مركيوى ) خاصة ( المترجم )

ويقتسم أرض الجزيرة أهل مدينتين عظيمتين ، كانتا تخضعان لسيطرة  
أبي الزعيم العظيم ستريوس أورميئند ... وحدث أن أرست في شاطئنا  
سفينة فينيقية محملة بالطرف والنخف وبلعب الأطفال ، من صناعة  
الفينيقيين ؛ وحدث أن كانت في بيت أبي جارية قسيمة وسيمة ذات حسن  
وذات دلال ، كانت تقف على سيف البحر لبعض شئون المنزل ، فرآها  
بعض ملاحى المرك واستطاع أن يخدعها بكلام معسول ذى طين وذى  
رنين ؛ ثم سألها من هى ، ومن أى البلاد أقبلت إلى هذه الجزيرة ..  
وكان الخبيث يمزج ألفاظه بنظرات الأبالة ، وغمزات الشياطين ،  
وابتسامات الفزل ، فانقادت له ، ضعيفة كبنى جنسها إذا نصبت لمن  
شراك الهوى ، وجذبتهن أحابيل الغرام ، وقد أخبرته الغادة أنها من  
سيدون المشهورة بصناعة الصلب والنحاس ، وأن أباه أربياس الفلاح ،  
وأن بعض القرصان قد اختطفها حين كانت عائدة أدراجها من حقله ،  
وباعها لصاحب تلك الجزيرة بأبخس الأثمان ، وقد أغراها الملاح بالعودة  
معه إلى بلدها على فلسكه ، وبالفرار من حياة الرق والعبودية لقاء الأهل  
والأحباب والأبوين الثريين اللذين كانا لا يزالان حين يرزقان ... فاستحلفتها  
المسكينة إذا كان جاداً فيما قال ، خلف لها ، واستقسمته إذا كان أميهاً  
غير ذى غرض أو لبانة ، فأقسم لها ؛ ثم تعاهدا على ذلك وقالت له :  
« والآن فلا يذكر أحد من أمرى معكم شيئاً لآي من أهل المدينة ، حتى  
لا يفشو السرو ويعلم به صاحبه ، فيكون فى ذلك وبلى ووبالكم وهلاكى  
وهلاككم ... بل امضوا فى بيع بضاعتكم وشراء ما يلزمكم ، ثم إذا



عزمت أن تفعلوا فابشعوا أحدكم إلى بقصر صاحب الجزيرة ، فأتى مرضع ابنه ، وهو الآن يحبو ، بل يدرج ، وأتى محضرته معي فانه سينفكم ، بل نستطيعون بيعه في أحد البلاد ببعض المال ، وسأحضر معه كل ما نستطيع بدي أن تحمل من آنية وأكواب من خالص الذهب وغالى الفضة ، مما يخيف حمله ويعلمونه ، وعادت البائسة إلى قصر أبي ... ولبت الملاحون عامهم كله في مرفئنا يبيعون ويشترون ، حتى إذا حال الحول أو كاد ، حضر واحد منهم إلى بيتنا يبيع بنية<sup>(١)</sup> من ذهب وكهرمان ، فالتف حواه وصيقات القصر ثم حضرت أمي فاشترت بضاعة الرجل الخبيث ؛ الذي استطاع أن يوءى إيماءته المتفق عليها إلى مرضعي فلما انصرف من القصر من أضياف ، وذهب الخدم إلى شغلهم قادتني مرضعي التابعة من يدي فمرت بي في غرفة الزائرين ، حيث كانت أكواب الشراب لا تزال على المائدة فدست منها ثلاثة في ثيابها ثم ذهبت بي — وأما طفل لا أدرك — إلى الرفأ ، حيث ركبت معها في سفينة الفينيقيين ، فأقلعوا ساعة الغروب ... ودفعتنا ربح عاصف طيلة ستة أيام ، وفي صبيحة اليوم السابع ، أرسلت ديانا سهامها مسمومة إلى صدر المرأة — مرضعي الآبقة — فماتت لساعتها — ووضعوا جسامتها في سَاب<sup>(٢)</sup> ثم قذفوا بها في النهر ، طعمة غير سائغة للأسماك ، ورحت أنا ، أفرط نحي لها ، أبكيها وأهول من أجلها ... ثم دفعتم الريح واللوج إلى شاطئ إيثاكا ، حيث

(١) بوزن سفينة ولا تشدد ، هي ( الياقة أو الكولة ) .

(٢) السَاب والسَاب وعاء كبير للزيت أو الخل وهو الزق ولم نجد مرادفاً لكلمة

( برميل ) المعروفة فاستعملناه .

ابقاعنى صاحبها العظيم ليرنيس ، وبتيت فيها إلى اليوم » وألم أودسيوس لما قص الرعى وتوجع ، وواساء بكلمات طيبات ... « فلقد وصلت في رعاية جوف إلى سيد رحيم ورجل بر ، كفل لك الهناء والحياة الهادئة ... أما أنا ، فلا أزال موكلاً بنضاء الأرض أذرعه ، وببلد ألبسه وآخر أقلعه ... ولما ينأى طويلاً ، فقد قطع حديثهما حبلى الليل ... أما ما كان من أمر تليماك ورجائه ، فقد وصل ملاحوه سالمين إلى الشاطيء الإيثاكي ، وأرسوا ثمة ، وربطوا حبالهم في أوتاد المرفأ ، ثم اجتمعوا إلى فطورهم فأكلوا وشربوا ... فلما فرغوا أمرهم تليماك أن يذهبواهم إلى المدينة ، « ... أما أنا ، فذاهب لبعض شأني في الراعى القريبة وسأعود قبيل الغروب ؛ وفي الغد ، سأستقيم سلافة الأوبة التي تذهب عنكم وعشاء هذا السفر . ونهض تيوكلين ( الشاب الآبق ) فاستأذن في الذهاب بالبشرى إلى والده تليماك ، ولكن تليماك قال : « كلا يانيوكلين ، لا أريد أن تعلم أمي بقدمي اليوم ، فابق مع رجالي هؤلاء حتى لا تقع أبصار العشاق المناكيد عليك ؛ وإن شئت فاذهب إلى أحدهم ، يوريماخوس ، فهو أعظمهم قدراً وأنبهم ذكراً ، وهو الذي يحاول جاهداً الزواج من والدتي ، والجلوس على عرش أبي ، فاربط حبالك بحباله ... أوأه يأارباب السماء ! حنانيك يا جوف ! بعداً لهذا الزواج ، وبعداً لمن يحملون به ! » وما كاد يفرغ من حديثه حتى بدا إلى يمينه بازى باشق — هو من غير ريب رسول أبوللو الأمين — وقد أمسك في مخالبه حمامة بيضاء ، فظل يمدّ يدهم ويرنق حتى إذا كان بين الفلك في البحر وتليماك في البر نثر خوفها في الجو ، فزنان

بالقرب من تليماك — وهنا — تكلم تيوكلين فقال : « تالله إنها لآية  
من السماء ياسيدى ، إنك ابن أعظم من فى هذه الأرض ، وإن بيتك  
أعرق بيوتها ، وستظفر كما ظفر آباؤك » وشكره تليماك ، وتمنى لو صدقت  
نبوءته ، ثم أوصى به أعظم رجاله وأخلصهم له — كليتوس — فاهتزت  
أريحية الرجل ، ووعد أن يكون له كسيدة (تليماك) حتى يثوب ... وسلم  
تليماك — ومضى للقاء يومايوس ثم أقفلت السفينة بمن عليها إلى المدينة .



## أوريسوس يلقى تليماك

لقد كانت هداة الفجر الساكنة الجميلة حينما هب يومايوس وضيغه من نومها ليلبسا ثيابهما ويعدا فطورهما ، وليرسل الراعى عماله وراء قطعانه النائمة في السهل الصامت الوديع ... وحينما أقبل تليماخوس أهرعت إليه الكلاب تلحس ثيابه وتعلق قدميه ، وتهتز من نشوة وطرب لأنها رآته بعد طول الغياب ... وقد لحظ أودسيوس ذلك فقال يتحدث إلى الراعى : « يومايوس ! هذا أحد معارفك أو الأوداء إليك مقبل ... لشد ما تملقه الكلاب التي أوشكت من قبل أن تعقرني ! إنها لا تنبح ولا تكشر ، بل تقمى في إثره ذليلة ! » وما كاد يفرغ من حديثه حتى كان ولده واقفاً أمامه في رحبة الدار . وما كاد يومايوس يلمحه ، حتى هب من مقامه مسبوها مرتبكا ، وحتى انقذت الأكؤس التي كان يمزج فيها الخمر من يديه ... بيد أنه ذهب إليه يقبله ثم يقبله ، ويبالغ في تقبيله ، كأب مشوق لقي ولده فجأة بعد بصع سنين من مهارة البعد وألم الفراق ! ثم قال بكلامه : « أواه تليماخوس ؟ أهو أنت يا نور عيني ؟ أنت نفسك ؟ أو قد عدت ؟ تالله ما كان يخطر بخلدى أنك عائد من سفرك بعد الذي دبّروا لك ! هلم يا حبيبي ! تعال يا بني ! فلقد عادت روحى من سفر سحيق برؤيتك ... تعال تليماخوس فما أندر ما تزورنا هنا لطول اشتغالك بالمعاميد المناكيد !! » وقال تليماك يجيبه : « أجل أيها الصديق ؛ غير أننى أتيت

لأسألك عن أمي ! ألا تزال مخلصه لذكرى أوديسيوس ، قائمة على عهده ،  
 أم أنها هجرت مهاده لتتقع في شرك من شرك العناكب المكددة بها ؟ ! »  
 وأجابه الراعي فوصف له ما تلقاه الأم المحزونة من الضنى والحزن ، وما  
 تذرف من الدموع في جنح الليل لما يرميها به الحداث ... ثم دخل  
 تليماك بعد أن أخذ الراعي حربيته ، فنهض أوديسيوس ليخلى لولده مقعده ،  
 فأبى تليماك ... « لأن المسكان فسيح ، ولأن يومايوس يستطيع أن يعد  
 لنا مقعداً آخر ... فوالله لتجلسن أيها اللاجئ الكريم ! » . وهياً  
 الراعي لسيده مقعداً من الحشائش الغضة والحلء الرطبة جعل عليها فروة  
 كبيرة مما عنده ؛ وجلس تليماك .. وأحضر يومايوس فطوره في أطباق من  
 أطباق أمس وشيثاً من الخبز والخمر ؛ ونشر الصحاف على الخوان أمام  
 مولاه ، وأخذ الثلاثة يلثمونها أكلة مريثة هائلة ... حتى إذا فرغوا ،  
 توجه تليماك بالحديث إلى راعيه فقال : « ممن ضيفك يا أبتاه ؟ ومتى وصل  
 إلى إيشاكا وكيف ؟ وأي الملاحين حملوه إلى شاطئنا ؟ » . قال الراعي :  
 « والله يا بني ما أستطيع أن أخفي عنك ما قال ؛ فهو يدعى أنه من نسل  
 الأماثل الأعجود من أسراء كريت ، وأنه طوف في الآفاق ، وسافر في البلاد  
 ورأى من المدن ما لا عين رأت ... وهو يقول إن فلكاً قبرسيا قد  
 حمله إلى شاطئنا قبل أن تحمله رجلاه إلى كوخى هذا ... ولكن .. لم هذا ؟  
 ولم أتولى أنا الإجابة ؟ إنه أمامك وأنا أدع أمره لك ، فاصنع به ما تشاء  
 إنه لا نذ بك ، فأصد بابك ، وأحسب أن له حاجة عندك ! » وبدا الألم  
 في محيا الشاب فأجاب : تالله لقد آلمنى حديثك أيها الأب يومايوس ! أنت

تجمله لائذاً بي قاصداً بابي ، وأنت تعرف من حالي ما تعرف ، وتعلم  
أننى مُمرزاً بهـ هذه الطعنة ، مشغول بالذتى التى لا أستطيع  
أن أدفع عنها إصر هؤلاء الأنجاس المفاكيد ، الذين طال لبثهم حولها ،  
وتوقعهم بسببها ، حتى لأخشى أن تضيق بهم فتختار مرغمة ، أفضلهم بعلا  
لها ، أو أكثرهم عطاء ، وأوسعهم ثراء ... يبد أننى أوتر أن أمنحه دثاراً  
وصداراً ، ونعلين ، وسيفاً جرزاً ، ثم أرسله إلى أى أقاليم العالم شاء ،  
فى حمايتى ... وإن أحب ، فليبق فى ضيافتك أنت ، وسأرسل إليه  
ما هو حَسْبُهُ من طعام وشراب خشية أن يرهقك ، أو أن تضيق به ...  
أما أن يصحبنى إلى القصر الذى تعلم من أمره ما لا تعلم ، فذاك ما لا أرضاه  
له ... فقد يغمزه أحد بكلمة فيجرحه ، وأجرح أنا بسببه ، وأنت لا يخفى  
عليك أنى صغير لا أستطيع مهما أوتيت من الشجاعة أن أرد عادية هؤلاء  
الأوغاد » ، وتولى أودسيوس الإجابة فقال : « أره أيها الحبيب الطيب  
القلب ! لشد ما تتمزق نياط قلبى لما سمعت من أمر هؤلاء العشاق الأشقياء  
الذين يستبيحون منزل فى كرم مثلك ! ولكن قل لى ، إذا أذنت  
أن أتكلم فى هذا الشأن : هل عن رضى منك لصقوا بمنزلك فما يريون ؟  
أم برغمك أيها العزيز ؟ أليس لك إخوة يسندونك ويشدون أزرك  
فتطردهم من بيتك ؟ أو اه لو عاد لى شبابى الآن أو اه ! وآه لو عاد الآن  
أودسيوس ! تالله لو أننى فى حالك هذه لآثرت أن أمتشق سيفى فى وجوههم  
فإما أن أطهر بيتى منهم ، وإما أن أخرج قتيلا بينهم فلا تقمع عينى على  
ما يصنعون ، ولا أرى إلى عيشتهم وعبثهم بكل ما فى منزل أبى من خير

«ومسير، السنين الطوال !» فقال تليماك « ليس سرّاً أيها اللاهى الكريم ما بينى وبين قومي ، وليس منهم من يضر لي عداوة أو يطوى جوانحه لي على حقد ... أما الإخوة والأشقاء فليس في أسرتنا من رزق هذه النعمة ، بل هذا دأب عائلتنا منذ القدم ؛ ذلك أرستيماس لم ينجب غير ليرتيس ولم ينجب ليرتيس غير أودسيوس ، وهذا لم ينجب غيري ... أنا ... هذا المرزأ المحزون الموجد القلب ... من أجل ذلك طمع هؤلاء الطامعون فينا وتكالبوا على بيتنا من كل فج ، فأقبلوا من ساموس ودلشيوم وزاكتوس وأطراف إيثاكا ، ومن الجزر الكثيرة المنتثرة في هذا البحر .. كل يرغب في أن تكون أمي له من دون العالمين زوجة برغبتها ، فهم مقيمون لا يريمون ، آكلين ناعمين ، يستنفدون غلة ما ترك أودسيوس ، آتين على كل ما في بيته وخزائنه ، ويوشكون أن يأتوا على أنا الآخر ! » ثم أمر يومايوس أن يذهب إلى القصر فيخبر أمه بعودته سالماً من بيلوس ؛ فذكره يومايوس بجده الضعيف الشيخ الذي امتنع عن الأكل والشراب منذ أن رحل تليماك يسائل عن أبيه ... وذلك مما أضواه من الهم ، واستأذنه في أن يمر عليه فيخبره بعودة مولاه حتى يطمئن هو الآخر . ولكن تليماك أسرّه بأن يذهب من فوره إلى القصر فيخبره ... وانطلق يومايوس ... وكانت مينرقا تنتظر ذهابه لتبدو لأودسيوس في صورة حسناء ذات وقار وحسن سمت ، وقد أخذت الكلاب بروعة مرآها فتكبيكت في أحد أركان الحظيرة ، وراحت توفوق وتهر<sup>(١)</sup> مما شدها

---

(١) الوقوة صوت الكلاب إذا خافت والهرير صوتها إذا أنكرت شيئاً

من منظر مينرفا ، وقد لفت فعلها أودسيوس فهب مسرعاً إلى ربة الحكمة التي قالت له : الآن ينبغي لك أن تكشف نفسك لولدك فتقفه على حقيقة الأمر ، ثم تذهب معه إلى المدينة وفي قبضتك الموت الزؤام تُجرّعه صاباً ويحموماً للعشاق . وسأكون دائماً معك ، وسأشرف على المعركة بنفسى » ولمسته بعصاها السحرية فارتد إلى صورته الحقيقية ، وعاد إلى الكوخ في حلتها الضافية التي كانت عليه من قبل ... فلما رآه تليماك شدّه وفرّق وقال له : « أيها النازح الغريب ما ذا أصابك ؟ لقد تبدلت أيما تبدل ! خبرنى أرجوك وأتوسل إليك ، أأنت إله كريم فنعقر لك القرابين ونصبح من أجلك الأضاحى ؟ » قال أودسيوس : « ليفرخ روعك يا بنى فما أنا إله إن أنا إلا بشر ، وإن أنا إلا أبوك الذى ذهب تذرّع الدنيا من أجله والذى بسببه غصصت بكل هذه الآلام ، وصبرت لأؤم هؤلاء الناس ! » ثم ضم إليه ولده وطفق يقبله ويذرف دموعه على خديه ! ! بيد أن تليماك لم يصدق وراح بدوره يقول : « أبى ؟ إن تكون مطلقاً أبى ! بل أنت إله تنزل من السماء ليعبث بى ، وليزيدنى شقوة وأشجاناً . أى بشر يستطيع أن يصنع ما صنعت ، وكنت منذ لحظة عجوزاً محدودب الظهر مجعد الوجه غائر العينين ، تلوح فى مِرْزَقٍ وأسمال ، ثم تخرج هنيئة وتعود فى هذا البدن الفينان وذاك المظهر الفتان الذى لا يكون إلا للآلهة ؟ فقال أبوه : « أى بنى أنا أودسيوس ، ولن يرجع إليك أودسيوس آخر سوى اطمئن فقد صنعت مينرفا ما رأيت بأبيك ، وما صنعتته أنا بنفسى إنها ربة ولها القدرة على كل شيء ، فنى وسعها أن تظهر من تشاء فى صور شتى ، وليس هذا



على أثينا بعزیز» وأحس تليماك ما كان يشيع في كلمات أبيه من حرارة وإخلاص لا يصدران إلا عن قلب أب، فانطلق يبادل والده عنقاً بعناق، ودمعاً بدمع، وقبيلات بقبيلات ثم سأله كيف عاد إلى الوطن بعد كل تلك السفين الطوال، فقص عليه قصته ثم قال له: «ولكن حدثني أنت عن أمر أولئك العشاق الأوغاد ما عددهم، وهل نستطيع كلانا أن نقف لهم فنظفر بهم؟» فأجاب تليماك: «أبتاه! لقد سمعت الثناء على شجاعته وسعة حيلته وجليل حكيمته في كل ملحمة وبكل نقع... ثناء يلهج به فم الدنيا جميعاً! بيد أنه ينبغي ألا نجازف هذه المجازفة التي لا نعرف ماذا وراءها... إذ ماذا يصنع اثنان وعشرين ومائة من خيرة صنّاديد إيثاكا وما حولها؟ الرأي أن تفكر في أنصار يشدون أزرباً ويكونون عوناً لنا» فقال أودسيوس وهو يتسم: «وما قولك يا بني في اثنين الله — جوف العلى — ثالثهما، ومينرقا بصيرتهما على القوم الظالمين؟ إذا كان هذان معنا، أفنحتاج إلى عون آخر؟» فقال تليماك: «بلى... تعالى جوف وجلت مينرقا... إن لهما لأيدياً فوق أيدي الناس لأنهما يحكان من فوق عرشهما المرد فوق السحاب، في الأرض وفي السماء على السواء.» وقال أبوه يزيد طمأنينة: «وسيكونان معنا في الحلبة حين يجد جدّها... فإذا كان الصباح فاذهب إلى القصر واختلط بالعشاق وسيقودني راعينا الأمين إلى هنالك، متنكراً في صورة الشحاذ الققيز الذي رأيت، فإذا فرطوا على فلا تأس، حتى ولو كان فرطهم بالضرب والسباب... ويسرنى أن تحتمل وتصطبر، فإذا زادوا فاصرف عني أذاهم

بكلمة طيبة حتى يحكم الله بيني وبينهم حين يحين حينهم ... واحذر أن  
تخبر أحداً بعودتي حتى ولا أبى ... بل على الأخص أمك بنلوب أو هذا  
الراعى يومايوس ... إذ ينبغي أن نستعين على أسرنا بالكتمان حتى نعرف  
أصدقاءنا ونخبر أعداءنا ! » ولطأ أنه تلياك وأكده كل شيء ... ثم  
وصل يومايوس إلى بنلوب فأخبرها بعودة تلياك ، وذاع النبأ بين العشاق  
فدعروا ، لفشل مؤامرتهم ضده ، وانتشروا خارج القصر ، واعتزموا أن  
يبعثوا نفرأ منهم بهذا النبأ إلى الطغمة التي ذهبت تتر بص بالفتى لتغتاله  
إذ هو عائد من بيلوس ... ثم اجتمعوا يهكرون السيئات ، ويدبرون قتل  
تلياك حين تتيح فرصة أخرى . وكان ميدون قريباً منهم فاسترق سمعهم  
وطار به إلى بنلوب التي هالها ما مكروا وما دبوا ، فذهبت في جميع  
وصيفاتها إلى رحبة القصر ، حيث اجتمع أعداؤها إلى شياطينهم ،  
فصاحت بزعيمهم أنطونيوس من وراء حجابها قائلة : « أنطونيوس تبت  
يداك يا ألام الناس ! أنت يا من يدعونك التقى الصالح وأنت أسفل مما  
يظنون طوية وأخبت سريرة ! كيف حدثتكَ نفسك بهذا التدبير السيء  
فترسم لأشرارك قتل ولدى الذى لم يعد لى فى الحياة رجاء غيره ؟ ألا أنه  
ضعيف بنفسه ؟ ألا فاعلم أنه قوى بالله الذى ينتقم لعباده من الظالمين ! أيها  
اللئيم ، أبطل هذا تجزى جميل أودسيوس الذى حال سريرة بين أبيك وبين  
أعدائه معرضاً بنفسه للتهلكة ، ولولاه لظفروا به ، ولولا أن قتل منهم من  
قتل وصرع من صرع لعجلت روحه إلى نيران هيدزو وبس القرار ؟ أفلم  
يكفك ما تأكل بغير حق من زاده ، وتعبث غير عابىء بعताده ، فترسم

لأشراك غيلة ابنه ؟ » وانبرى يوريماخوس يهدىء من ثورتها ويطمئنها  
 أن أحداً من العالمين لا يستطيع أن ينال تليماك بأذى ما دام هو حياً  
 يدب على قدمين ... وكان يتكلم رغم ما كان ينطوى عليه قلبه ...  
 لأنه كان من أكبر المتآمرين على حياة ابنها العزيز الحبيب ... ! وبعد  
 أن توارت أورورا عاد الراعى إلى حظائره يدب على عكازه ؛ وكانت  
 ميفرفا قد لمست أوديسيوس بعصاها السحرية فعاد إلى صورة الفقير الشحاذ  
 وعادت إليه مزرقة وأسماله ، فوجد سيده وضيغه الفقير يعبدان عشاءهما .  
 ولما لمح تليماك قال له : « ما وراءك يا يومايوس الصالح ؟ أعلمت عن  
 الطغمة التى استأنت فى ساموس تتربص بى شيئاً ! » فأجابه الراعى :  
 « تالله لا علم لى بشيء يا مولاي ، فأنا لم أنتظر طويلاً فى المدينة لأتسقط  
 الأنباء ، لأنك أمرتني أن أرتد على عجل ؛ بيد أننى لحث مركبا يطوى  
 البحر إذ أنا عائد ، ويدخل المرفأ ، وفيه من العدة والعدد ما يبهز النظر  
 ويخطف البصر ، وأحسب أنهم هم الأمراء الذين تعنى ، غير أننى  
 لا أجزم بهذا » .

ونظر تليماك إلى والده مبتسماً ، محاذراً أن ينتبه الراعى إلى شيء .

\*\*\*

### أوديسيوس فى قصره

ونضرت أورورا جبين الشرق بالورد ، وخضبته بالشفق ، فهب  
 تليماخوس من نومه الهائى ، الهادى الموشى بالأحلام ، فلبس وانتعل ،

واختلط سيفه ثم قال لراعيه : « أيها الأب الصديق ، إني متوجه إلى المدينة لألقى أُمي ، فأكبر الظن أنها لن يرقأ لها دمع ولن تخفت لها آهة حتى تراني ... أما هذا اللاجئ ... فرأي أن ينطلق إلى المدينة فليسأل الناس وليطرق الأبواب ، ولن يعدم إذا تكفهم أن ينال رزقه ويحصل على لقمتا يتبلغ بها ... إن لدى من المتاعب والمشاق ما يشغلي عن كل جواب آفاق ... إمض به إلى المدينة إذن ؛ فإذا آلمه هذا ، فهو حر ... إني رجل لا أعبأ أن أقول الحق ! » فنهض أوديسيوس ليقول : « سيدي ! إني لم أبغ أن أثلبت هنا ، فليس لشحاذ فقير مثلي أن يلتمس رزقه في الحقول والغيطان ! بل إني منطلق إلى المدينة ولست مقعداً أو ضعيفاً فلا أقوى على عمل يؤجرني عليه أحد أسرائها ... تفضل أنت فاذهب لطيتك ، وسأَمْضِي أنا مع خادمك حين تمتع الشمس قليلا ، فأنا كما ترى رجل شيخ ، وأخشى أن يقتلني برد الصباح وصقيعه ، وليس ما يحفظني منهما إلا ما ترى من مزق مضى أصلها وبقي رقعها ! » ... وانطلق تليماك فبلغ القصر ، ولقي أول من لقي سرضعه يوريكليا ، حيث كانت وأتراها ينشرون فراء على كراسي وحمالات مبعثرة في الردهة ... فلما رآته عجبت إليه ورحبت به وبسملت عليه ، وانطلقت الدموع من عينيها فانعقد لسانها وأنحبس منطقتها ، ثم اجتمع الجوارى يقبلن تليماك ويحدقن به حتى لفتن نظر الأم للمعذبة الحزونة المطلة من إحدى شرفات القصر ، فأهرعت من عل وأخذت في حضنها الحب الرحيم أعز الأبناء ، وأمطرت جبينه وخديه بالدموع والقبل ، ثم جعلت تقول له : « أوقد عدت إلى الوطن يا نور

عيني ! تليماك ! تالله لقد وقر في قلبي أني لن أراك بعد إذا أبحرت إلى  
 بيلوس برغمي ، وعلى غير علم مني ، لتتسقط أبناء أبيك ... ولكن ...  
 حبرني يا بني ماذا عساك سمعت . « فقال الفتى : « أماه ! لم تعودين  
 بذاكرتي إلى عبوس الحياة وقد أفلت من الموت ؟ أولى لك ثم أولى أن  
 تصفي عليك من أغفر أثوابك ، ثم تصلي للآلهة أن تهيب لنا يوم انتقام  
 عادل لا يبقى ولا يذر ! ! بيد أنه ينبغي أن أذهب الآن لأنني ضيفاً  
 كريماً عزيزاً جداً على — عزيزاً جداً على يا أماه ! — حضر معي في  
 سفينتي أمس ، وقد أرسلته مع من يضيفه عنى حتى أعود فأضيفه أنا  
 نفسي » وذهبت بنلوب فصلت طويلاً للآلهة ، وانطلق تليماك فلقى  
 تيوكامنوس وعاد معه إلى القصر ، وجلسا يتحدثان ، بينما أحضر أحد  
 الخدم مائدة حافلة بألوان الطعام وأطيب صنوف الشراب ، فوضعا  
 أمامهما ... وأقبلت بنلوب فجلست لدى الباب تنسج ثوبها الذي لا ينتهي  
 فلما فرغا من طعامهما أقبلت فقالت مخاطبة تليماخوس : « يبدولى أنك  
 لن تقص على الآن ما سمعت من أنباء أبيك يا تليماخوس ، وأوتر إذن أن  
 أصعد فأضطجع في فراشي الذي أبالله دائماً بموعى منذ فارق أوديسيوس ،  
 فإذا انصرف الأوغاد المعاميد وفرغت من شغلك بهم فاحضر إلى لتقص  
 على من أنساه . » ولكن تليماك قال : « أماه ! لم لا أقص عليك  
 ما سمعت وما سافرت إلا لأطمئنك وأطمئن نفسي ؟ لقد سافرت إلى  
 بيلوس وحظيت بلقاء نسطور الذي هس لي وبش وفرح بي كأنما أنا ابنه  
 الذي افتقده طويلاً وعاد فجأة إليه ؛ غير أنه لم يذكر لي عن أنى قليلاً

أو كثيراً لعدم علمه بشيء من أنبائه ، ولذلك بعثنى مع واحد من أنبائه إلى ملك أسبرطه لأسأله عن أبى ... وقد لقينى منلوس فأحسن لقاءى وأكرم مثواى ، ورأيت زوجه هيلين الحسان المفتان التى شبت بسببها حروب طروادة ، والتي لقي من أجلها أبطال الإغريق أنكى ألوان العذاب ... ولما سألتى الملك فىم قدمت ، نبأته بأنباء العشاق المعاميد ، ووصفت له ما يجرون على بيت أبى من الخراب ، فأرغى وأزبد ولعنهم أشد اللعن ، وتوسل إلى الآلهة أن ترد إليهم أودسيوس فيمطش بهم ، ويميد إليهم صوابهم ، ثم قص على ما سمعه من أحد أرباب الماء — بروتوس — الذى أخبره أن أبى لا يزال حياً يرزق فى إحدى الجزر النائية ، وأن عروساً من عرائس الماء تحجزه عندها فى تلك الجزيرة برغمه ، لأنها تحبه وتهواه ، وأنه لا يجد سفينة يثوب عليها إلى الوطن . . هذا يا أماه كل ماعلمته عن أبى من الملك منلوس ، وقد أذن لى فى العودة فأبّت فى رعاية السماء وحفظ الآلهة . وكانت ينلوب تصغى وثورة من الحزن تجتاح نفسها ، ولظى من الوجد يفتك بقلبها . فلما فرغ تليماك ، التفت تيوكليمنوس المتنبي إلى السيدة الرؤوم فقال : « يا زوج أودسيوس أعيرينى سمعك ! إصغى إلى فسأتنبأ لك ! إن ابنك هذا لم يسمع عن أبيه أى نبأ يقين ... أما أنا ، فقد بدت لى أمارات وشهدت فى السماء علامات ... ومحال أن تسكذب علامات السماء .. أقسم لك بجوف العلى رب الأرباب ، وأقسم بهذا البيت بيت أودسيوس ، أن زوجك هنا ، وفى إيثاكا ... وهو يعلم كل صغيرة وكبيرة من أنباء العشاق وخبائثاتهم ،

وإنه ليدبر لهم عقاباً هائلاً لن يفلت أحداً منهم !! » وسكت المتنبي ...  
وأقبل العشاق من لعهم فخلعوا عباءاتهم ، ثم نشطوا إلى الشاء والخنازير  
فجزروا ل طعامهم ...

هذا ما كان من أمر تليماك وأمه ، وما كان من أمر العشاق . أما  
ما كان من أمر أودسيوس فقد مضى في الطريق إلى المدينة بخطى متعثرة  
والراعي بين يديه ، وعلى كاهله حقييته ، وفي يده عكازه ، وكلما لقيهما  
أحد صرّخه ، وشمخ بأنفه ، تفرزا من منظر هذا الشحاذ الفقير القذر ...  
ثم أتيا إلى نبع يتفجر في الطريق فيستقي الناس منه ، وقد بسقت من  
حواله أشجار الحور والسنديان ، وترقرق الماء فوق الحصاء كالبحرين  
يتدحرج من حيد أكمة هناك ، أقام الصالحون فوقها مذبحاً لعرائس الغاب  
حيث يتقدم الناس بنذورهم ويعقرون إضحياتهم ... وقد لقيها هناك راعي  
ماعر الملك — ملانتيوس — يسوق قطيعاً من أسمن ما يرعى لأجل ولائم  
العشاق ... ولقد كان ملانتيوس هذا من أذنانهم ومتملقهم . وكان يصنع  
كل ما يحبه إليهم ويضمن له عطفهم ، فلما رأى الفقيرين وأحدهما  
زميل له ، انطلق يهوى ويصخب ، ويسب ويسخر ، ويغمز الرجلين  
غمزاً شديداً موجعاً ، حتى غلى الدم في رأس أودسيوس : « إنشعلا  
أيهاذان المسخان ! طاعون يجتاحك يا راعي الخنازير القذر ! حقاً إن  
الطيور على أشكالها تقع ! كلب يقود آخر ... إلى أين ؟ إلى حيث يلتقط  
فتات موائدنا ! عجباً ؟ ألا تطلقه معي إلى المزارع ينظف الزرائب ويحمل  
اللف ويحرس الغلة ويشرب ما شاء من اللبن الحارز<sup>(١)</sup> والخيض ،

(١) شديد الحموضة والخيض الذي استخرجت زبدته .

ويكسو عظامه المعروقة بإهاب من اللحم ؟ ! ولكن هيهات ! فقد بلدت طباعه فلا يصلح لعمل شريف ! » . وهكذا ظل الراعي الشرير يقيء من هذا البذاء ، وركل أودسيوس آخر الأوسركلة قوية في ساقه ، فلولا ما حرص الملك عليه من كتمان أمره لحطمه بسببها ، ولمسح به ظاهر الأرض ! ولقد هاج هائج بومايوس فدعا آلهته لتنتقم لرفيقه الضعيف وطعم يقول : « يا عرائس هذا النبع المقدس اسمي بحق ما عقر لك أودسيوس وباسم ما ضحى أن ترديه إلى بلاده لينتقم من أمثال هذا الوغد الزنيم الذي لا يحسن إلا أن يخلق أعداء مولاه ، وإلا أن يغشى رحابهم ، بيدنا قطعانه سائمة في المرج لا راعي لها ولا حفيظ ! » فصاح الراعي الوقح : « هاه ! أجيبي يا عرائس دعاء كلبك الأمين ؟ أو اه لو أستطيع أن أحملك في فلك أحد هؤلاء السادة فأبيعك ببيع الرقيق في بلد سحيق ! أودسيوس ماذا أيها البهيم ! لقد أودى أودسيوس ولن يعود إلى الحياة قط . وودى لو لحق به ابنه تليماك ! ! » ... قالها ... وانطلق حتى بلغ القصر وغشى مجلس العشاق يطرفهم مما حدث له مع راعي الخنازير ... أما أودسيوس وأمينه فقد سارا روبداً حتى أتيا بوابة القصر فتلبثا عندها ... وتناول أودسيوس يد الراعي وقال : « يومايوس ! لاريب أن هذه سراي الملك ، أنظر ! هاهي ذى الحجرات يتساو بعضها بعضاً ، وهالك الرحبة الكهري ذات العاد وذات الأبواب ... وإني أحس أن هناك أضيافاً اجتمعوا لولية ، وهذا قتار اللحم يملأ خيائيمي ، وإرنان القيثارة يجلجل في أذني » . فقال يومايوس يجيبه : « أنت ذكي شديد الذكاء ! إنه هو المكان بعينه



والآن ، هل تذهب أنت وحدك فستعرض الأسراء وتعود ، أم تنتظر حتى أذهب أنا فأخطف نظرة إليهم ؟ على أنك يجب ألا تتلبث هنا طويلا فقد يراك بعضهم فيؤذيك ويطردك من هنا شرطودة » وقال أودسيوس « بل انطلق أنت وإني منتظر هنا ، فإذا لكني أحد أو لكنني أوركلي ، فلشد ما احتمل هذا وذاك ، وهل هو إلا بعض ما احتملت في حروبي الطويلة ؟ » وبينما يتحدثان ، إذا كلب كبير رابض يقف فجأة فيبصبص بذنبه وينصب أذنيه ، ويحدق بصره في أودسيوس ، ويظل مسحوراً ذاهلاً ! آه ! إنه الكلب العزيز أرجوس الذى رباه الملك قبل أن يرحل إلى طروادة ... لقد أهمل أمره ، فهو رابض هكذا فى حماة من الروث والقذر والقمل أمام بوابة القصر ، كالشاعر المعجوز الذى يجتث ذكرياته ! ! لقد عرف صوت مولاه بزغم السنين الطوال ، فبكى ، وهمر ، وأرسل الدموع حراراً تسقى صدغيه ! وقد تأججت فى قلبه الحيوانى ثورة من الحزن الطارئ المفاجئ فلم يقوأن يزحف ليمسح بلسانه قدمى مولاه ... وقد لحظ أودسيوس ما أصاب كلبه العزيز فبكى هو الآخر تأثراً ، وسجل هذه الآية من الوفاء للحيوان على الإنسان ! وأشاح بوجهه عن الراعى حتى لا يدرك ما بعينه من دموع . فلما مسحها بكمه قال يحدث يومايوس : « أليس عجيباً ومؤلماً معا يا صديق أن يتركوا هذا الكلب الذى تبدو عليه سيماء النبل فوق هذه الكومة من الروث قد يكون أقعده الضعف عن متابعة الصيد وقد يكون إبتاؤهم عليه من أجل منظره وحسن سمته ؟ ! » فأجابه الراعى : « أوه ، بلى أيها الرفيق !

أما والله لو شهدته في إثر مولاه أودسيوس اعجبت لعظم قوته وشدة جبروته ! أبداً لم يخلق الله وقتئذ كلباً أتبع لصيد ، أو أقوى حاسة شم منه وأبداً لم يكن عندنا كلب كآرجس هذا الرابض يساقط نفسه أنفساً ! ! إنه يبكي مولاه الذى قضى وتركه من ورائه لإهمال الوصيفات وقلة اكتراثهن ... أما عميد هذا القصر فهم كالوصيفات حذوك العمل بالنعل ، فهم لا ينشطون لعمل كما ينشطون وسيدهم بينهم ، ثم هم قد فقدوا بالعبودية وذلة الرق نصف آدميتهم ورجولتهم ! ! « ثم مضى أودسيوس نحو صديقه وخذن صباه ، فبكى وذرف دموعه ، وكذلك فعل الكلب ... حتى مات ... ولكن بعد أن رأى سيده تارة أخرى ! !

ولمح تلميذك راعية فأومأ إليه ، وأخذته جانباً ، ثم أمدته بنصيب جزيل من طعام الوليمة ... وبعد لحظات أقبل أودسيوس في صورة الشحاذ الفقير ، وجلس على الأرض ، فأرسل إليه ولده شيئاً من اللحم والخبز مع يومايوس ، وأسر إليه أن يرسله بين الأسراء يتكفف ، وبالأحرى ليتعرف ؛ فلما فرغ من طعامه نهض فسار بينهم بسأل هذا ويحديق فيه ، وينصرف إلى ذاك ويحججه ، ويمد يده من أجل لقمة كما يصنع الشحاذون ، وقد رثى له كثيرون فأمدوه بلبقات ومصغ من اللحم ، إلا أنطونيوس ، فقد استهزأ به وبمن أحسن من الأسراء إليه ، وعيهرم بأنهم يتصدقون بما ليس لهم ، ثم هاج وماج ، ورفع كرسيّاً وشك أن يحطم به رأس أودسيوس ، وأمره أن ينصرف فلا يعكر عليهم صفوهم أكثر مما فعل ! ! ولكن الكرسي صدع كتف الملك ، وأعفى رأسه ، ووقف أودسيوس كالصخرة

لا يتحرك ولا ينبس ببنت شفة ... ولكن ألف ألف فكرة سوداء كانت  
تكظ فؤاده وتزحم تفكيره ... ثم مضى يجلس حيث كان من قبل ،  
وهتف بالعشاق في صوت جهورى فقال : « سادتى الأسراء اسمعوا ! تالله  
لو أنها ضربة في حرب بين كفتين لما حملت لها موجدة في نفسى ...  
ولكن أنطونيوس رأى من سلطان الجوع والضعف ما جرّأه وأثار  
نحيبته ... وأنا مع ذلك أترك جزاءه لله ، وأضرع إليه جل ثناؤه أن  
يقبضه قبل أن تزف إليه عرسه ! » وكأنما خجل العشاق مما فعل أنطونيوس  
فجعلوا يلومونه ويتلاومون فيما بينهم . قال قائلهم : « من يدرى ؟ ألا يحتمل  
أن يكون أحد آلهة السماء جاء ليلبونا ... والويل لك يا أنطونيوس إذا  
صدق حدسنا ... ألا تعلم أنهم طالما يتنزلون فيغشون مدننا في صور  
الشحاذين ليروا بأعينهم ما نأفك وما نمن ؟ » ولم يبال بهم ولم يأبه لما  
قالوا ... وكان تلميخوس يتميز من الغيظ ، ويُسّر في نفسه أوجع الألم لما  
نال أباه من الضرب ، بيد أنه غلب غضبه ، وحبسه في أعماقه ، كحاجس  
في عينيه وابلا من الدموع ... وكانت بنلوب تطلع من شرفتها وترى  
ما حل بالرجل من إيذاء ، فهتفت بيومايوس أن يرسله إليها كيما تسأله  
عن أودسيوس ، لما يبدو عليه من أثر السفر وجوب الآفاق . قال الراعى :  
« أجّل يا مولاتى ، إنه رجل من كريت ، وقد خاض ألف مكروه قبل  
أن تحمله الصدفة إلى بلادنا ؛ ثم هو محدث ساحر الحديث طلى الرواية ،  
حتى ليخلب سمع من يصغى إليه بأشد مما يستطيع منشد مطرب أن يفعل !

وكلما طال حديثه لذت طلاوته ، وكثرت حلاوته ، فلا تمله أذنان ، ولا يضيق به مصنع إليه ... وأعجبنا ذكره مرة لى أنه رأى أودسيوس وعرفه فى أبيروس ... بل يزيد فيؤكد أن مولاي عائذ أدراجه إلينا ، حاملا معه كنوزاً من الذهب ، وأذخاراً لم تر العين مثلها ولم تخطر على قلب بشر !! « فتنهدت بنلوب وقالت : « انطلق إذن فأحضره ، ودعه يحدثنى بما روى وجهاً لوجه ، وسأهبه صداراً ودثاراً إذا توسمت فى قوله الحق ، وآنست فى روايته الصدق » .

وادعى أودسيوس أنه يخشى أن يجوز وسط الأمراء مرة أخرى ، وفضل أن يلقي الملكة فيتحدث إليها إذا جنَّ الليل بجانب المدفأ ... ووافقت الملكة ، وصوبت رأى الرجل ؛ وكان الوقت أصيلاً فقصد الراعى إلى تليماك وأستأذنه فى الانصراف إلى حظائره ، فأذن له ، ولكن بعد أن أمره بالتزود لعشائه ، ففعل يومايوس ، ثم مضى ليسهر على خنازيره .



## أوديسيوس يتشاجر مع شحاذ

وبينما كان أوديسيوس جالساً يزددرد طعامه ، إذا شحاذ ضخم الجسم شأه المنظر يدحل فجأة ، فيلتفت إليه جمهور العشاق . ويعرفون فيه الفقير إيروس ، المشهور بنهمه الذى لا يوصف ، و بإقباله الشديد على أردأ ألوان الشراب ... وكانت له عليهم دالة ، وليس فى الجزيرة كلها من يجمله ... فلما لمح أوديسيوس جالساً يتبلغ بلباقته ، نظر إليه نظرات المغيظ المحقق وقال له : « انحرف عن الباب أيها العجوز القذر وإلا جررتك من عقبيك ... ولو أننى أترفع عن مقارعة أمثالك !! » وحده أوديسيوس وقال : « أيها الصديق إني ما آذيتك ، وإن فى المكان متسعاً لكلينا ... أرجو ألا تثيرنى أكثر مما فعلت وإلا فلا يغرنك هرمى وتقدم سنى ، فتالله لأرينك كيف أضربك ضرباً تقول منه الهامة أسقونى ! إجنح للسلم هو خير لك ! وأصغ إلى نصحي ، وإلا فلن تدخل قصر الملك أوديسيوس بعد اليوم ... ! » وغيظ الشحاذ إيروس وقال : « اسمعوا ماذا يهرف هذا الشره الخرف ! ألا ما أشبهه بزوجة حقاء تثرثر أمام كانون ! تالله ليخيل إلى أن أنقض عليه فأنفض ثناياه ! هلم أيها الرجل ! استعد للقاء ، وليشهد السادة كيف أمثل بك ؟ » وقهقه أنطونيوس وقال : « أيها الأصدقاء اشهدوا ! إن إيروس يتحدى هذا الفقير ، والعقير بدوره يتحداه ، فهلم نجعل حولها خلقه لنرى إلى هذا العراك المضحك ! » وسكت

أنطونيوس ، وتككبب الأمراء حول الرجلين صاحكين عابثين ، ثم التفت إليهما أنطونيوس وقال : « إسمعا إذن ؛ ههنا كعكات ليس أجود منها ... وإنها خالصة لمن يتفوق منكبا على قرنه ... ولمن فاز أجر عندنا عظيم ... إبه سيجلس معنا في جميع ولأثنا منذ غد ، ولن ندع أحداً من الشحاذين يضايقنا بعد هذا اليوم » وتخابث أودسيوس وقال : « ياسادة ! من الظلم أن يتبارى رجل عجوز ضعيف مثلى مع هذا الهولة ... ولكن الجوع يدفعنى إلى البطش به مع ذاك ... بيد أن لى رجاء ألا يساعده أحد على ، فيمكننى مثلاً أو يلكزنى حيماً أكون مشغولاً به » فقاسموه ألا يفعلوا . وتقدم تليماخوس ابنه فقال : « أيها الرجل ، إذا وسعتك أن تناضل بهذا الزميل فلن نخشى من هؤلاء رهقاً ... إني أنا مضيفك ، وليس أحب إلى أنطونيوس ويوريماخوس من أن يشهدا هذا اللقاء الفذ بينكما ! » ثم إن أودسيوس شمر عن ساعديه وفخذه ، وكشف قليلاً عن صدره ، عامداً ليظهر الأمراء على عضله المكتر وقوته الخارقة ... وقد صدق حدسه ، فقد بهت العشاق ونظر بعضهم إلى بعض يقولون : « واعجباً ! أى عضل وأى ساعدين وفخذين يخفى هذا الرجل تحت أسماله ومرتقه البالية ؟ مسكين إيروس ! ماذا يبقى منه بعد هذا اللقاء ؟ ! » أما إيروس فقد انتفض وأقشعر بدنه مما عراه من الذعر ، ولكن الخدم لم يتركوا له أن يفر من اللقاء الذى دعا هو إليه ، بل شمروا له عن ساعديه وفخذه كما فعل غريبه ، ثم جروه إلى الحلقة برغمه ... وود أودسيوس أن يبطش بالرجل فيحطمه بأول لكمة ؛ غير أنه آثر ألا يفعل خشية أن يكتشف

العشاق من هو ... فلما امتدت الأيدي تصنع الدفاع ، وأقبل وأدبر ، وكر وفر ، ثم أهوى على أذن الرجل بضربة سحقت عظامه ، وطرحته على الأرض ... ولبت المسكين لا يبدى حراكاً من هول ما حل به ؛ بيد أن أودسيوس جره من عقبيه إلى ساحة القصر ، ثم عرج به نحو حدار كبير حيث سنده إليه ، وجعل في يده عكازه وقال : « إلبث هنا ولا تنفس منازل الملوك بعد ، وذد بعصاك الخنازير السائبة ، فذلك خير من أن تصيب بها الغرباء أمثالي ... فإن عدت إلى مثل حماقتك فإن يصيبك إلا شر مما رأيت ! » وتركه وانثنى إلى حيث كان ، فوجد العشاق يضحكون حتى كاد يقتلهم الضحك ... وهتفوا له ثم قالوا : « حقق الله آمالك ، وأنالك أمانيك أيها الغريب اللاجئ » ، بما خلصتنا من هذا الشحاذ النهم الملحاح ! » وسمع أودسيوس دعاءهم ، وابتهل إلى الآلهة أن تستجيب !! ثم وضع بين يديه أنطونيوس كعكة كبيرة ، وزوده أمفينوموس بخبز وخر صبها له في كأس كبيرة من ذهب ، ودعا له بخير . وآنس فيه أودسيوس طيبة ودمانة خلق فقال له : « هيه ! هلم أيها العزيز أحضك نصيحتي وأحدثك عن تجاربي ... ألا ما أضعف الإنسان ! إنه إذا ما مسه ضر دعا الله فإذا كشف عنه الضر فهو مقتصد ناء بجانبه كأن لم يمسه ضر ... فأنا مثلاً ، لقد كنت في عنفوان صباى أعيث في الأرض مغترأ بقوتي وفتوتي ، حتى أسقط الكبر في يدي ففثت إلى أمر السماء ، ولكن بعد أن كتب عليّ الشقاء ، وهكذا أولئك الأمراء الذين غرتهم الأمانى وأضلهم جبروتهم فأقاموا بهذا القصر غازين آمنين لا يظنون أن له صاحباً قد يفجأهم بعودته

فيستأصل شأفتهم ويذهب بريهم ... وإني والله أيها السيد لأرى أنه  
عائد ليس من هذا بلد ، وأنه عائد قريباً ؛ فتقبل أنت نصيحتي ولا تقم  
معهم ، بل انطلق إلى بيتك وأهلك ولا تستأن حتى يدهمك معهم فيحطمنكم  
أجمعين ... » وشرب أودسيوس ، ودفع الكأس إلى الأمير الشاب الذي  
بدت عليه أمارات الهم مما قال الرجل ، ولكن .. وأسفاه ! لقد كتب  
عليه الشقاء ، فلم يصغ لنصيحة أودسيوس .

وبدا لبلوب أن تذهب في بعض وصيفاتها فتخطر بين العشاق  
ليروها ، ولترى ماذا يكون ... وقبل أن تفعل ألقت عليها ميزفاً ناعساً  
وأمنةً ، وبدت لها في الرؤيا كأنما تعطيها ألهى عجيبة ؛ ثم إن الرنة  
أضفت عليها رواء كرواء الآلهة ، ونضرتها بنضرة الشباب والجمال ، فربا  
جسمها واستطال ، وزانته لمعة عاجية وسناء ... فلما هبت من نومها ،  
مرست عينها متعجبة ، وشدهتها تلك الغفوة الطارئة التي جلبت لها  
السعادة في دنيا من الهموم ... وتمنت لو أراحها الموت من حياة اتصلت  
أشجانها وباعدت بينها وبين إلفها بمفاوز من الآلام والأحزان ...  
وانطلقت في سرب من وصيفاتها فأشرفت على العشاق وقد ضربت بخمارها  
الشف على وجهها المتألق الناصع ، فذهل الملأ ، وراغت أبصارهم ، وأحسوا  
أن شيئاً يخلع قلوبهم ، فما منهم إلا من غنى أن يكون صاحب هذا الجمال  
الرائع والحسن الباهر ، والفتنة المتقدمة ... ونهض يورماخوس فقال  
يخاطبها : « يا ابنة إيكاروس بورككت ! تالله لو رأيك كل من في هيلاس  
لاجتمعت حولك قلوب غيرنا من العاشقين ، ولأقبلوا من كل فج فازدحوا



حولك ههنا ... في ذلك القصر العتيق ! » فقالت بنلوب : « يوريماخوس !  
 تالله لقد ذهب الآلهة بجألى الذى تصف يوم رحل عنى زوجى أوديسيوس  
 فيمن رحل إلى طروادة ... وما أنس لا أنس ما قال لى وهو قابض على  
 يمينى يودعنى : « زوجتى ! إن أكثر من تزين من هذا الجليس لن  
 يعودوا إلى ديارهم ... فى طروادة محاربون صناديد ، وملاعبو أسنة  
 لا يشق لهم غبار ، وذادة ورماة ! وإنى لا أدري ماذا يكون من أمرى  
 هنالك ، ولذا ، أكل إليك كل ما أودع ورأى ، وإنى موصيك أول  
 ما أوصيك بأبى وأمى ، فاعنى بهما كأحسن ما كنت تعنين وولدهما  
 معك ، فإذا شب ولدى وترعرع ، فلك أن تتركى هذا القصر إن شئت ،  
 وتزوجى بمن تختارين من الأكفاء الأنداد » هذا وإنى أرى أن هذا  
 اليوم العصيب قد حان ! ولكن وأسفاه ! إنكم اجتمعتم هنا لتأكلوا  
 وتشربوا وتعيشوا وتعبثوا بكل ما ترك صاحب القصر ... وكنت أظنكم  
 تقيمون فى منازلكم وترسلون إلى هداياكم لتكبروا عندى ولا تهزل  
 مكانتكم لدى ... ألا ساء ما تزيرون .

وتبسم أوديسيوس من قولها ، ووثق من إخلاصها ، وعجب من شدة  
 ما سحرت ألباب العشاق ومما أخذتهم به من حزم ... أما أنطونيوس  
 فقد أجابها بقوله : « أما هدايانا يا ابنة إيكاريوس فلا أحب إلينا من  
 تقديمها إليك ... على أننا لن نريم عن هذا القصر حتى تختارى لنفسك  
 بعلاً يكون كفتاً لك » وأيد العشاق ما قال قائلهم ، فنهضوا ليحضرُوا  
 هداياهم ، وسرعان ما عادوا يحملونها ... وتقدموا بها إلى بنلوب ؛ فهذا

ثوب ثمين من قاتم موشى بالذهب تزينه اثنا عشر زراراً ذهبياً ... وهذا عقدٌ  
 حُلّيت خرزاته بقطع من الكهرمان الحر؛ وتلك أساور من ذهب وشُخُوف  
 كثيرة وأقراط<sup>(١)</sup> . وعادت بنلوب ومن خلفها وصيفاتها يحملن الهدايا  
 والاهى ... وأخذ العشاق كدأ بهم فى القصف والاهو والعبث والغناء ...  
 حتى أقبل الليل ، فقدم الندامى بُجاسر من نحاس بها وقود يشتعل ،  
 وطفقن يلقين فيها من الند والرند والعود ذى العرف ، وطفق البخور يعبق  
 فى أرجاء البهو الكبير ... وهنا ... نهض أودسيوس وتوجه إلى البنات  
 يقول : « أيها العذارى أولى بكن ثم أولى بكن أن تذهبن إلى سيدتكن  
 فقساينها وتواسينها ، وسأقوم بالنيابة عنكن على هذه النار حتى ينصرف  
 العشاق ... ولن يثودنى أن أقوم عليها حتى مطلع الفجر ؛ ولن أضيق  
 بجمعهم مهما عبثوا بى ، فأنا رجل ذو تجارب » . فتضاحكن به ، وقالت  
 ميلازتو التى هى أجملهن وأقلهن احتشاماً ، تعبت به : ماذا أصابك الليلة  
 أيهذا النازح الغريب ؟ انطلق إلى حداد المدينة فم فى دكانه ، فهو خير  
 لك من أن تسهر ههنا وتثرثر ... هل غاب صوابك يا شيخ لأنك ظفرت  
 بالشحاذ إيروس ؟ اربع عليك ، فقد تنقليك السماء بمن يبطش بك كما  
 بطشت به ، ويطردك من هنا ؟! » ... ورشقها أودسيوس بعينه وقال :  
 أسكتى يا هناء<sup>(٢)</sup> والله لأحدثن بما حدثت الأمير تليماخوس فليقطعن  
 لسانك ، وليرقن جسدك ! » . وذعر العذارى وولين هاربات ، وقام

(١) الشخوف والأقراط (الحلقان) لأذن المرأة .

(٢) الهامة الداهية .

أوديسيوس على النار وجعل يلحظ العشاق وفي قلبه ضرام ، وما فتى يفكر في ألف خطة للانتقام منهم والبطش بهم ... ولم تشأ مينا أن تنهى هذا الشقاء الذى ضربته على أوديسيوس ، بل تركته يستهزئ به العشاق ، ويسخر به يوريماخوس ، فيضحك العشاق إذ يقول : « ما أظن إلا أن الآلهة قد أرسلت إلينا هذا الرجل ليكون حامل مشاعلنا وحامى قبسنا ... أنظروا إلى رأسه النحاسى ، أليس يصلح أن يكون مشعلا يضىء لنا ؟ » ثم التفت إلى أوديسيوس وهو يقول : « إذا استأجرتك لتسوّج مزرعة لى بعيدة من هنا وتغرس بها أشجاراً ، على أن أطعمك وأكسوك وأنقدك مالا ، فأبى ترضى ؟ ولكن لا ... إني لأظنك تنسرق منها طواعية لغرائذك وخَبثِ جِبَلِّك فتنبطلق إلى المدينة لتستجدى وتتكفف ... » .

وتخابث أوديسيوس وقال بحميه : « يوريماخوس ! تالله إنه ليس أحب إليّ من إن أباريك في فلاحه في يوم من أيام الربيع ، حين يطول النهار من مشرق الشمس إلى مغربها ، على ألا يذوق أحدنا طعاماً ولا يسيغ شراباً .. أو أن يعهد إلى كل منا بأربعة أفدنة في أرض جبّوب ، وثورين حفيذين ذوى خوار ، في ذلك اليوم ، لترى أينما يصمد لحرنه ويفلح أرضه ... بل إني لأتمنى ، لئلا تحن في هذه الأرض ، أن يدهننا عدو بخيله ورجله ، وتكون لى درع سابقة ، وخوذة من من نحاس ، ورمح فى يدي ، لترى كيف لا يحول الجوع بينى وبين أقرانى ، وكيف أضرج بدمائهم الأرض ، وأتركهم فى البرية جَزَرَ السباع وكل

نسر قشع ... أيها الأسكعُ الوقح ... والله لو أن أودسيوس رب هذا البيت قد فجأك الآن لضاقت عليك الأرض بما رحبت ... أنت أيها المفرور للمتعاظل الذي غره أن يكون شجاعاً بين نَوَكي لا حول لهم ! » .

وَجُنَّ جنون يوريماخوس ، وأخذ مُتَكِّثاً ثقيلًا وقذه شطر أودسيوس ، ولكن البطل انقتل بعيداً وسقط المتكأ على الساقى المسكين ، نخر إلى الأرض يئن ويتوجع ... وغيظ العشاق أيما غيظ ؟ وعلا لغطهم ، وودوا لو يسحقون أودسيوس ، لولا أن تقدم تليماخوس وحال بينه وبينهم وهو يقول : « يا سادة ! إني كصاحب هذا القصر ، لا أستطيع أن أطرد الرجل منه بعد إذ آوَيْته وضيَّفته ... والرأى أُنْ تقطعوا سمركم هذا وتذهبوا من فوركم إلى منازلكم حتى يتصرم الليل » ... وأيده الأمير أمفينوس ، ووقفوا جميعاً فاحتسوا الكأس الأخيرة ثم انقلبوا إلى منازلهم ... وفي نفس يوريماخوس من الهم ما تنوء بحمله الجبال ...

### المرضع العجوز تعرف أوديسيوس

وهكذا خلا الجو لأودسيوس وولده ، فقال ، يحدث تليماك : « أى بنى : ينبغي أن نحجى أسلحة القوم فى مكان حرير ، فإذا سألك عنها فقل لهم إنك تحفظها لهم حتى لا تتأثر بالدخان والغبار وتقلبات الجو . وامتثل تليماك ، ودعا المرضع العجوز يوريكليا فقال لها : أماء ليقرّ الوصيفات فى مضاجعهن حتى أنقل أسلحة أبى إلى مكان حرير فقد تراكم عليها الوسخ وأتلفها الدخان » وقالت يوريكليا معجبة : « أجل يا بنى ، إنه ينبغي أن

تعنى بكل ما يتعلق بأبيك وبكل ماملكت يداك ... ولكن قل لى ...  
من يحمل لك المصباح حتى تنقلها إلى حرزها ؟ ألا أدعوهم فيحملنه لك !  
وشكرها تليماك ، وذكر لها أن الرجل الغريب سيحمله ، وأهرعت  
يوريكليا إلى داخل القصر ، وهب أودسيوس وولده يحملان الخوذ  
والدروع والرماح ، وبدت مينرفا الكريمة تحمل بين أيديهما مصباحاً  
ذهبياً كان يشع سناء عجيبياً ، ونوراً لم تقع عيننا تليماك على مثله . فقال  
لأبيه وقد أخذه العجب « أبتاه ! ما هذا النور المنعكس على الجدران  
والعمد والقوائم والعوارض حتى ليكاد يحملها تلتهب ! أبدأ ما رأيت مثل  
هذا أبدأ .. لا بد يا أبى أن إلهاً معنا هنا ! » وقال أبوه : « أحزن  
عليك لسانك يا بنى ، واملأ قلبك بما ترى ، فإنه من نور السماء وهذا  
دأبُ الآلهة ... والآن ، لتصعد أنت فلتنم ملء عينيك كي تستريح ...  
أما أنا ، فباق هنا ، لأنه لا بد لى من أن أكلم أمك وخدمها . »

وانطلق تليماك إلى مخدعه ، وأقبلت بنلوب وأقبل فى إثرها سرب  
من خدمها فأعددن لها عرشاً ممرداً من ذهب وعاج استوت عليه وأسندت  
قدميها العاجيتين إلى متكأ جميل ، فبدت كإحدى الآلهة . وجلس  
أودسيوس على كرسى صغير بُدَّتْ عليه فروة غليظة ، ثم كلمته الملكة  
فقلت : « والآن أيها الغريب الكريم قص على من أنبأك وحبرنى  
من أنت ، ومن أى البلاد قدمت » فقال أودسيوس : « أيتها الملكة  
تعالى جدك وصلح حالك .. إن لك فى العالمين لذكر أعبق كالعطر ،  
واسماً كريماً ليس لملك عظيم يحكم أمة عظيمة بالعدل وتجزيه بالحبة ...

إننى يا مولاتى رجل كثره الزمان ، وعسفت به يد الحدثان ، فإذا سألتنى ما اسمي وما بلادى ، فإنك تثيرين فى أعماق ذكريات عنيفة تدمى فؤادى ، وتفجر الدموع فى مآقي ، فأعفينى آيتها الملصقة من ذكر ذلك ، فإنه ليحزننى أن أجلس بين يديك باكية متصدعا مهموما ... » وبدا الألم على وجه بنلوب وقالت : « أواه أيها الغريب ما أقسى ما ذبلت حياتى وذوت زهرتى مذ رحل زوجى المحبوب إلى طروادة ، تاركالى الهمة ، ومخلفا لى الحسرة ! ألا ما أقسى ما يحن قلبى إليه ، ولشد ما يخفق من أجله ! لقد أسلمنى بعاده ليل أليل من الآلام ، فما أدري منذ فارق كيف أهش لصيف مسكين مثلك ، ولا كيف أيش لأحد من العالمين ... وهؤلاء الأسراء اللؤماء الذين تكبكبوا حولى يريدون ليرغمونى على اختيار أحدهم بعلا لى من دون أودسيوس لا أدري كيف أذودهم ، ولا أعرف السبيل لدفع أذاهم ... لقد مكرت بهم طويلا ، ولكنهم مكروا بى السيئات ، فلا أدري كيف أنقذ نفسى منهم ؛ وهذان أبواى يريداننى على هذا الزواج البغيض إلى ، وهذا ابني قد شب ، وهو يضيق بعشاقى ذرعا ، وإن فى صدره حرجا منهم لأنهم يهلكون ثروته ، ويعيشون فى قصره ، ويخوضون فى عرض أبيه ... ولكن ... حدثنى بأربابك من تكون ، ومن قومك ، وأى بلاء من الدهر شردك عن وطنك ... تكلم أيها العزيز ولا تحزن » . وأرسل أودسيوس آهة عميقة ثم تكلم فزخرف حديثا طويلا مؤشئ ، ولفق قصة حزينة متقنه ، وذكر الملكة أنه رجل مُمرزا من جزيرة كريت كانت له نعمة وكانت له سعة من العيش ، وذكر

أبويه وأهله والحياة الواسعة المخرجة التي كانا يحيطانها ، ودكر أنه عرف أودسيوس أول ما عرفه حين غرقت به الفلك وقذفه الموج على الشاطئ الكريتي ، فهرول إليه وتلطف به وأحذه إلى داره حيث أكرم مشوا. واحتفى به أبواه ... ولم يكد أودسيوس يفرغ من حديثه حتى تفرقت الدموع في عيني بنلوب ، وانطلقت تبكى على زوجها الذي لم تدركه جالس إليها يحدثها ويوشى لها أطراف الكلام . وتأثر هو من مكانها فكادت عيناه تفيضان بالدمع ، لولا أن ملك حاله ، وهيمن على عواطفه ، فخبس للعبوات التي أوشكت تهمل بأجفان من حديد ... ثم أرادت الملكة أن تمتحنه إن كان صادقاً فقالت : « وهل تذكر أيها العزيز ماذا كان يلبس يوم لقيته ؟ أ تستطيع أن تصفه لي ، وتصف رفاقه الذين صحبوه في هذه الرحلة المشؤمة ؟ وتخابث أودسيوس فقال : « مولاي ! ليس من اليسير على شيخ كبير مثلي أن يذكر أحداث ما قبل عشرين عاماً ... بيد أنني سأحاول أن أرسم لك الظلال الضئيلة التي لا تزال تنطبع من صورته في رأسي ... أذكر يا مولاي أنه كان يلتمع بثوب أرجواني موشى بالذهب ، وقد رسم فيه بالذهب أيضاً كلب صيد معروق يحمل في برّطيله<sup>(١)</sup> خليلاً مرقطاً . وأذكر أنني رأيت قميصه ولمسته ، فلا أذكر أنني لمست في حياتي أنعم ولا أرق ولا أتمن ... وكان يسعى بين يديه مشير أكبر منه جسماً وسناً ، ذو كتفين مستديرتين وبشرة سنجابية

---

(١) عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه فم الكلب أو شفته ولم يدكره

وشعر مُغلغل ... وكان أوديسيوس يوقره ويمجّله أكثر مما كان يبجل  
سائر أصحابه »

وصمت أوديسيوس ، وبكت بنلوب فاستخرطت في البكاء ، ثم قالت :  
« لشد ما كنت أرثي لك أيها الغريب المازح الجوّاب ؛ أما الآن فإني  
أحترمك وأعطف عليك ، بل أحبك ؛ تالله لقد صنعت له هذا الثوب  
بيدي ، وأنا التي وشيته بالذهب ! وأأسفاه عليك أوديسيوس ! إنك إن  
تعود إلى يا حبيبي ! بُعداً ليوم نزحت فيه عن وطنك إلى هذا البلد  
اللعين المشؤم ... طروادة ! » وهش أوديسيوس وقال : « خفي عنك يامولاتي ،  
ولا تتلغى قلبك بطول هذا البكاء . ثم لما إذا تياسين من أوبته وقد سمعت  
عنه أخباراً سارة حين كنت في أيروس ؟ لقد مات عنه كل أصحابه ،  
ولقد غرقت سفينته في أعماق اليم لغضب صبته الآلهة عليه ؛ بيد أنه نجا  
مع ذاك . وهو الآن سليم معاف ، يوشك أن يصل إلى إيثاكا بخير .  
وأنا لا أرسل ما أقول حديثاً ملفقاً ، بل أحلف عليه وأقسم بأغلظ الأيمان  
أنه سيصل إليكم في عامكم هذا ... بل ربما كان بينكم قبل أن يتم القمر  
دورة هذا الشهر !! » . فتأوهت بنلوب وقالت : « ويك أيها الضيف !  
تالله إن قلبي ليكذب ما تسمع أذنائي ، وإنه لا يصدق أن صاحبي عائد  
يوماً إلى إيثاكا ... ولكن هلم ... إني سأسر وصيفاتي فيغسلن قدميك  
ويعطينك ثياباً وكسوة ويهيئن لك فراشاً وثيراً هنا . فإذا كان الغد  
فستجلس مع تليماك على مائدة الأمراء ولن يجسر أحد منهم أن  
أن يكلمك كلمة أو أن يمد يده إليك بأذى » وشكر لها أوديسيوس



وقال : « مولاتى لقد اعتدت أن ألتحف السماء إذا نمت ، وأن أفترش الغبراء ، ولن تمسنى وصيفاتك ، فقد يذعرن من خشونة قدمى ... ولكن إذا كان فيهن واحدة مخلصة شربت من كؤوس الزمان مثل ما شربت من محن وآلام ، فلا بأس أن تغسل لى قدمى ، على أن تكون عجوزاً حيزبوناً ؟! » . وسرت بنلوب وقالت تجيبه : « أبداً ما علمت أحزم منك ولا أوفر ذكاء وعقلاً أيها الصيف الكرم . لك ما سألت ، فإن عندنا خادماً أميناً طاعنة فى السن كانت موكلة بمولاي أودسيوس إذ هو طفل تغسله وتسهر عليه ، وهى التى ستغسل لك قدميك ... يوريكليا ... يوريكليا ... أقبلى فامهرى على هذا الرجل العجوز الذى له مثل سنك وتجاريبك ... إن له سحنة كسحنة أودسيوس وسياء كسيائه ... إغسلى قدميه وقدمى له كسوة تليق بضيف حل بيتنا » وكانما هاجت ذكرى أودسيوس شجون المرأة فترقرق الدمع فى عينيها الملوذتين وقالت : آه يا أودسيوس لشد ما ينزع فؤادى إليك ويخفق لذكراك ! تالله لم أر رجلاً أخبت للآلهة كما أخبت وضعى لها كما وضعى ... ومع ذلك فقد ناموا جميعاً عنه فلم يتأذنوا برجوعه إلى وطنه ! ومن يدرى ؟ فقد يكون غريباً كهذا الغريب ، جواب آفاق فى بلاد نائية ، ومن يدرى ؟ فقد تكون نسوة تعبت به كما عبت نسوة هذا القصر بهذا الرجل ... هلم أيها الضيف الكريم ، لا أحب إلى من أن أغسل قدميك كما أمرت مولاتى ... أوه ! يا للعجب ؟ ! لماذا ينجذب إليك قلبى هكذا ! يا للآلهة ! ! أبداً ما رأيت من أضياف هذا البيت العتيق أشبه بأودسيوس منك صورة وصوتاً وخطراًنا ... » .

وتأثر الملك وأنشأ يقول : « ربما يا أماء ! لقد قال مثل ما قلت كثيرون  
 من رأوني ورأوا أودسيوس » وذهبت يوريكليا فأحضرت طَسًّا<sup>(١)</sup> به ماء  
 واتهز أودسيوس انشغالها عنه فابتعد عن الموقد ، لأنه ظن أن المرأة قد  
 ترى الندوب التي بقدمية ، الباقية ثمة من عضه خنزير برى كان قد بطش  
 به في حدائته فتكشف ما حرص هو عليه من كتمان أمره ... بيد أنها  
 لمست النَّدْبَةَ<sup>(٢)</sup> الكبرى في ساق سيدها إذ هي تغسلها ... وكانت  
 الظنون قد ساورتها لما سمعت من صوته ، واستذكرت من صورته . فلما  
 تحسست الندبة زاع بعمرها ، وحملت فجأة في وجه مولاها وسقطت يداها  
 من غير وعى فانقلب الطس النحاسي محدثاً صوتاً مُرِنًا مُدَوِيًّا ... وسال  
 الماء ... وانحبس الدمع والمنطق في عيني العجوز ولسانها ، ثم عاجلت المفاجأة  
 السارة المحرنة في صدرها ... وصرخت تقول : « أنت ! هو أنت ! والله  
 إنك لأودسيوس ... لقد عرفتك » هذه هي النَّدْبَةُ التي أحدثها الخنزير  
 بساقتك ! لقد لمستها بيدي ! » وأهرعت العجوز مذهولة نحو پنلوب لتزف  
 إليها البشرية الهائلة ... ولكن مينرفا كانت أسبق منها ... فقد  
 سحرت عيني پنلوب وسمعها ... وهجل أودسيوس إلى العجوز فأطبق بكفه  
 على فمها وقال : « يوريكليا ! أصمتي ! أنا هو ! ولكن أصمتي ! إن كلمة  
 واحدة منك تقضي علي ! لقد غذوتني ونشأتني في حضنك صغيراً ، فهل  
 تكونين نكبتني وشاحذة سكينى كبيراً ، و بعد أن وصلت إليكم بعد يأس  
 وقنوط من عودتي ؟ أصمتي أغلى لسانك بسلاسل وأصفاد فلست أريد أن

(١) الطس بالفتح والطست والعاسة (الطشت) الذي يغسل فيه (قاموس) .

(٢) أثر الجرح القديم .

يعلم أحد أننى هنا .. وإلا ... فتالله لن أرحمك — ولو أنك مرضى —  
يوم يجد الجدا ! » .

وارتعدت يوريكليا ، وقالت تهيبه : « أى بنى ! لم تكلمنى هكذا ؟  
أتشك فى ثباتى وحفاظى ! إطمئن يا بنى ، فسأكون أصمت من الحجر  
الصلد ، وأسترسرك من الحديد ! » فخدجها أودسيوس وقال أصمتى إذن ،  
ولا تغسدى تدبيرنا ، ولنتوكل جميعاً على الله ! وذهبت فأحضرت ماء آخر ؛  
وأخذت فى غسل رجليه العظيمتين ، فلما فرغت ضمختهما بأفخر الطيوب ،  
ووقفت تقلب عينيها فى مولاها بينما كان هو يربط لفائف على ندوب ساقيه  
وأخذ أودسيوس كرسيه وجلس قريباً من الموقد لتقاء بنلوب التى شرعت  
تحدثه وتقول : « أيها الضيف ، ما أرى بأساً فى أن أسألك إذا كفت أبقي هنا  
مع ولدى أو أختار أحداً من أولئك الأمراء فيكون لى بعلا ... على أن رؤيا  
رأيتها لا تزال تضطرب فى خلدى ولا أعرف كيف أعبرها . ذلك أننى  
كفت أقتنى عشرين إوزة بيضاء ، وكنت أحبها وأرعاها بنفسى ، فرأيت  
فيما يرى المنام نَسراً قشعاً انقض عليها من الجوافا فترسها جميعاً بينما كانت  
تأكل طعامها من الملعف الذى أعدته لها ... ولما رأى النسر شدة حزنى  
والتىاعى على أوزى ، وقف على نقوه قريب ثم أنشأ يكلمنى ويقول :  
لا تمزنى يا ابنة إيكاريوس على الأوز فإنه يمثل عشاقك الفساق ... أما أنا  
فأمثل زوجك النازح الذى سيعود من سفره فجأة فيبطش بالطغمة  
العاتية التى استباحث قصره ، وولغت كالكلاب فى عرضه ... ألا يا ابنة

إيكاريوس اسعدى ! » واستيقظت من نومى مسبووهة ونظرت إلى إوزى لأطمئن عليه فوجدته سالماً ... فهل تستطيع أن تعبر عن تلك الرؤيا أيها العزيز ؟ » .

فقال أودسيوس : « أيتها السيدة الفاضلة ... لقد فسر لك الرؤيا زوجك بلسانه ... وهى تعنى غير ما قال ... إنه فادم وشيكا لا ريب ... وأنه حامل إلى العشاق منايام » .

وأنأقلت بنلوب ثم قالت : « أبداً ... إن هى إلا أضغاث أحلام ! إذا كان غد فإنى ذاهبة إليهم فذاكرة لهم شرطاً إن استطاعوه نالى أقوام فذهبت من فورى إلى بيتى ، وتركت كل هذا القصر الذى دخلته زوجة لخير زوج ، ليكون حلاًماً جميلاً يزخره لى الماضى ... وذلك أننى شارطة عليهم أن يحملوا قوس أودسيوس فيصيدوا بها غرضاً يحترق السهم إليه اثنى عشر (دنجلا)<sup>(١)</sup> فإن أصابه أحدهم فإنى له » . وهش أودسيوس وأيد مكرتها « لأن واحداً منهم لن يستطيع أن يوتر قوس أودسيوس قبل أن يحضر أودسيوس فيحطمهم جميعاً ! ! » وأشارت بنلوب إلى خدمها فأعددن لأودسيوس مئتكاً وفراشاً وثيراً ... وذهبت بنلوب لتذرف فى مخدعها دموعاً من بلور .

---

(١) لم نحد فى العرية — أو لم عرف — مرادفاً لمحور القرص أو العجلة ، فأجزنا هذه اللفظة لشيوعها بين الصناع .

## سندبر من السماء

طفق أودسيوس يتقلب فى فراشه على أحر من الجمر ، وطفق رأسه  
يفلى كالقدر ، بل يفور كالتنور بطائفة نائرة صاخبة من الأفكار  
والوساوس ، وهو لا يدرى ماذا يصنع بهذه العصابة أولى القوة من أولئك  
العشاق اللغاليك ، وهو وحده ، ومهما يكن شجاعاً صنديداً فقد يتكاثر  
الذباب على الأسد فيقتله ...

وهبطت من السماء مينرفا اللطيفة فى صورة حساء هيفاء ممشوقة القند  
بارعة القسمات ، فجعلت تواسيه وتطمئنه ، وتبشره بأن الأولب كله من  
ورائه فلا يخاف ولا يأسى ...

— «هذا حسن أن يكون الأولب ، وتكونين أنت ياربة الحكمة ،  
من ورائى حتى أنتصر على أولئك الجبارين ... فكيف لا أخشى أن يهب  
من ورائهم قبائلهم وذرايرهم واللائندون بهم يثأرون لهم فيحل بى بطش  
شديد ؟؟ » فتقول مينرفا : « الذى يحفظك منهم غداً يحفظك من غيرهم  
بعد غد ، ولو جمعوا لك جحفاً أضعافاً ... فلا عليك أيها العزيز ... خل  
عنك الوساس إذن ... ونم ملء جفنيك ... واترك للسماء قيادك فهى  
حسبك ... » قالت هذا وزفت فى الأثير اللانهائى إلى أولب ، تاركة  
وراءها القصر العتيد بمن فيه من نؤام وغير نؤام ...

مسكينة بنلوب ! لقد كانت هى الأخرى شاردة اللب ، موزعة

القلب ، ما ترقأ لها عبرة ، ولا تغفى لها عين ، ولا يقر لها قرار .. لقد لبثت ليلها كله تتشوف إلى أودسيوس وتبكي عليه ، وتستذكر أيامه ، وترثى لهذا الفتى اليافع تلياًك ؛ ثم تدعو الموت كي يخذم أنفاسها ، ويؤقر عليها أحزانها ... ولكن المنيا نوافر لا تستجيب لدعاء أحد .. وهت أودسيوس عند مطلع المجر فانطلق إلى المذبح الكبير حيث جثا متضرعاً لهفاناً ، يسبح باسم زيوس العلى ويصلى له ، ويهتف به أن يجعل له علامة يطمئن قلبه بها ، وليعلم أن كبير الآلهة لا يزال يحميه ويكأوه ، كما كآه في شدائده في كلا البر والبحر ... وكان أودسيوس يزكى صلاته بأطهر الدموع وأحرها ، وكان سيد الأولب يصغى لدعائه من علياء السماء ، فما إن فرغ الملك المحزون حتى أرسل زيوس في الأرجاء زلزلة عظيمة مدوية رجعت أضدائها جنبات القصر الساكن ، وأحياد الجبال الشامخة ... وكانت خادم بأئسة تسهر طوال ليلها عاملة في طاحونها ناصبة ، فلما وقرت في سمعها الزلزلة ذعرت وروعت ، وأزاحت طرف الستر لتنظر إلى السماء فلم تجد فيها سحابة واحدة ، بل وجدت بها مشرقة بتباشير الصباح ، مضيفة بنور ربها .. فجعلت تجأ إلى الله وتقول : « زلزال وليس في الأفق سحاب ! ! أما والله إنه لنذير ، أما والله إنها لغصبة السماء على هؤلاء المفاكيد ... القساة ... الذين يقسروننى على هذا العناء وذاك النصب طوال الليل كأنى من حديد ... يا جوف العلى ... إن يكن ما سمعت حقاً ؛ فإنى أسألك بحق أسمائك أن يكون هذا الدقيق آخر ما يأكلون من زاد هذه الدنيا ! ! » .

وتبسم أودسيوس من قولها ، وتوسم فيه وفي تلبية السماء خيراً له ،  
وشاع في أعطافه شعور قدسى بما دنت ساعة الانتقام ... وكانت الوصيفات  
الأخريات يوقدن نار المدفأ في الردهة الكبرى ، بينما برز تليماخوس من  
مخدعه مخترطاً سيفه ، ورمحه يختال من خلفه ، حتى إذا بلغ وصيد الباب  
الكبير هتف بالمرضع العجوز يوريكليا يقول : « كيف حال الغريب  
النازح يا أماء ؟ بودى لو أنكن عنيّتين به كما ينبغي ، لأن والدتي على  
ما جبلت عليه من خير ولطف ، لا تهتس لأمثاله من النارحين الغرباء »  
وقالت يوريكليا تجيبه : « يا بني لا تثريب على والدتك في هذه السبيل  
فقد احتسى ضيفك من الخمر ملء بطنه ، حتى لقد أبى أن يذوق طعاماً  
بعد ، وقد أبى إلا أن ينام على فراش خشن في الردهة الكبرى ، ولا  
أدرى لماذا تشبث بهذا » . وانطلق تليماك إلى المدينة يتبعه كلباه . ثم أقبل  
الراعى يومايوس يسوق بين يديه ثلاثة خنازير كناز من أسمن قطعانه ،  
وما إن رأى أودسيوس — الشحاذ الفقير في حسبانته — حتى قصد إليه ،  
ولبث يسأله عما لقي من العشاق — فدكر له أودسيوس ما كان من  
وقاحتهم ... وبينما هما كذلك ، إذ أقبل الراعى السفیه ، سليط اللسان ،  
ميلائتيوس وهو يحدو قطعانه وماعزه ، وطفق كدأبه يسب أودسيوس  
ويرسل عليه وعلى يومايوس ما تزعج به فنه من شتائم ، تحرشاً بالرجل  
الشحاذ الفقير ، ولكن أودسيوس لم يحرك ساكناً ... وأقبل راع آخر  
يقود بقرة صفراء لاذلول ولا فارض ، يدعى فيلوتيوس ، فوقف عند زميله  
يومايوس يسأله عن صاحبه الفقير الشيخ ، وكانما راعته ملاحه وحسن

سمته : « إن له سياء كسياء الملوك برغم أسماه ومزقه ! » ، ثم صافح أودسيوس وقال له : « مرحباً أيها الأب ! خفف الله عناءك ووضع عنك وزر ما تشكو . يا للسماء ! إن مرآك يفجر الدموع في عيني لأنك تذكرني بمولاي أودسيوس الذي وكل إلى رعى قطعانه وأنا بعد صغير حدث ، فكبرت كما كبرت ، وتضاعف عددها ... ولكني وأسفاه لا أفرح بسمنها ووفرة عددها ، بل إن الحزن ليرزح على نفسي لأنها تسمن فتكون غذاء لا مباركا ولا هنيئاً لأوائك الظالمين ... ولولا رجائي في السماء ... وأملى الكبير في عودة مولاي أودسيوس لكذت من بعيد بسيد آخر أخدمه ، لأن الصبر على خبائث هؤلاء العتاة الطغاة لم يعد في طوق أحد ... وأسفاه عليك يا مولاي أين أنت اليوم ؟ ألا ليتك تعود فتبسط البطشة الكبرى بهؤلاء الجبارين ! » ... واغتنبط أودسيوس بما سمع من كلام الراعي فقال له : « لله ما أستجعبك أيها الصديق ! ولكني أبشرك وأطمئنتك ، وأقسم لك أن مولاك عائد ما في هذا شك ، وهو عائد عما قريب ، وستشهد عيناك هاتان مصارع البغاة الطغاة ! » ... وبينما هما يتحدثان إذا بالعشاق يقبلون أفواجاً فيملأون البهو ، ويجلسون إلى وليتهم ، فيشير تليماك إلى أبيه فيجلسه معهم ، ويعتد له مائدة ومقعداً ، ويحضره من الشواء والخبز والشراب ما هو حسبه ويقول له بمسمع من الجميع : « اجلس أيها السيد ولا تخش رهقاً ... إني أمقت أن أسمع شغباً اليوم ، فالببيت بيت أودسيوس وإني لصاحبه ! » وغيظ أنطونيوس فقال : « دعوه فقد حق له أن يقول



ما يشاء ، فتالله لولا أنْ حال جُوف بيننا وبينه لأسكتنا إلى الأبد  
 أنماسه ! » وقال سفيه آخر : « طب نفساً ياتليماخوس وقرّ عيناً ، فهناك  
 منحة منى لصيفك ، مضغة مشتهاة ! » ثم تناول عظمة من السلة القريبة  
 فقفز بها أودسيوس الذي انحرف عنها فلم تصبه ، وعندئذ قال تليماك  
 مغاضباً : « تالله لو أصابته لأفضدتك برمحي هذا فنفذ في صدرك ، وخروج  
 يلعب من ظهرك ، ولا نقلب العرس الذي تحلم به فكان مناحة تؤز  
 بيتك ... إني لم أعد صبيهاً بعد فلا ترهبوني ! سترون كيف أستطيع أن  
 أضع لكل ذلك حداً بعد إذ طفح الكيل ! » وهنا هب اثيم آخر فخذ  
 في سخرية مقالة تليماك .. « لأن من حقه أن يحصى ضيفه ... ولكن  
 اسمع ياتليماخوس ... لم لا تمضي إلى أمك وقد ينسُت من عودة أبيك  
 فتطلب إليها أن تحضر فتختار البعل الذي يروقها من بيننا ! » فتعمَل  
 تليماك الكلام وقال : « هي حرة مطلقة الحرة . إني لا أقف في  
 طريقها ولا أقسرهما على شيء ! » وما كاد يفرغ حتى انفجر المناكيد  
 يضحكون ويضحجون .

ثم حدثت المعجزة !

لقد تضرجت وجوه القوم بحمرة الدم .. ولقد تحركت قطع اللحم  
 فوق الخوان فهي تقطر دماً أحمر كأنه ينبثق من غلاصم قتلى ! ثم امتلأت  
 عيونهم بدموع غزار حرار ... ثم طمقت دموعهم تعلو وتهبط وتنشق عن  
 تنهدات تصعد من سويداءات القلوب ... ثم هذا ثيوكليمنوس  
 — الكاهن الأبق — يشهد المعجزة ويرى النذير ، فينهض فيهم قائلاً :

« نساء لكم أيها الأبحاس لقد سىء بكم ! ماذا تخبأ لكم المقادير يا ترى ؟ ما هذه الظلمات كأنها قطعُ الليل تغطش رؤوسكم وتزلزل أقدامكم ؟ وما هذه الدموع تتصبب من عيونكم قتشوى خدودكم ؟ أنظروا إن استطعتم ! ما هذه الدماء التي تضرع جدران القصر ؟ ما هذه الأشباح التي تكظ الهوا الخالد ؟ إنها تنهاوى إلى عالم الفناء فويل لكم ! ؟ أوه ! وتلك آية أخري لقد كسفت الشمس فجأة وتوارت بالحجاب ! الضباب الصباب ! ما أروع الضباب ينتشر فيملاً ما بين الأرض والسماء ! ! » .

وبالرغم مما أندر الكاهن فقد أغرق القوم في الضحك ، ولم يزدادوا إلا خبالاً ... وقال قائلهم ، وإنه ليوريماخوس : « ما أحسب إلا أن به جنة ! خذوه فعلوه ثم في السوق صلوه ، عسى أن يجد ثمت ضياء يمشى فيه ، إنه لا يجد ضياء هنا ! ! » .

وتلبث الكاهن فقال : « أرسع عليك يا يوريماخوس فإن لي عينين وأذنين وإني لأرى وأسمع ... وإني نذير لكم من بلاء يحل بكم فلا يبق ولا يذر ... أيها الأفاكون المفسدون ! » وانطلق الكاهن من القصر ... ولز أحد العشاق تلياك فقال : « ألا ما أتعسك في كل من ضيقت من ضيف يا فتى ! أما كان بحسبك هذا الفقير الشحاذ القذر الذي تطعمه ، ما عليه من سبيل ، حتى تجلب هذا المتفهيق الذي يدعى النبوة ويرجم بالغيب ؟ » .

وصمت تلياك فلم ينبس ، وظل ينظر إلى أبيه ، ويرقب ساعة الجد .

## وما رميت إذ رميت ...

وكانت ينلوب جالسة في الحريم تسمع إلى ضجيج القوم وعجيجهم ،  
فبدأ لها أن تصع حداً لهذا العبث العقيم الذي استمر كل هذه السنين  
الطوال فأمرت بعض وصيفاتها فتبعنها إلى الحبأ الذي حملت به أذخار  
الملك وعقاده ، والسلاح الذي فرقت له قلوب وارتعدت فرائص وزاغت  
من هوله أبصار ...

لله ما كان أشجها ذاكريات حافلة بأروع ضروب المجد ! ها هي ذى  
تلك الرماح التي طالما لاعب بها أودسيوس الأسنة ، والسيوف التي طالما  
انزع بها الأرواح ، والدروع السابغات التي كانت تدرأ عنه وتحميه ،  
وتحمظه وتفتديه ... ثم ها هي ذى تلك القوس العظيمة معلقة فوق الحائط تلمع  
وترقص من حولها المنايا ... القوس ذات الذكر التي أهداها إلى أودسيوس  
أحد المعجبيين به ... ها هي ذى بعد هذه السنين الطوال لم يحملها أحد  
غير أودسيوس ، لأن أحداً غير أودسيوس لا يستطيع أن يثنى قوس  
أودسيوس ، وفيها الوتر العرْد ، الذي لا يلين ولا يبين ولا يرْد ، إلا إذا  
كلمه أودسيوس !! وتناوات ينلوب كمنانة السهام التي طالما قذفت المنون  
في قلوب الأعادي ، وجلست تثرها في حجرها ، وتنتقى منها ، وتبكي أحر  
البكاء ... لأن كل سهم منها كان يهيج في قلبها ذكريات زوجها البطل .  
وأشارت إلى وصيفاتها فحملن القوس العظيمة ، وحلن (الذناجل) ،  
ثم حملت هي السهام وسارت أمامهن ، وعلى وجهها نقابها السادر الحزين ؛  
حتى إذا كانت عند الأمراء هتمت بهم فصمتوا ، ثم قالت لهم وفي صوتها

نبرة الحزن ، وموسيقى الآلام : « ها هي ذى قوس أودسيوس وتلك هي سهامه أيها السادة الأمراء ، فمن استطاع أن يثنيها فيرسل عنها سهماً يخترق الدناجل الاثنى عشر فأني له ، وهو صاحبي ... وعسى أن تبطل السماء حجبتكم اليوم ... فقد طالما ذهبتم بخير هذا القصر ، وأرغتم من زاده بحجة أنكم عشاق ، كما استبجتم أن تسموا أنفسكم ، فإليكم القوس فانظروا ماذا تصنعون » وأسارت إلى الراعي يومايوس فتسلم القوس العظيمة ، وحملها معه زميله راعى الصأن فيلوتيس ... ثم إن الراعيين لم يطيقا ذكريات سيدهما التي هاجتها فيهما القوس فذرفا دموعهما ثم استخرطا في البكاء ... وانتهرهما أنطونيوس فقال : « تباً لكما أيها الفلاحان القذران فيم هذا البكاء ! ألتهميجان الشجو في فؤاد سيدتكما ؟ إنطلقا أيها المسخان فأكفيا بعيداً فتالله ما أحسب بكاء كما إلا يزيد في صلابة القوس ، وتالله ما أحسب أحداً منا يبالغ منها مأرباً ... وئى ! من مناله بأس أودسيوس ؟ ! لقد كنت طفلاً ، بل كنت وليداً ، حينما رأيت رجلاً ذا صولة وفتوة يهديها إلى البطل ... أجل .. رأيت هذا بعيني هاتين . وكان في كل ما قال ساخراً ... فقد هياً له الغرور أنه بقليل من العناية سيثني القوس ويرسل السهم ويحظى بنبلوب ! »

ونهض تلياك فقال إنه سيساهم في الرماية فإذا استطاع فإنه سيبقى أمه لديه ولا يتركها تغادر منزل أبيه أبداً ... ثم حفر حفراً على خط مستقيم فجعل في كل منها دُنْجلاً وثبت حولها بالحجارة والتراب ... ثم إنه تناول القوس العظيمة وألقمها السهم ، وجمع قواه وطفق يشد ؛ وفشل مشى

وثلاث ، وكانت القوس تشمخ عليه فلا تكاد تنثنى ، حتى إذا حاول الرابعة وأوشك أن يظفر ، أومأ إليه والده ففهم ما يريد وقال : « أوه ! إنه لا يقدر على هذه القوس إلا من هو أقوى منى وأكمل جسمانياً وأتم بنية ... فليقدم لها من شاء منكم حتى نرى ! » .

وقال أنطونيوس : إنهم جميعاً مشتركون في التجربة حسب مقاعدهم ، حتى الكاهن . فنهض هذا ويم شطار الوصيد وحل القوس الرهيب ، وحاول مائة مرة أن يثنيها فلم يستطع ، فألقاها وقال : « أيها الرفاق ... ما أحسب هذه القوس إلا مؤسفة للجميع ... لقد أوهتني وذهبت مني . ألا فلتحملوا بأمرأة أخرى غير فلانوب ، فوالله ثم والله إنها للرجل الذي كتبها المقادير له ... الذي يحضر إليها بما ليس في وسعكم من كنوز ومن أذخار » .

وغضب أنطونيوس وتجهم للكاهن ثم قال : « ألا ساء ما تقول أيها الرفيق ! أحسبت أننا نياس من هذه القوس لأنك لم تقدر عليها ؟ ومتى كنت رجل جلال وجهاد ؟ ومتى ثنيت قوساً أو أرسلت سهماً ! أربع عليك ففينا الكثيرون الذين يستطيعونها بأقليل الأقل من الجهد » ثم أمر راعي الضأن ملانتيوس أن يحفر حفرة ويوقد فيها ناراً يجعل بها وعاء من سحم ليعالجوا به القوس عسى أن تلين قبل أن يُدُلُّوا دلوهم ... فلما كان هذا أخذ الأبطال كل بدوره يعالج أن يثنى القوس ، ولكها استعصت عليهم جميعاً ، ولم يبق إلا أنطونيوس ويوريماخوس ، وهما أكثر هذا الجمع قوة وأوفرهم فتوة .

ثم نهض راعى الخنازير ، يومايوس ، ونهض فى إثره صديقه الراعى الآخر ، فحسنا الخطى خارج البهو لما شاهدنا من يأس القوم ... وقد تبعهما أودسيوس ... فلما كانوا بعيداً قال لهما : « أيها الحبيبان ، إذا أرسلت العناية أودسيوس فى هذه اللحظة ليمطش بهؤلاء المناكيد ، أفتحاربونهم معه ، أم تحاربونه معهم ؟ » ... فرمقه فيلوتئوس وقال : « يا للسماء ! تالله لو سحت أحلامك لرأيت كيف أفتديه منهم بنفسى ومهجتى ! وتالله لرأيت كيف يهتز سلاحى فيحصد رؤوسهم ويبعث أشلاءهم ! » وقال يومايوس مثل هذه المقالة ... ولما وثق من إخلاصهما كشف لهما عن حقيقة فقال : « إذن فاعلموا أنى أنا أودسيوس ، وهذه هى الندوب التى أحدها الخنازير فى ساقى ، وقد أبت إلى وطنى فجأة فلقيتكم أول من لقيت ، وأكرمت مشواى يا يومايوس وأنت لا تعرفنى ، ولم أشأ أن أبدو للقوم حتى أعرف عدوى من صديقى » ولم يكذب فرغ من قوله حتى انحنى الرجلان يشهدان الندوب ، فلما استيقناها ، ذهلا عن نفسيهما ، وجشوا عند قدمى مولاها ، وطفقا يقبلانها ويغسلانها بدموعهما ، ثم نهضا فألقيا سلاحهما عليه ؛ بيد أنه أسرهما أن يصمتا حتى لا يفضح أمرهم أحد ... وقال لهما : « لا بد أن نعود أدراجنا إلى البهو ، وسأطلق أنا قبلكما ، وسأطلب منك يا يومايوس أن تعطينى القوس لأقوم بنصيبي فى التجربة ، وسيرفض القوم أن أفعل ، ولكنك يجب ألا تبالى ، بل تناوانى القوس ، ثم تسرع بعد هذا إلى الحريم فتخبر النساء فيه ألا يذعرن إذا سمعن ضجة أو عويلا فى البهو ، أو شهدن حربا وقتالا ... أما أنت

يا فيلو تيوس فتسرع إلى باب البهو فتوصده وتحكم إغلاقه حتى لا يفلت منهم أحد أبداً». ثم مضى فجلس مكانه لدى الباب ، وتبعه الراعيان ... وفي هذا الوقت كان يوريماخوس يحاول محاولته ، وكان من وقت إلى آخر يذهب بالقوس العظيمة فيعرضها للنار عسى أن يسهل عليه ثنيها ، لكن القوس أبت مع ذلك أن تليّن ، فلما بلغ من يوريماخوس الجهد ألقي بها يائساً وقال :

« تباً لها من قوس عنيدة ، والعار الأبدى لنا جميعاً يا رفاق ! ما لنا ولهذا ؟ إن في إيشاكا حساناً ، وإن فيهن أزواجاً شُرباً أباكراً لمن يشاء ! أوه ! يا للخزي ! أواه لو لم تقل الأجيال المقبلة إننا كنا دون أودسيوس قوة وأقل منه فتوة حين عجزنا أن نثنى قوسه !! يا للخزي ... يا للخزي ! » ورزّع أنطونيوس ! وذهل عن أمره ، ولم يشأ أن يخزي نفسه بأن يحاول كما حاول غيره ... فوقف فقال : « ما أحسب القوس عنيدة ولا مستعصية كما تزعمون ... ولكن اليوم يوم عيد أبولورب القوس العظيم ، فأني لنا أن نحمل قوساً اليوم ! دعوها ، واتركوا الأهداف مكانها ، فلن يجسر أحد أن يدخل بهو أودسيوس فيمضى بها ، وفي بكرة الغد يحضر ميلانتيوس من قطعانه عزات سماناً فنضحي بها لأبوللو ، ثم تتم محاولتنا . » ولكن أودسيوس هب من مجلسه فقال : « يا سادة ! ما دتم لن تحاولوا الرماية اليوم فأرجو أن تدفعوا إلى هذه القوس لأجرب أنا أيضاً ، ولأرى هل لا تزال بقية من مُنة الشباب مخبوءة في أعصابي ! أم أنها

ذهبت بها جميعاً متاع الحياة وكثرة التجوال في أطراف الدنيا ... »  
وجن جنون القوم لما قال أودسيوس هذا ، وعجبوا كيف يجسر شحاذ  
فقير مثله أن يطلب أن يشارك السادات في مباراتهم ... ومن يدري ؟  
لعلهم ذعروا أن ينجح هذا الفقير فيما فشلوا هم فيه ... قال أنطونيوس :  
« أخزن عليك لسانك أيها السليط الوقح ! ألا يكفيك أن يسمح لك  
بوجودك بين هؤلاء السادة الأخيار من أقيال البلاد حتى تطلب أن  
تباريهم ! » وكانت بنلوب تطلع فلم تحتمل أن يؤذى ضيف ولدها هكذا ،  
فقالت : « أنطونيوس ، أنى لك أن تؤذى تلميذك في ضيفه ؟ بل ينبغي  
أن يحاول الرجل كما حاولتم ، فأما أنك تخشى أن يظفر فيما فشلت فيه ...  
فلا ضير ... إنه لا جرم ليس يحلم مثلكم بأن أكون زوجة له ، فليفرخ  
روءك إذن ، ولتطمثنوا جميعاً » وقال يوريماخوس : « يا ابنة إيكاريوس  
ما دار بخلدنا قط أنت تسكونى زوجة له إذا ظفر ، ولكننا خشينا أن  
يفضحنا في الناس فيقول : « عجباً لسادات إيثاكا وما حولها ؟ يطعمون  
أن يتزوج أحدهم امرأة البطل العظيم أودسيوس ثم لا يستطيعون رمي  
سهم عن قوسه ، ويأتى رجل شحاذ فقير فيثني القوس ويرمى السهم وهم  
مع هذا لا يستحيون ! » هذا ما خفنا أن يكون يا ابنة إيكاروس وهذا  
ما خشينا أن يذهب بشرفنا ! » فقالت بنلوب : « لتطمثن يا يوريماخوس  
فليس في مثل هذا يضيع شرفكم ... ولكن الرجل ذو جسم طوال  
ومظهر جبار ، وقد ذكر آباءه فعلم أنه كريم العنصر طيب الأرومة



عمرىق المحتسد ، فلم لا يعطى القوس لئرى ما يكون ؟ وإنه وإذا ظهر  
فسأحلح عليه وأدفع له سلاحاً وأرسله أنى شاء ! » . ثم نهض تليماك فقال :  
« أماء ! إن القوس قوسى وإنى لصاحبها ، أعطيها لمن أشاء وأصونها عمن  
أشاء ، ولن ينازعنى حتى أحد من العالمين ، ولو شئت لأعطيها الرجل  
فتكون حقاً خالصاً له ، وما سمحت لأحد أن يمنعنى ... تفضلي أنت فعلقى  
عليك أبواب الحرم ، وانظرى فى أعمال البيت ، وصر فى شئون الخدم ، وخذى  
فى غزلك ونسجك ، وسننظر نحن فى أمر القوس ، وسأرى أنا لمن تكون  
الغوبة ، فإنى هنا سيد لا مسود ! » ... وشدهت بتلوب قليلاً ، إلا أنها  
عرفت أن ابنها قال حقاً ، فانسحبت ، وغلقت عليها أبوابها ، وانظرحت  
فى فراشها حيث واقتها مینرثا فسكبت فى عينها غفوة هادئة لذيدة ،  
فاستسلمت لسبات عمیق .

وتقدم يومایوس فحمل القوس وأوتك أن يذهب بها إلى أودسيوس  
لكن الأسراء زأروا مغاضبين ، نخشى الراعى ، وألقى القوس ثانية ،  
فصاح به تليماك : « هات القوس هنا أيها الرعديد ، لشد ما أود أن أخلص  
منك ومن هؤلاء السادة الذين ترهبهم ... ! » وسخر الأسراء وضجوا  
ضاحكين ... ولكن الراعى تقدم إلى القوس فاحتلمها ، وذهب بها  
قدماً إلى مولاه ... وانطلق بعد هذا إلى الداخل فنأدى الموضع يوريكليا  
وقال لها : « إن مولای يأمرک أن تغلقى جميع الأبواب ، ويقول لك إنه  
إذا سمع النساء ضجة فى البهو أو قتالا فليجلسن حيث هن

ولا ينزعجن ، وليأخذن في عملهن ، أسمعين ؟ » .

وغلقت الموضع الأبواب وبلغت رسالة مولاه ... ثم هم فيلوتيوس  
فطلق باب البهو وأحكم إقفاله وربطه بِسَلْبٍ<sup>(١)</sup> طويل كان لسفينته وألقى  
لدى الباب ؛ وعاد فجلس مكانه وعيناه لا تريان عن مولاه ...  
وتناول أودسيوس القوس فجعل يفحصها ويبحث في أجزائها ، مخافة  
أن يكون السوس قد نخرها إذ هو ناء عن بلاده ... وزاغت أبصار القوم ،  
وجعلوا يُبرِّقون في الشحاذ الفقير ويقولون : « الهِلَوَفُ<sup>(٢)</sup> الزنيم ! إن له  
لَعِينًا فاحصة كأن لها عهدًا بالرماية ؛ وإنه ليبحث القوس كأنه يقتنى  
أمثالها ! » ثم قبض أودسيوس على القوس ، وشد طرفها في سهولة وفي  
يسر ، كما يشد الموسيقى وترًا من أوتار قيثاره ، ونظر إلى الأهداف المتراسة  
أمامه ، وأرسل سهمًا اخترقها جميعًا ، وسمع له صوت كسقسقة العصافير ...  
يا عجبًا ! ! لقد أراش أودسيوس السهم ، وأرسل زيوس العلى زلزلة  
ورعدًا مدويًا وثب له فؤاد البطل ، وطارت منه ألوان القوم ، وانقذف  
الربع في قلوبهم ...

ثم أخذ أودسيوس سهمًا آخر فثبته ، ثم أراشه فاخترق الأهداف  
مرة أخرى ...

قال أودسيوس : « تليياخوس أيها العزيز ! إن ضيعك لم يخيب

(١) في القاموس السلب الحاء شجر البين تعمل منه الجبال ونحسب أن منه إطلاق  
السلب في الجبال العليظة في مصر فلم نر بأساً من استعماله بهذا المعنى .

(٢) الهلوف بتشديد اللام وزان وردوس الثقيل الجافي البطين ونحسب أن منه  
نحت المصريون كلمة هلفوت وقد استعمالها لظرفها وماسبتها كثيراً للمقام

رجاءك ولا أضع عشمك<sup>(١)</sup> ، ولقد أصبت الأهداف كلها على حداثة  
عهد بالماية ... والآن ، هلم ... إن النهار يوشك أن يولج ، وإنه لينبغى  
أن نعد وليمة المساء للسادة الأمراء ، ولن يعدموا بعدها ما دأبوا عليه من  
رقص وعزف ، وقصف وغناء ... ! «  
وهم تلياك فألقى حائل سيفه على كاهله ، وتناول رمح العظيم ... وسنرى !

---

(١) في القاموس العثم الطمع .

## الانتقام المصالح

وألقي أودسيوس أسناله ، وأطرح مزقه ، ورز للملأ أودسيوس  
القوى الحديدى الجبار ، وتناول كنانة الأسهم التى تُهمهم فيها المنايا  
وتعمم ، والقوس العتيقة العنيدة ، ووقف عند الوصيد حتى لا يفز أحد  
من أعدائه فينجو من الموت الذى هو ملاقيه ، ثم نثر الكنانة عند  
قدميه وهتف بالعشاق يقول : « وهكذا يا سادة تتم فصول المساة ،  
وهكذا أيضاً تنتهى المباراة التى لم يفز فيها واحد منكم ... والآن ...  
أنظروا ... إني لن أسدد سهامى إلى هذه الأهداف بعد ، بل إني مسدها  
إلى غرض آخر ... » وشد الوتر العرُود ، وأرسل إلى حلقوم أنطونيوس  
سهماً مراًشاً عجّل به إلى هيدز . وكان العليج يوشك أن يحترق كاساً  
ذهبية من أعتق الخمر ، فسقطت الكأس من يده الذاهلة ، وسقط هو  
ينشط في دمه ، ويلفظ أنفاسه . وذعر الآخرون حينما رأوا أخاهم يسقط  
إلى الأرض رمة لا نفس فيها ولا حراك ، فهاجوا وماجوا ، وهبوا يبحثون  
عن أسلحتهم ... ولكن ، هيهات ! لقد أخفاها أودسيوس وولده ليلة  
أس ... فأنى لهم بها !! وصاحوا بأودسيوس : « أيها الجنون لقد أخطأت  
الرمي ! ماذا أصابك ؟ إنك تسدد إلينا ؟ لقد قتلت أنبل شباب إيثاكا ،  
شكلك أمك ! أبداً لن تحمل بعد هذه قوساً أبداً .

وانكشف البستر ، وعاد إلى الشحاذ الفقير عنفوانه ، وانقذت من

فمه الحَمَم فقال : « أيها الكلاب ! فال<sup>(١)</sup> ما زعتم أن أودسيوس لن يثوب ! هاأنذا أيها العبيد ! لقد استبجتم حتى بيتي وأذلتكم قدسه الحرام ، وأوضعتكم في الفتنة فاعتديتم على نسائي ، ولم تبالوا أن تتعشقوا زوجي ، بينا رجلها حي يسعى على قدميه ، غير عابئين بمن يطأع عليكم في السماء وهو بكم محيط ، ولا مبالين مما تصج به الرفات الكريمة في ثرى هذه الأرض من فعالكم ، فويل لكم ، لقد حان حينكم ! ! » .

وارتعدت فرائص الكلاب كما دعاهم أودسيوس ، وطارت حمرة الخمر من خدودهم ، ووقف يوريماخوس متخاذلاً وهو يقول : « إن كنت حقاً ملكنا أودسيوس فكلنا نعتذر عما ارتكبناه من الإثم في بيتك . ولقد تكلمت فقلت الحق كل الحق ، ولكنك قد أرديت أنطونيوس الذي دعانا إلى كل ذلك والذي كان يطمح أن يتربع على عرشك ويملك كما ملكت ، فاعف عنا واصفح عن خطايانا ، ففحن بالرغم من كل ما حصل شعبك الأمين ، ورعاياك الأوفياء الأولياء .. على أنفسنا سنعوضك مما استبحنا مالأ بمال وعتاداً بعتاد » . فقال أودسيوس : « يوريماخوس أيها الفذل ! إنكم مهما ملائتم يدي بالذهب فلن تشفوا حَرْدِي ولن تُذهبوا غلتي حتى أنتقم منكم جميعاً لما صدر عنكم من إفك ، وما ارتكبتكم من أوزار ! فاختراروا لكم ! الحرب التي جدت بكم فجدوا بها ، والقتال الذي لا محيص منه ولا محيد عنه ، أو ... فالفرار الفرار ... ولن تجدوا إلى الفرار سبيلاً ... » وزلزل الجميع زلزلاً شديداً ،

وجفت ألسنتهم في حلوقهم فما عرفوا ماذا يحسرون ، ثم هتف فيهم  
يوريماخوس فجأة يقول: « أيها الإخوان ، لقد تحجر قلب هذا الرجل فلن  
يعرف سبيلا إلى الرحمة ، وها قد قبض على القوس بكلتا يديه ، ووقف  
عند الوصيد يذودنا عن الباب ، ولن يفلت أحد منا من سهامه قط ، بل  
إنه سيقنصنا واحداً بعد واحد ... ولا أرى إلا أن تمزعوا إلى سيوفكم  
فتخترطوها ، وإلى المناضد متذرعوا بها ، ثم نهجم عليه كرجل واحد - عى  
أن نزرحه عن الباب فنبجو بأنفسنا ونلوذ بالقرار فإذا بلغنا المدينة فإننا  
سالمون ! » ثم فرغ من صيحته واستل سيفه ، وهجم على أودسيوس  
مرعداً مزجراً ، ولكن أودسيوس أصمأه بسهم في صدره فصرعه ، وخر  
الليثيم يعالج سكرة الموت ، وانتشرت ضبابة الفناء الأبدى على وجهه  
المقبوح فأطبقت عينيه ... وهنا ... هاج الأمير أمفينوم وماج وهجم على  
أودسيوس بسيفه الذي تقطر من حده المنايا .. وكاد الليثيم ينال من  
خصمه مغالاً لولا أن قفز تليماك برمح العظيم فأغمدته في صدره وردده عن  
أبيه وعاد مكانه درن أن ينتزع الرمح مخافة أن يتسكأر عليه الأعداء .  
وقال تليماك لأبيه : « أبتاه ! إنه يجب أن نستعد بسلاح أكثر ... وإني  
ذاهب فمحضر ما نحتاج إليه وعائد بسرعة البرق » فقال أبوه وهو يفصد  
القوم بسهامه : « هلم يا ولدى وهات ما استطعت ، فليشد ما أخشى أن  
تفرغ هذه السهام فلا أستطيع أن أدفعهم عن الباب ... » وانطلق تليماك  
إلى غرفة السلاح ؛ فأحضر ما مست إليه الحاجة من رماح وسيوف  
وخوذات ، وادّرع بما هو حسبه منها ، ثم ألبس الراعيين الأميين

درعين سابعتين<sup>(١)</sup> وزودها بسيغين بتارين ، ووقف الثلاثة إلى جنب البطل العظيم يمنعون تكاثر العشاق عليه ، بينما هو يرسل سهامه فيخترقهم وتستأصل شأقتهم واحداً فواحداً ، حتى إذا فرغت سهامه ، وقف الأبطال الثلاثة يذودون من دون الباب حتى لبس أودسيوس دروعه ووضع على رأسه خوذه ، وأخذ ربحين عظيمين في كلتا يديه ، وعاد إلى كفاحه ، وكانت في الجانب الآخر من البهو بوابة صغيرة لم يظن العشاق إليها ، فأرسل أودسيوس راعي الخنازير ليحرسها وليحول بين العشاق وبينها ... وضاعت الدنيا حتى غدت ككفة الحابل في أعين القوم ، وتجهمت لهم حتى غدت كالليل الهيم ألقي غواشيه فوق رؤوسهم ، وناء بكلكله على صدورهم ... فقال قائلهم : « ألا يستطيع أحد أن يمرق من البوابة فيصيح بأهلنا ويستنجدهم لنا ؟ » .

فانبرى له ميلانتيوس<sup>(٢)</sup> يجيبه : « هذا عبث لن يكون وراءه طائل فإن رجلاً واحداً يستطيع أن يقفنا جميعاً لو فعلنا ، دون أن نبلغ الباب ... بل لدى فكرة .. إني أعرف أين خبأ أودسيوس وابنه أسلحتنا ، وسأطلق فأحضر لكم منها ما يقيكم منهما . » ثم تعلق بحبال مدلاة من كوة في السقف وتساق عليها حتى نفذت ، وانطلق إلى غرفة السلاح فأحضرا اثنتي عشرة درعاً ورماحاً كثيرة وخوذات ، وظل يلقي بها من الكوة فيتلقاها رفاقه ويدرعون بها ... ولو كان مع أودسيوس سهم واحد يرسله إلى هذا العليج قبل أن يتعلق بالحبال لما استطاع أن يحضر

---

(١) صافيتين .

(٢) هو الراعي الحائن الذي أصبح ضلعه مع العشاق صد مولاه أودسيوس .

هذه العدد . قال أودسيوس : « أى بنى لقد خاننا بعضهم ودل القوم على غرفة السلاح ، فانظر كيف يتضاعف عناؤنا ويزيد بلاؤنا » فقال تليماك : « كلا يا أبتاه ، إنه لم يخنا أحد ، والذنب ذنبى ، فقد تركت باب الغرفة دون أن أوصده ... يومايوس ! انطلق فغلّق باب غرفة السلاح وأحضر مفتاحها ؛ وانظر هل خاننا أحد ، أو أن هذا من فعل ميلانتيوس كما أحس ! » وانطلق يومايوس فرأى ميلانتيوس ذاهباً إلى غرفة السلاح ليحضر عددًا آخرَ ورماحاً ، فقال الراعى : « ها هو ميلانتيوس الوغد منطلق إلى الغرفة كما حدس مولاي » وهتف بتليماك : « ها هو ذا ! ها هو ذا ! هل أحضره حياً ليلقى جزاءه أم أقتله حيث هو ؟ » فقال أودسيوس : « بل اذهب أنت وأخوك الراعى فشدوا وثاقه واحبساه فى الغرفة حتى يلقي جزاءه ، وسأبقى أنا وتليماك لندود دون الباب » . انطلق الراعيان فوقف كل منهما خلف مصراع من باب الغرفة حتى إذا برز ميلانتيوس انقضا عليه وكبلاه ودفعاه داخل الغرفة ، ثم ربطاه فى عمود هناك ، وقال له يومايوس « إهناً يا صاح وارقد هنا إلى الصباح ، وأكبر ظنى أن الشمس لا تشرق عليك إلا وروحك فى عالم الظلال والأشباح ، فلا تراك قطعانك بعد اليوم » وأغلقا الباب وعادا أدراجهما إلى مولاها وولده ، ووقف الأربعة يناضلون جحفلًا بأكله . ثم بدت مينرفا الحكيمة فى زى منطور وطيلسانه فعرّفا أودسيوس وفرح بها قلبه ، وهتف بها قائلاً : « منطورأيها العزيز ، معونتك وتأييدك ، فنحن صديقان منذ القدم ! » وهتف العشاق ينادون : « احذر يا منطور وإلا فتلقى



حتمك بعد أن نظفر بهذا الوغد . ولحظت مينثرا ذعر أودسيوس مما رأى من تسليح القوم فقالت تؤنبه وتحته : ما هذا التقاعس عن الحلبة يا أودسيوس ؟ هل فقدت شجاعتك وعنفوانك ؟ إنك ما أحجمت مثل ما تحجم اليوم طوال عشر سنوات حاربته في طروادة من أجل هيلين فهل يشق عليك أن تلقى هذه الحفنة من عشاق بنلوب في بيتك ، بل في مقر دارك ؟ هلم ! قف إلى جانبي وانظر إذا كان منطور قد عى الصداقة القديمة ! » .

وحاربت معه ساعة ، ولكنها تركته ليعمل للنصر بمفرده ، وانسحرت فكانت عصفوراً من عصافير الجنة جعل يرف ويرف في سماء البهو ؛ حتى وقف على إحدى حشباته ... وفرح العشاق لما رأوا من مفارقة منطور ، وعادت إليهم بعض شجاعتهم لما رأوا المحاربين الأربعة يقفون وحدهم في مدخل الباب الكبير ...

وقال أحدهم مخاطب الباقيين : هلموا فليقذف ستة رماحهم قذفة واحدة إلى صدر أودسيوس ، فإنه إن سقط استرحنا منه ، فلن نلقى عناء من الباقيين ، ولهباء أصحابه ، قذفوا برماحهم في صدر أودسيوس ، ولكن ... هيهات ... إن واحداً منهم لم يصب غرضاً من الصدر العظيم ... وهنا ... هتف أودسيوس برفاقه ، فانقض الأربعة على أربعة من المهاجمين فجعلوا في صدورهم رماحهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم ، فقتل كل مهاجم ... وروع الآخرون فارتدوا على أعقابهم ، وانزوا في الركن السحيق من البهو ، وبهذا استطاع أودسيوس ورفاقه انتزاع الرماح من

صدور المقتولين ... ولم يهتم الراعيان بما أصابهما من جراح بالغة ، بل وقفا  
يناضلان ويفديان سيديهما ... ولما رأت مينرفا ما يلقي المحاربون الأربعة  
من تكاثر الأعداء ، رقت في الهواء ، ثم كشفت عن درعها الهائلة التي  
تجلب الموت إلى كل من يراها ، ووضعت خوذتها الرائعة ثم انبرت للقوم ،  
وهم المحاربون الأربعة يطاردون الأعداء ، والأعداء يجرون من ههنا  
وههنا مذعورين ذاهلين مما رأوا من درع مينرفا ... وجعل أوديسيوس  
ورفاقه يصطاعونهم أربعة بعد أربعة ... حتى لم يبق إلا المنشد المسكين  
فيمبوس ، الذي قسمته العشاق على الإنشاد لهم ، وتطريهم تطريباً لم يؤثره ،  
ولم يؤثر عليه ... لقد فزع المنشد المسكين من هول المجزرة ... وانطرح  
تحت قدمي أوديسيوس يقول : « مولاي ! أوديسيوس العظيم ! ارحمني  
واعفني فقد قهرني القوم على ما رأيت ! اصفح عن المنشد البائس الذي  
يدخل السرور على أفئدة الآلهة ، ويذهب الحزن عن قلوب الناس ! »  
وهتف تليماك بأبيه يقول : « اصفح عنه يا أبي ، فإنه لا تثريب عليه ولا  
لوم ... وهلم ننفذ المنادى إن كان لا يزال به رمق ، فلقد كان يعني بي إذ  
أنا صبي في المهد ! » وكان المنادى قد فزع مما رأى ، وخبأ نفسه تحت مقعد  
كبير ، ثم طرح عليه جلد ثور ، فلما سمع تليماك يقول لأبيه هذا القول ،  
برز من مكانه ، وتعلق برجلى تليماك ، وأنشأ يتوسل ويتضرع ، ويبكي  
ويتصدع . فقال له أوديسيوس : « لا تجزع أيها الرجل ؛ فلقد أنقذك  
ولدى كما أنقذ المنشد ... اذهبا فانتظرا في الرحبة ، فعندى ما يشغلني عنكما  
الآن ... وانطلق الرجلان وهما لا يصدقان أنهما مجوعاً ، وجلسا عند المذبح

ينتظران قتلتها في كل لحظة ... ثم مضى أودسيوس يبحث في الهو وتحت المناضد عن يكون به رmq من الحياة فيجهز عليه ، بيد أنهم خروا جميعاً مضرجين بدمائهم في التراب ، وقد تكبكبوا فوق بعضهم كالسمك فوق الساحل يقذف به الصياد في يوم صائف ... ثم قال لابنه أن يدعو الموضع العجوز يوريكيا ، فأقبلت ورأت أودسيوس واقفاً كالمراد بين القتلى وقد لطخت الدماء يديه ورجليه وصدره ، فكادت المرأة تجن من الفرح لهذا النصر المبين الحاسم ، وأوشكت أن تصيح وتزغرد ، لولا أن ردها أودسيوس عن ذلك : أيتها الموضع العجوز اكتمى فرحتك ، فإنه ينبغي ألا تكون شامة فوق جثث القتلى ، وألا يكون صياح ، لأنها إرادة السماء قد نفذت فيهم بما أسرفوا من قبل وكانوا من المفسدين ا » ثم أمر بالجلث أن تحمل خارج القصر ، وبالدماء أن تغسل ، فتم ذلك في أقصر وقت ، والتفت إلى الموضع يحدها ويقول : « أرايت ؟ اذهبي الآن فأحضري ناراً وكبريتاً كيما نطهر الحجرة ، ثم أخبري بنلوب أن تلقاني ههنا ا » . فقالت العجوز « سمعاً وطاعة لك يا بني ! سأفعل ما أمرت ولكني سأحضر لك ثوباً تلبسه قبل كل شيء فإنه لا ينبغي أن تظل واقفاً هكذا في أسمالك هذه » بيد أن أودسيوس أمرها أن تفعل ما أخبرها من فورها ، فانطلقت العجوز ، وعادت بالنار والكبريت ، وأخذ أودسيوس في تطهير الهو الكبير .

بنلوب ... وأخيراً ... بنلوب !

وهرولت الموضع العجوز فصعدت إلى الطابق العلوى، حيث كانت سيدتها

الحزونة تتقلب على فراش الهموم والأحزان فهتفت بها وهي تضحك ،  
وتسكاد تيجن من الفرح : « هلمى يا بنيتى فاشهدى بعينيك كيف حققت  
الآلهة أحلامك واستعجابت لصلواتك ... هلمى ... لقد عاد أودسيوس  
وبطش البطشة الكبرى بأعدائه فقتلهم عن بكرة أبيهم بعد ما كان من  
خبائثاتهم ، وبعد ما استباحوا من حرمانه وما أراغوا من خيره وهزئوا  
بولده ... إنهضى ! » .

ولم تصدقها بنلوب ، وقالت مستهزئة بها : « لشد ما عدوت طورك  
وغبت عن صوابك أيتها الموضع العزيرة حين توقطينى بمثل هذا العبث  
وذاك الحديث الملقق ! لقد حرمتنى من غفوة يا لها من غفوة لم تكتحل  
عيناي بأهدأ منها ولا أروح منذ أن فارقنا أودسيوس إلى الأرض  
المشتومة ... تالله لو حصل مثل هذا ممن هن دونك سنأ ومنزلة من  
الخدم لكان لى معهن شأن آخر .. واسكن .. لا عليك يا يوريكليا .. »  
فتبسجت الموضع ثم قالت : « وى ! تالله إنه للحق ، ولا مرية فيما أقول ...  
إنه هو الشحاذ الفقير الذى كلك ، والذى عبث به القوم وقد كان يعرف  
تليماك كل ذلك ، واسكنه جعله سرأ بينه وبين أبيه حتى يثار من الأمراء  
ويستأصل شأقتهم ! » فوثبت بنلوب من سريرها مسبوهة ذاهلة ، وطوقت  
بذراعيها عنق يوريكليا ، وأنشأت تقول : « خبرينى بالله عليك أيتها  
العزيرة .. خبرينى بالله عليك .. إذا كان ما تقولين حقاً فأنى لأودسيوس  
أن يلقى وحده كل هؤلاء ؟ وأنى لواحد أن يهزم فيلقاً من مائة أو يزيدون ؟ »  
فقالت الموضع : « لعمرك ما رأيت كيف حدث هذا الأمر ، ولكنى سمعت

بأذنيَّ هاتين أنين القتلى ... لقد كنا جميعاً جالسات داخل القصر، وفرائصنا ترتعد من العرق، وكانت الفواقد كلها مغلقة بأمر سيدي، حتى أقبل تليماك فدعانا إلى البهو، حيث رأينا أوديسيوس واقفاً بين الرم، وهو الآن يظهر البهو من أدراهم بالنار والكبريت؛ والمدفأ يتأجج بلظي كالجسيم، ولقد أرسلني لأدعوك إليه حتى يفرح بك، ويطمئن قلبك، بعد طول العذاب وكانت العجوز تتكلم وهي ما تنقطع عن الضحك والمرح، فقالت لها بنلوب: « أيتها الموضع العزيزة لا يقتلك الفرح والصخب .. تالله إنه لن يفرح بأوديسيوس اليوم أحد كما أفرح به أنا وولدي تليماك .. هذا إن كان ما قلت حقاً ... على أنني لا أصدق ... لا جرم إنه إله كريم أقبل لينتقم لنا من هؤلاء العرايد جزاء ما أنزلوا بنا من هوان فأبادهم جميعاً ... أما أوديسيوس فلا ! لقد قضى أوديسيوس وقضى أوديسيوس إلى الأبد ! » فقالت يوريكليا: « ألا تزالين غير مصدقة يا طفلي ( ١ ) العزيزة ؟ ألا فاسمعي ! هاك دليلاً آخر؛ بينما كنت أغسل قدمي الرجل الفقير اللاجئ تحسست يداي ندبة في ساقه ذكرتني بالندوب التي أحدثها الخنزير البري في ساق سيدي أوديسيوس، فلما كشفت عنها تبينتها، وتأكدت أنه هو، وأردت أن أصبح بك لأخبرك، وأزف إليك البشرى . لكنه أطبق يده على فمي فلم أستطع أن أنبس ... تعالى ! هلمي معي الآن وانظري بعينيك لترى إن كنت كاذبة، تعالى جعلت فداك ! » وانطلقتا معاً، وأطافت الذكريات برأس بنلوب، ولم تدر ماذا عساها فاعلة إذا كان ما أنبأت به الموضع حقاً ... فلما دخلتا البهو جلست بنلوب على مقعد كبير

قريب من المدفأة ، ثم طعنت تحديق بصرها في أوديسيوس ، وكان جالسا وظهروا إلى عمود من عماد البهو ، وعيناه تبحشان في الأرض ، وكأنه كان ينتظر أن تتكلم بنلوب قبل أن يفوه بكلمة ... بيد أنها لم تنبس ، بل كانت ذاهلة شاردة ، تنظر إليه مرة فتوشك أن تعرف فيه بعلمها الحبيب ولكنها كانت إذا نظرت إلى مرقه وخرقه ، والأشمال التي لا تستر بعض جسمه الهائل عجب ، وتولاها الدهش ، وانعقد لسانها فما يكاد يبين .

وقال تليماك آخر الأمر : « أماء ! لشد ما تحجّر قلبك وغلظت كبدي ! لم لا تهضين فتعاقى أبى ! ! أية زوجة ينحبس لسانها كما انحبس لسانك ، فما تكلم زوجها الذي آب من سفر سنين كلها أشجان وكلها أحزان ، وكلها آلام متصلة ومتاعب تنوء بحملها الجبال ! » فقالت أمه تجيبه : « تالله يا بنى لقد ذهلت عن نفسي وإني لفي تيه فإكاد أبين ... ولكن إذا كان حقاً أوديسيوس ، فإن لنا علامات هي سر ذات بيننا ، ولا يعرفها أحد سوانا » فتبسّم أوديسيوس وقال : « لاعليك يا بنى ! دعها فستستبين حقيقتي حين أخلع هذه الأشمال » ثم انتحى وولده ناحية ، وأسر إليه أنهما ينبغي أن يتهيا لما عسى أن يكون من تألب الإيثاكيين عليهما وشغفهم لما كان من قتل ساداتهم ، وما يتوقع من قيامهم بشورة عامة لا تبقى ولا تذر للانتقام من القتاتل ... وذكر أوديسيوس أنهما يجب أن يقيما في البهو فيأخذنا مثل ما كان العشاق يأخذون فيه من قصف وعيث ومجانة ...

وحسب المارة أن بنلوب قد اختارت بعلمها من بين الأمراء ... « فهي لم تعد

تطبيق الوحدة ، ولا تحتل التزمّل ، ولا تقوى على حياة الآمال الكواذب التي  
تجرت عَصَصها مدى عشرين عاماً « أما أودسيوس فقد مضى فاستحم وتضمخ  
بأحسن الطيوب ، وأضفى عليه من كل سارى وفوفٍ موشي ، ثم تنزلت مينرفا  
فنفخت فيه من روح الشباب ، وسكبت في عروقه من دماء الفتوة ،  
ومسحت بيديها الكريمتين على وجهه المجدد ذى الأسارير ، فأشرق وتألق ،  
وهذلت شعره على كتفيه غدائر فاحمة كقطع من الليل البهيم . ثم إنه  
انطلق إلى الهو فجلس تلقاء بنلوب وأنشأ يقول : أيتها الزوجة المعجبة !  
أما والله لقد ركبت الآلهة بين جنبيك قلباً ليس كقلوب النساء ... وأى  
امرأة تنتبذ من زوجها مكاناً قصياً كما تنتبذين يا بنلوب ... بعد إذ عاد  
إليك من تجوال عشرين سنة كلهن قلائل وأهوال ... يوريكليا ! هلمى  
فامهدى لى فراشاً بيديك الضعيفتين ، مادام الحديد البارد الذى خلق  
منه قلبها لا يلين ! » ومع كل هذا فقد كان الريب يرين على فؤاد  
بنلوب ، فقالت تحتبره : « مولاي ! إني وأيم الحق لا معجبة ولا بى خيلاء ،  
ولكنى أذكر أحسن الذكر كيف كنت يوم همت بك سفينتك الجبارة .  
إلى طروادة ... يوريكليا ! إذهي أيتها الموضع فأحضرى سرير زواجنا من  
الخدع ، واجعلى عليه الوسائد والحسبانات ليسترىح عليه مولاك كما أهرك »  
وعجب أودسوس لما تكلمت به زوجته ، فقال : « إنك يا زوجتى تمزقين  
نيط قلبي بما تقولين ! أننى لأحد ما من العالمين أن يحرك سريرى بله  
أن يحمله ، إن لم تكونى قد أطلعت على سره ؟ لقد صنعت مخدعى  
واتخذت سريرى فى جذع الزيتون الهائلة ... فهل لا يزال سريرى فى

موضعه ثمت ، أم أن أحداً قطع الجذع العتيد واحتمل السرير إلى مكان بعيد ؟ » وهنا ، مادت الدنيا برأس يفلوب ، وتناكدت أن الرجل زوجها من غير شك ، خفق قلبها خفقاناً شديداً ، وانطلقت تعدو نحوه ، ثم طرقت عنقه بذراعيها ، وراحت تبكي وتنتحب ، وتقول له : « لاتنقم علىّ إداً يا أودسيوس ، ولا يحزنك أننى لم أعرفك منذ أول نظرة .. أواه أيها العزيز لقد قضت الآلهة أن نفترق وأن نتعذب كل هذه السنين ، وما كان من شكى فهو أثر من احتراسى خشية أن يخذعنى أحد فيدعى أنه أنت ، ويزخرف على ويهرج حتى ينالنى بالخداع والخب ... ولكن مادمت قد ذكرت لى سر الخدع والسرير والزيتونة ، وهو ما لا يعلمه أحد غيرى وغيرك وغير يوريكيا ، فالآن فاهناً ، ولأهناً أنا ، وليطمئن قلبى ... قلبى الوفى الذى أرده إليك كآخر عهدك به ، لا ينطوى إلا على حبك ، ولا يضم غير الوفاء لك ... » وعانقها أودسيوس ... وضم إلى صدره صدرها ... والتف حول عنقه ذراعاها البضتان البيضاءان — وجدا عاجهما الناعم الأملس حول كاهله ، ووقف أودسيوس على شاطئء الذكرى كما يقف السباح المتعب المنهوك على شاطئء اليم وقد بلغه بعد جهد ، فأعضاؤه متراخية ، وأعصابه موهونة ، وقلبه خفق ، وروحه نشوى وذراعاه مع ذلك معلقتان بالشاطئء وقد سُمرتاً فيه ... وقال بعد لآى :

« والله يا زوجتى العزيزة إنا ما بلغنا بعد نهاية أشجاننا وأحزاننا ، وإن أماننا لأمدأ بعيداً وهو ما أخرجتنا إلى عنها السكاكن تيريزياس حينما



رحلت إليه في هيدز، وإني لا أدري ماذا يكون من أمرى ... ولكن ... لا ... لننطلق الآن إلى مخدعنا العزيز الطاهر فإن بي حاجة إلى الراحة والإستجمام ... وإن بي لشوقاً مبرحاً ونزوعاً شديداً إليك » .

فقال پنبلوب : « الخدع الطاهر النقي معد في أيما لحظة أردت يا أودسيوس العزيز ... بيد أنك أثرت شجنى ومرتعت شجوى بما ذكرت عما يتر بص بنا من هم جديد ، فهلا ذكرت لى ماذا زعم لك تيريزياس فى العالم الآخر؟ إنى مشوقة إلى ما قال ، فاذكره بحق الآلهة عليك » فأجاب أودسيوس « عمرك الله لم تسألين عن أمر إن بيدك لك يسوك ؟ ! ولكن لا ضير ... سأذكر لك ما نبأنى به تيريزياس » ثم وجه قليلا وقال :

« لقد أشار أن أحمل مجدافا عظيما على كاهلى ، ثم أنطلق مهاجرا إلى ممالك نائية وأصقاع سحيقة ، حتى أكون فى قوم لم يسمعوأ عن البحر قط ، ولم يروا فى حياتهم مجدافا ولا سارية ، فإذا لقيت أول من يسألنى عما أحمل ، وهل هو مذراة مما ينسف به القمع ، غرست المجداف فى الأرض ، ثم تقربت إلى إله البحار نيتيون الجبار بقرايين تمحو ما بينى وبينه ، وتعقد بيننا أواصر السلام والوثام ، كما تقربنى إلى أعوانه الآخرين من آلهة الماء ، فإذا فعلت استرحت من لأواء الحياة ، ونأت عنى أرزاؤها ، وعدت إلى شعبى وإليك ، وإلى ولدى وقصرى فعشت بينكم بسلام ، حتى يأتينى الموت ، هادم اللذات ، من أعماق البحر ، ولكنه سيكون موتا طيبا لا مخوفا ولا مرهوبا ، بل سكرة

بين أمانةٍ ونعاس . بعد إذ الجسم موهون ، والقلب فارغ ، والرأس  
مشتعل والروح سالية قالية » .

وهكذا ظل الحبيبان المشوقان يتحدثان قطعاً من الليل ، بينما كانت  
المرضع وخادمة أخرى تمهدان الفراش على ضوء المشاعل ... ثم أقبلت  
الوصيفة فذهبت تمشي بين أيديهما إلى الخدع ، وفي يديهما المشعل المقدس  
يفيض نوراً ولألاء كما أفاض منذ عشرين سنة ...

ولفهما ظلام الليل ، وسِتْرُ الهوى ... وسكن البهو بعد ماضج بالعزف  
والقصف ، وهذا القصر في سدول السعادة .

## أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

وهتف هرمنز بأرواح القتلى فهممت ، ثم أشار إليها بعصاه فسحر  
الكرى مُقلها ، ثم أشار كرة أخرى فأهرعت في إثره كما تهرع الخفافيش  
في إثر دليلها .

وانطلق حبيب الآلهة فمبر عباب البحر الحيط ، وعبرت الأرواح  
الهائمة في إثره ، وجاز صخرة لوكيديا ، وبوابة الشمس الخالدة ، ثم  
انطلق ، والأرواح الهائمة من خلفه ، في تيه الأحلام ، وعبر بها في  
مروج آسفوديل ذات الأشباح ، حيث لقي القتلى أرواح ذويهم وأبطالهم  
من رجال هيلاس الذين سقطوا تحت أسوار طروادة ... وهناك ... وقفوا  
طويلا يتناجون ، وكلم ابن بليوس قائد الهيلانيين أجاممنون ورثا له ،  
فكله أجاممنون وتحسر عليه ، ورأوا روح بتركولوس حبيب أخيل  
زعيم الميرميدون ، وروح أخيل نفسه ، وروح أجاكس العظيم ...  
وعرف أجاممنون روح أمفيديون العاشق المحروب الذي قتله أوديسيوس  
فيمين قتل من عشاق بنبوب ، فكله ، وكله أمفيديون فقص عليه ما كان  
من مأساتهم الغرامية وما كان من أوبة أوديسيوس المفاجئة واختلاطه  
بهم في صورة فقير شحاذ ... إلى آخر القصة الدامية المشجية التي انتهت  
بقتلهم جميعاً ... وما كاد يفرغ حتى بدا العجب في محيا القائد أجاممنون  
وظفقت يثني على وفاء بنبوب ، وشجاعة صديقه أوديسيوس ، ثم راح ينهى  
( م - ١٩ )

على زوجته الآثمة كليتمسترا ما كان من غدرها ، وتدبير غيلته مع حبيها الفاسق إيجستوس ...  
وهكذا انتهت الأتسباح الآثمة إلى ظلمات هيدز ... إلى مملكة  
پلوتو ... حيث تلقى جزاءها العادل من مخالب سيربيروس الحادة  
وأظفاره القواطع .  
هذا ما كان من أسر تلك الفئة الباغية .

أما ما كان من أمر أودسيوس فقد استيقظ في بكرة اليوم التالى ،  
واستيقظت معه پنلوب السعيدة ، وهب من فراشه فارتدى ملابسه ،  
ووضع عليه سلاحه ، ثم أمر زوجه ألا تخاطب من الناس إنسياً حتى  
يعود ، وأن تغلق عليها أبواب القصر ، لأنه منطلق إلى أبيه ليزف إليه  
البشرى بنفسه . ودعا إليه تليماخوس ليصنعه ، وليصحبه الراعيان  
المخلصان الوفيان ، بعد إذ يسبق كل منهما عليه دروعه ، ويستعد  
بسلاحه .

وانطلق الأربعة يطوون شوارع المدينة التى خيم عليها الصمت دون  
أن يشعر بهم أحد من أهلها ، حتى بلغوا الخلاء ، وما زالوا يذرعونه حتى  
كانوا عند المزرعة المصون الناضرة ، وهناك ، نظر أودسيوس بعينين  
مشوقتين ، وقلب ملتاع خفق ، إلى البيت الصغير الذى يؤوى أباه  
الضعيف الشيخ ، حيث يقضى أيامه فى أسمى ليس بعده أسمى ، ويجتر  
همومه فى صمت كصمت الموتى ، ويذرف دموعه فى قنوط وسكون ...  
لا يراه أحد ، ولا يشكو به إلى مخلوق ، إلا هذه المرأة العجوز الحيزبون

التي تخدمه في رضى ، وتسهر عليه في حب له ، وإشفاق من أجله ...  
 وكان ليرتس ، الأب الحزون ، يتلهى بالعمل في بستان قريب يشذب  
 شجيرات ، ويهذب زهيرات ، فأمر أودسيوس ولده وراعيه أن يبقوا  
 في المنزل ليعدوا غداء فاخراً ، وشواء سمينا ؛ لأنه يحب أن يلقي أباه  
 في البستان وحده ...

وانطلق أودسيوس إلى البستان ، فوجد الفلاحين قد انصرفوا إلى  
 أعمالهم ، ووجد أباه يجوس خلال الأشجار كالشبح ، ويهوى بفأسه  
 فيحفر حولن ، وهو بين الغينة والغينة يصلح من لباسه الخشن الذي  
 اتخذ من جلد عنز ، كما اتخذ منه قفازيه وجوربيه ... ووقف أودسيوس  
 تحت كثرة بأسقة وطفق ينظر إليه ، ويقلب في السنين الطوال  
 التي يروح تحتهن عينيه ، ثم يتمعج للقلب الكبير الذي صمد لحدائ  
 الزمان ولأواء الأيام فلم ينصدع ولم يهن ، وإن كان بعض حزنه لمتنوء  
 منه الجبال .

وانبجس الذمغ من عيني أودسيوس ، وانهمر على خديه الحزينين ،  
 وأوشك أن يمضى نحو أبيه فيأخذه في حضنه ، ويفجأ بالبشرى القاتلة ،  
 لولا خيفته على تلك الشيخوخة المتداعية أن تنقض حين لا تحتمل النبأ  
 العظيم ... نبأ عودة قطعة القلب والكبد بعد يأس دام عشرين عاماً ...  
 لهذا آثر أودسيوس ألا يفعل ، وآثر أن يلقي أباه كرجل غريب جواب  
 آفاق ، ويحدثه ، ليعلم ما في قلبه ، فذهب إليه ، ووقف عن  
 كشب بكامة :

— «أيها الشيخ : ويكأنك لا علم لك بأمر هذا الزرع ، وإن أثمر  
بستانك وآتى أكله ! حقاً ، إني لا أرى عشباً في الأرض ، ولا شجرة  
إلا وهي مثمرة ، ولا زهرة إلا وهي مسفرة نامية ، وما ذاك إلا لسهرك  
عليها . بيد أنه لن يسوءك إن لاحظت أنك تعنى بهذا البستان أكثر  
مما تعنى بنفسك ، مع ما أنت فيه من تقادم السن ولفحة الشمس ووطأة  
المرض ... وما أحسب مولاك إلا قاسى القلب عليك ، قليل الاحتفاء  
بك والتوجع من أجلك ، مع مالك من سماء النبل ، ومظاهر الملوك ؛  
فما كان أحجى بك — وأنت في هذه السن — أن تستحم وتضمخ  
وتنام ملء عينيك ، لا يزعجك عمل ، ولا تتوذك أكلاف الحياة !  
ولكن قل لى بالله عليك أيها الشيخ ، لمن تنصب كل هذا النصب ،  
وبستان من هذا ؟ خبرنى ! لا تخف على أيها الأب ، فلقد لقيت من  
سأله فلم يأت به بى ولم ينمسألتى ... ولقد ذرعت الرحب حتى وصلت  
هذه الأرض ، إيثاكا ، لأنى كنت أقدم فيما مضى من الزمان فأحل ضيفاً  
على أمير غنبر فيها ، وما أعرف إن كان لا يزل حياً يرزق ، أو مضى  
لا قدر الله إلى هيدز ! ولقد كان هذا الصديق يزورنى فى وطنى فأكرم  
مشواه كما يكرم مشواى ، ولقد كان يحدثنى الأحاديث عن أبيه ليرتس  
ابن آزيرياس ... وما أنس لا أنس أيام كان يحمل إلى الهدايا فأردها  
إليه أضعافاً مضاعفة ، من ذاك أننى نفحته مرة بسبع بدر من خالص  
الذهب ، وبجمالة من فضة مزدانة بأفواف الزهر ، واثني عشر صداراً ،  
واثنى عشر دثاراً ، ومثلهن من أكرم البسط ، وشيء كثير من ثياب

القائم والسنجاب ، ثم أهديت إليه أربع جوارٍ كنُس أبكارٍ اختارهن  
 بنفسه ، مثقفات مهذبات ، يتخايلن في الخرز ، ويرقلن في الديماج .  
 وازدحمت الدموع الحِرار بكل الذكريات المشجية في عيني الرجل  
 الشيخ ، وقال يحيب أودسيوس : « أيها الأخ لقد بلغت منك ، فهذه  
 هي إيتا كا ... بيد أنها — وأسفاه ! — نهب مقسم بين فئة باغية  
 ظالمة لا تخضع لقانون ولا تعرف شريعة . أما صديقك فوا أسنى عليه ...  
 ويا ألف أسى على هداياك ! من لك به اليوم ليردها عليك أضعافاً  
 مضاعفة يا صاح ! ولكن قل لي بربك واصدقني : منذ كم سنة لقيت  
 صديقك التاعس ، الذى هو ابني ؟ إيه ... ! له الله ! ما أحسب إلا  
 أن السمك قد اغتذى به ، أو أنه غدا يوماً جزر السباع وكل نسرقشم !  
 أو اه عليك يا أودسيوس يا ولدى ! هكذا قضيت ولم أذرف على ثراك  
 عبرة ، ولم تكتحل عينا أمك قبل أن تموت برؤياك .. ولا ينلوب !  
 ولا ينلوب أيضاً كانت إلى جانبك لتغمض بيدها أجفانك ... ولكن ...  
 ولكن قل لي أيها الأخ من أنت ، ومن أى البلاد قدمت ؟ وابن من  
 من الكرام الأكا بر ؟ وفي أى الرفاق وصلت إلى إيتا كا وفي أى السفائن ؟  
 أم وصلت بك إحدى الجوارى المنشئات ثم غادرتك في إيتا كا ؟ » .  
 وقال أودسيوس وهو يلفق ما يقول : « أما من أنا ... ف ... أنا  
 إبيريتوس بن أنيداس بن بوليمون من أمراء أليباس ، من أعمال صقلية ،  
 ولقد هبت على سفينتي عاصفة هوجاء فدفعتنا نحو بلادكم وألقينا المراسى  
 في مينائكم ... ولقد لقيت أودسيوس لآخر مرة منذ خمس سنوات ،

وقد افترقنا وكلنا أمل أن نلتقى لتبادل تذكارات المحبة وهدايا الصداقة والوفاء والود .

وانعقدت سحابة مظلمة من مرارة الحزن فخبثت الضوء عن عيني ليرتس ؛ ثم إنه أهوى إلى الأرض فقبض قبضات من التراب وراح يحشوها على رأسه ، وبين أنيننا مؤلماً . ولم يحتمل أوديسيوس أن يرى أباه في هذه الحال ، بل كاد صدره ينشق من حسرة عليه ، فهرول وأخذه ملء ذراعيه وجعل يضمه إلى صدره ويقبله ويقول : « أبتاه ! أبتاه ! هو أنا ذا ! أنا أوديسيوس عدت إليك بعد عشرين عاماً فافرح وهدئ روعك ، ولتنته آلامك ، وإليك أحسن البشريات ! لقد قتلت أعدائي العشاق جميعاً . قتلتهم في بيتي ، وانتقم لك ولي ولبنلوب ! »

بيد أن ليرتس وقف ذاهلاً عن نفسه ، ثم نظر إلى ولده وقال : « إن كنت حقاً ولدى أوديسيوس ، فهات برهانك الذي يقطع شكى ! »

فقال أوديسيوس : « ألا تصدق ! إذن فانظر إلى الندوب الخالدة التي أحدثها في ساقى خنزير القلاة إذ أنا حدثت يا أبى ! ألا تذكر يوم كنا على جبل رناسوس ، وكان جدى أوتوليكوس معنا ثمة ، وكان يتحننى بالهدايا واللهى ؟ وهالك دليلاً آخر يوم مشيت معك في هذه الحديقة ورجوتك أن تجعل بعض هذه الأشجار باسمى ، فشيت معك ، ورحت أنت تسميها لى بأسمائها ، فجعلت لى ثلاث عشرة كمثراً ، وعشر تفاحات ، وثلاثين تينة ، وخمسين صفا من الكروم الناضرة التي كان يزرع القمح بين عرائشها والتي كانت تتدلى منها العناقيد من كل لون ! »



وانجباب الشك عن فؤاد ليرتس ، فأخذ ولده بين ذراعيه المرتجفتين وراح يضمه ويقبله ، ويصعد في صدره الرحب القوى أنفاسه ، حتى إذا وهنت قواه أرسله ، وأخذ يحذثه فيقول : « يا للآلهة ! يا أرباب السموات الخالدة في شعاف الأولمب ! أهكذا قضيت آخر الأمر أن ينصب جام غضبك وحمم نغمتك على هؤلاء الكفرة الفجرة ! ولكن ! لشد ما أخشي أن يتألب الجمهور علينا ، فيهرعوا إلى هنا ، ويطلبوا نار ذويهم . فتبسّم أودسيوس وقال له يطمئننه : « لا عليك يا أبني ... هلم الآن فلنذهب إلى بيتك الجميل ، فلقد أرسلت تليماك ثمة ومعه الراعي ، ويومايوس الوفي ، ليعدوا لنا طعاماً سريعاً حقيقاً » .

وأعد الطعام ، ومزجت الخمر ، وذهبت الخادم المعجوز فأعدت حماماً لسيدها الشيخ ، ثم ضمخته وأضفت عليه ملابس نظيفة ... وتنزلت مينرفا الكريمة فشمت بيديها الإلهيتين على جسم ليرتس فتدفق الشباب في عروقه ، وعاد إليه رواؤه وحسن سمته ، فلما خرج من الحمام تعجب أودسيوس وقال له : « تالله يا أبت إني لا أشك في أن بعض الآلهة قد رد إليك صباك . وخلع عليك بُردة الشباب من جديد ! ! » .

ولم يكن عجب ليرتس بأقل من عجب ولده ... « تعاليت يا جوف ! وتقدست يا مينرفا ! وسما حدك يا أبوللو ! لقد كسوتوني نضرة الشباب التي كانت لي يوم ملكت مدينة تريكوس بمعونة السيفاليين الشجعان ! أواه لو قدّر لي أن أقف إلى جنبك أمس يا بني ، ليكون لي شرف مجادلة الأوغاد الذين قتلت ، إذن ، لحظيت بكوكبة منهم أضرج أديم الأرض

بدمائها ، فأشفي منهم حَرَدًا في صدرى ، وغِلًا في حشاشتى ! » .  
وأكلوا هنيئًا وشربوا مريئًا ، ثم جلسوا على الأرائك متقابلين ...  
وكانت الخادم العجوز قد انطلقت إلى المزارع فدعت كبير الفلاحين  
دوليوس ، فأقبل في رجاله الذين كدّهم العمل وأنهكتهم المثابة ... فلما  
رأوا ما ارتد إلى سيدهم من شبابه ، وهذا الرجل الغريب الذى يجلس  
بين العائلة المقدسة ، وقموا مسبوهم مشدوهين ، لا يعرفون ماذا يقولون ...  
وحدجهم أودسيوس ، ثم بدأ يكلمهم في لطف وخبث ويقول : « إجلس  
أيها العجوز دوليوس فكل أنت ورجالك ... فليس ثمة متسع لدعش  
أو عجب ... إجلس قبل كل شئ فاملاً بطنك و بطرن رجالك ... لقد  
انتظرناكم طويلاً ، لكنكم استأنيتم ! » ولكن سرعان ما عرف دوليوس  
مولاه حين سمع صوته ، فأقبل عليه ، وتناول يديه ، وطفق يغمرها بالقبل  
الباكية ويقول : « أوه يا مولاي ! هكذا والله تستجيب السماء ! لقد طالما  
جأرنا ولقد طالما دعونا فلها الثناء إذ ردتك إلينا ! فعش واسلم وسر وابتهج ...  
ولكن .. هل علمت الملكة بقدم مولاي ؟ ألا نطلق من فورنا فنزف  
إليها البشرى ؟ » .

وطأه أودسيوس ، فجلس الرجل مبتهجاً مسروراً ، وجلس أبناؤه  
معه ، وأخذوا في أكلهم وشربهم ، وأخذ أودسيوس يلاطفهم ويداعبهم ..  
وهكذا عاد الحبور مرة أخرى إلى بيت ليرتيس !

\*\*\*

وقرع آذان الناس في المدينة ما كان من قدوم أودسيوس ، وما

حاق بالأمراء المعاميد من نكبة على يديه الجبارتين ، فأهرعت جموعهم إلى قصره صاحبة ناعبة ، ثم انطلقوا إلى حيث كدست أجساد القتلى خرق كل قتيله ، وأرسلت جثث الغرباء إلى ذويهم في أوطانهم في سفن الصيادين من كل فج لتُحرق ثمة ... واجتمعوا بعد ليتشاوروا بينهم فيما ينبغي أن يكون ... فنهض يوبيتيس والأسى يزلزل جوانحه وأنشأ يقول : « أيها الرفاق ! لقد كان هذا الرجل الطاغية حراً دائماً عليكم فلم يصبكم منه إلا الشر ، ولم تثمر لكم فعالة إلا الندامة ! فلقد ساق شبابكم وخيرة أبطالكم إلى طروادة المشئومة حيث قتلوا أجمعين ، وهاهوذا ينقلب اليكم اليوم ليذبح ساداتكم وذوى الصولة فيكم... فهاهنا إذا وروا رأيكم فيه قبل أن ينطلق إلى بيلوس فيطلب العون عليكم ، وتصبحوا على ما قصرتم نادمين ! إنا إن لم نثار لصحايانا فأى عار يسمنا وأى خزي يصمنا يا قوم ! وأية حياة هذه التي تحيونها بعد ما حل بكم من هوان ومذلة ... لخير لكم أن تذبحوا أنفسكم فترحلوا إلى هيدز مع أرواح قتلاكم وإن تكونوا على ذلك من الآسفين ! » ثم جلس وهو يتصدع من الحزن على صاحبه أتينفوس الذى كان أول نحميا أودسيوس ... وقام ميدون المنشد التاعس فقال : « أيها المواطنون أعيروني آذانكم ! تالله إن أودسيوس لم يرم سهامه إذ رمى ، ولكن بعض الآلهة كان يرسم له وينافح عنه ، ولقد رأيته بعينى هاتين في صورة منظور ، ووالله ما هو منظور ، ووالله لقد كان يمشى بين يديه ههنا وههنا فيراع العشاق وتفرع قلوبهم ويسقط بعضهم فوق بعض فتأخذهم سهام أودسيوس ويروى

من دمائهم سيفه ! » وما كاد يفرغ ميدون ، وكان فيهم أميناً صادقاً ،  
حتى طارت ألوانهم وامتعت وجوههم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وادّاروا  
طويلاً ، ثم وقف هاليتير بطلهم القديم بن مسطور ، وكانت له دراية  
بكشف أستار الماضي والحاضر والمستقبل ، فصعّر خده وقال : « أيها  
الإخوان ! يا أبناء إيثاكا ! إسمعوا وعوا ! تالله لقد طالما مهدتم للفتنة ،  
وإنها لثمرة أتم غارسو شجرتها وأتم اليوم جُنائها ... أتذكرون يوم  
رجوتكم فألحفت عليكم في الرجاء أنا وصاحبى ميدون هذا ، أن نذهب  
فنمنع القصر من شبابكم ، ونصون عرض أودسيوس من أبنائكم ،  
ونصرفهم عن ولده وزوجه ومتاع هذه الحياة الدنيا ، فأبيتُم أكبر الإباء ،  
ورفضتم أقبح الرفض ، وجعلتموها فتنةً كنت أستعيز بالآلهة منها ؟ !  
فعلام تغلى سراجل صدوركم يا قوم ؟ وفيم ائتماركم بالرجل وقد ثار لعرضه ؟  
ألا فاسمعوها كلمة مخلصه أسديها إليكم ... الرأى ألا تذهبوا ، وألا تجعلوها  
فتنة لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة ، بل اقمعدوا ههنا آمنين ، ولا تكونوا  
كالذى سعي إلى حتفه بظلفه ، وأبطأت عليه المنايا فسعى قدماً إليها ! »  
وما فرغ حتى زجر القوم وتصايحوا به ، وضجوا من كل مكان ... ثم  
إنهم سمعوا إلى شيطان يوبيتيس ففزعوا إلى أسلحتهم ، وأسبغوا عليهم  
من دروعهم ، وانطلقوا إلى المدينة فنظموا فيها صفوفهم ، وأقاموا يوبيتيس  
قائداً منحوساً عليهم ، وما جعلوه كذلك إلا ليلقى حتفه بيد أودسيوس ،  
وتعجل روحه إلى النار !

ومضت مينرفا إلى سيد الأولمپ ، چوف العلى فوقفت ببابه تقول :

« أبتاه ! أين عن سريرتك ، واكشف عن مكتوم قلبك ومكنون نفسك ! هل يحل على هذه الفئسة الظالمة غضبك ، أم أنك مانحها محبتك ، ومحضها بجمائيتك ؟ » فعبس من قولها وأنشأ يجيب : « وفيه هذا التساؤل يا ابنتي ؟ ألم تقدرى أنت أن يعود أودسيوس إلى وطنه فيذبح بيديه أولئك العتاة الطغاة ، ويريح وجه الأرض من خبائثاتهم ؟ ليكن ما تشائين ! اصنعى ما بدا لك ... ولكن نصحى أحضك إياه ياميزفا ! مادام أودسيوس قد ثار لنفسه من أعدائه ، فليكن السلام على الأرض ، وليحل الأمان في ربوعها ، وليتقاسم الملأ على الود والصفاء ، وليحكم أودسيوس بين الناس بالعدل ... وعلينا نحن أن ننزع ما في صدورهم من غل فينسوا سخائهم ، ويطرحوا ثاراتهم ، ثم لتسكن لهم من أنفسهم أمانة ، ولتجر البركات عليهم أجمعين ، وليصبحوا بحولنا أصفياء متحابين »

ورقت ميزفا من السموات العلى إلى إيثاكا .

وفرغ أصحاب أودسيوس من أكلهم فأمرهم أن يتحسسوا آثار القوم ، فانطلق أحد أبناء دوليوس إلى المدينة فرأى من استعداد أهلها ما رأى ، وجاء إلى مولاه على عجل فقال له : « مولاي ! لقد تسليح الإيثاكيون وهم موشكون أن يقدموا إليك ! » فهض أودسيوس فأدّرع ، وأدّرع أبوه وابنه وخادماء وأبناء دوليوس الستة ، وأدّرع دوليوس كذلك ، وأدّرع الفلاحون الآخرون ، وحمل كل سلاحه ، وبرزوا إلى الطريق وفي مقدمتهم أودسيوس .

وبدت ميزفا في صورة منظور وفي طيلسانه ، فلما رآها أودسيوس

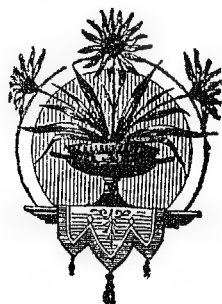
فرح واستبشر ، والتفت إلى تليماك فقال : « أى بنى عليك أنت أن تحميننا اليوم فقد عرفت ما خاض أبوك من معامع ، وسنرى من يحارب خيراً من صاحبه اليوم ! » فقال تليماك يجيبه : « اطمئن يا أبى فسترى كيف يحمى العساوج فرعه ، وكيف يشب الفرع على أصله . تالله لن أفضحك فيما وكأت إلى يا أبى ، ولن يخيب رأى أهلى فى ! » وفرح الوالد بمقالة ابنه ، وشكر للآلهة وأثنى عليها .

واقتربت مينرقا من ليرتيس ، وهى لا تزال فى صورة منظور ، فقالت له : « أوه أيها الجدد الوقور ! صلّ لمينرقا وابتهل ، وتوسل إلى چوف ، أن يمنحك القوة والجلد ، ثم اجمم بحربتك على يوبيديتيس فروّها من دمه ، فالسباء كلها معك » ولسته بيدها فتدفق شبابه فى قلبه ، وكان جيش الأعداء قد اقترب منهم فطار ليرتيس إليهم برمحه ، وأقصد يوبيديتيس بضربة فى صدره ، فخرج سنان الرمح يلمع من ظهره ، ورأى أودسيوس ذلك فطار إلى الملأ بسلاحه ورماحه ، وانقض تليماك فى إثره ، وهجم الآخرون فى إثر تليماك ، ولم يطل القراع ، فقد فزع الأعداء واختلط نظامهم ، فولوا الأدبار ، ولكن هيهات ! لانهجاة اليوم ! فلقد سد عليهم أودسيوس ورفاقه الطرق ، وأخذوا عليهم المسالك ، فهم فى ضيق ، وهم ذاهلون !

وهتفت ابنة چوف العذراء بأودسيوس ورجاله تقول : « السلام عليكم أيها المحاربون ! السلام ! السلام ! قبل أن تجرى دماؤكم أنهارا ! » ثم بدت مينرقا فى صورتها الإلهية المقدسة فارتعدت فرائص القوم ،

وتخاذلوا فيما بينهم ، حتى أصحاب أودسيوس ! لقد ارتجعت أعصابهم  
وعصف الذعر بسواعدهم ، وكادت سيوفهم ورماحهم تنتثر على الأرض ...  
ولم يعبأ أودسيوس ، بل هجم كالنمر على القوم المنهزمين يود لو يصعقهم ،  
وطمق يرق ويرعد ، ويزأر بصوته المدوى العظيم ، فغصب سيد الأولمب ،  
وأرسل إحدى صواعقه نديراً من لدنه إلى مينرقا ، فعجلت إليه ذات  
العيين الزبرجديتين ، وزجرته عن الناس وهي تقول : « لا يا أودسيوس !  
لا يا ابن ليرتس النبيل ، لا يجدر هذا ماضيك ! ضع حداً لهذه الحزرة  
المروعة أو تجلب عليك غصب جوف العلى ! » .

وخبت أودسيوس ، وسرت مينرقا ، وعقد منظور الصلح بين  
العريقين ، ودخل الناس في السلم كافة ... !



## استدراك

نرجو أن نستدرك على قصة طروادة ، بمناسبة ظهور شقيقتها هذه ،  
ما سقط سهواً أثناء الطبع من الإشارة إلى أول الإلياذة التي تبدأ بتلك  
النزاع العقيم الذى شجر بين أجاممنون وأخيل من جراء الفتاتين ، والذى  
يجرى ذكره فى الصحيفة الثالثة بعد المائة من قصة طروادة .



# الفهرس

صفحة

٤	... ..	عين مينرفا وتلياك
١٦	... ..	تلياك يجادل العشاق
٢٩	... ..	تلياك يسائل نسطور عن أبيه
٤٢	... ..	العشاق يتآمرون
٦٤	... ..	أوديسيوس يبحر من جزيرة كالبيسو
١٣٠	... ..	أوديسيوس يروى قصته
١٤٩	... ..	رحلة أوديسيوس إلى العالم الثاني
١٧٠	... ..	تمام قصة أوديسيوس
١٨٦	... ..	أوديسيوس يصل إلى إيثاكا
٢٠٢	... ..	مع الراعى
٢١٦	... ..	عودة تلياك
٢٣٠	... ..	أوديسيوس يلتق تلياك
٢٣٧	... ..	أوديسيوس فى قصره
٢٤٧	... ..	أوديسيوس ينشاجر مع شحاذ
٢٦٣	... ..	نذير من السماء
٢٧٨	... ..	الانتقام الهائل
٢٨٥	... ..	پنلوب .. وأخيراً .. پنلوب
٢٩٣	... ..	أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

( مطبعة الرسالة — شارع السلطان حسين — عابدين )



للمؤلف :

١ - أساطير الحب والجمال عند الإغريق

٢ - قصة طروادة

٣ - الأوديسة

٤ - إكيليوس والمسرح اليوناني

( تحت الطبع )